

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر

# ظاهرة النفاق في القرآن الكريم

## دراسة تحليلية نقدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية  
تخصص: أصول الدين

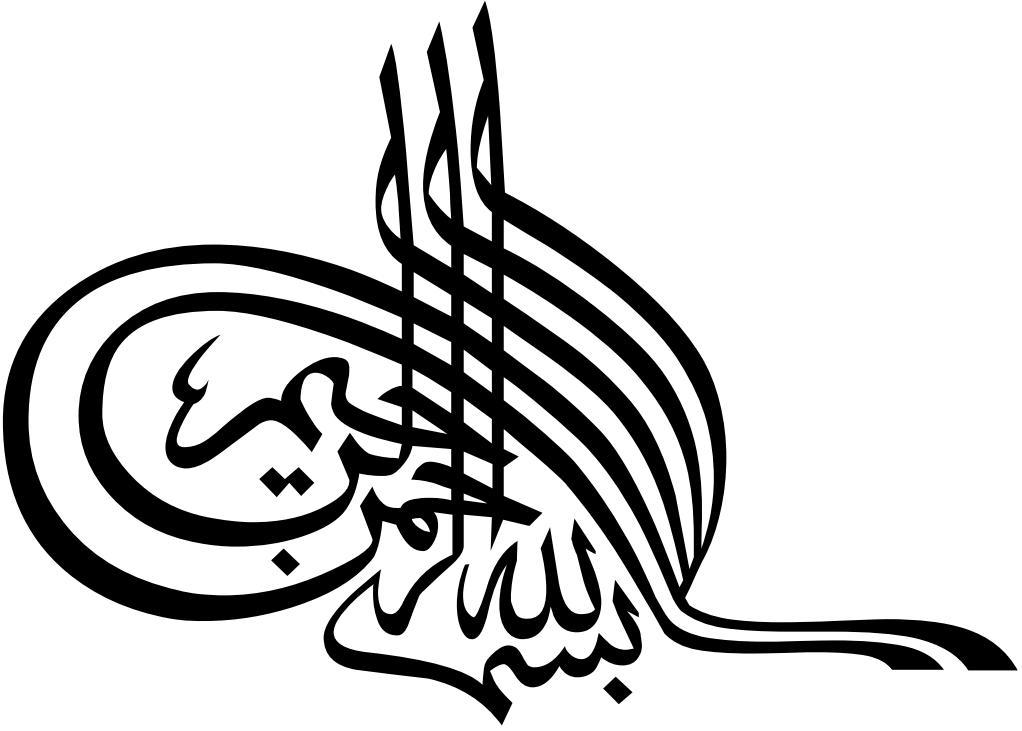
إشراف الأستاذ  
د. محمد عيسى

إعداد الطالب  
محمد الشيخ

السنة الجامعية:

1421 / 1420 هـ

2000 / 1999 م



# إلى مروح والدتي الكرمتين

إلى مروح والدتي التي خطفتها يد المنون ولما ترثامر شجرة غرستها بيديها  
الكرمتين وبذلت في نموها وصبرت حتى إذا أينعت مرحلت وودعت إلى  
الأبد.. غفر الله لها وتعمدها بواسع رحمته..

إلى والدي الكريم الذي أخذ بيدي وغرس في نفسي منذ نعومة  
أظفاري حب الله وحب الخير، ورباني على قوة الإرادة وعفة النفس،  
أطال الله في عمره وحفظه في صحته وأبقى له عافيته..

إلى أسرتي الصغيرة: نروجتي الكريمة وأبنائي جزاء ما قدموا لي من صبر  
جميل وتضحيات لا يكافئها إلا الامتنان والشكران..

محمد

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . . فاللهم لك الحمد أولاً وآخراً  
والصلاة والسلام على من بعثه الله هدى ومرحمة للعالمين سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد بن عبد الله .  
عملاً بقوله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»<sup>(1)</sup>:

\* - أتقدم بكامل الشكر وجميل الامتنان للأستاذ الفاضل الدكتور محمد عيسى بقبوله  
الإشراف - أولاً - على هذا البحث، وبما أمدني به - ثانياً - من نصائح وتوجيهات كانت القاعدة لهذا  
البحث والمسدد له .

\* - وأتقدم بخالص تشكراتي إلى إدارة كلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر التي بذلت لي  
من التيسير والتسهيل ما أظن لها فيه مديناً شاكراً .

\* - وأتقدم بالشكر الجزيل أيضاً لإدارة المجلس الإسلامي الأعلى، وأخص بالذكر  
الكامل القائمين والقائمات على شؤون المكتبة إذ لقيت من التيسير ما هو حقيق بالذكر والتنويه .

\* - كما لا يفوتني أن أتوجه بشكري العميق إلى عائلتي الكريمة التي صبرت عليّ في إنجاز  
هذا البحث صبراً لا يسعني معها فيه إلا الاعتراف بالجميل وتقدير ذلك الصبر الجميل .

\* - كما لا أنسى في شكري هذا كل من أمدني بعون - كبير أو صغير، من قريب أو  
بعيد - لإخراج هذا البحث في حلته الأخيرة . . ولئن لم أذكرهم ههنا كتابة فحسبهم مني أن

أذكرهم في قلبي وأذكرهم عند مرابي؛ عند من لا يضيع عنده مثقال ذرة من خير أو معروف .

إلى هؤلاء جميعاً أكرّم جزيل شكري وكامل امتناني .

---

(1) أخرجه الترمذي [كتاب البر والصلة عن رسول الله/باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك]، (339/4)،  
رقم 195؛ وأخرجه أحمد [كتاب باقي مسند المكثرين/باب مسند أبي هريرة]، (258/2)، رقم 7495.

# المقدمة

الحمد لله الذي خصنا بخير كتاب أنزل، ومنّ علينا بأعظم دين شرع، وأكرمنا بخير نبي أرسل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَمَرْضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ سورة المائدة، الآية: 3.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.  
أما بعد:

فإن الرسول ﷺ عاش في مكة المكرمة يصارع قوة خارجية تمثلت في قريش التي رصدت لحرب الإسلام والمسلمين كل ما أوتيت من جهد وقوة وحيلة: تعذيب وتنكيل.. سخرية واستهزاء.. مقاطعة وحصار.. منع كامل ومستمر من أداء الشعائر، وملاحقة لم تنقطع.. إلا أن ذلك كله لم يزد المسلمين إلا قوة وثباتا، وظلت ملامح المجتمع القرشي واضحة خلال المرحلة المكية كلها: تميز كامل بين فئتين اثنتين؛ فئة غالبية دينها الوثنية تقف في صف، وفئة مستضعفة دينها الإسلام تقف في صف آخر.

وحينما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة تغيرت الظروف والأحوال، إذ استقبل أهلها الإسلام استقبالا كاملا ودخلوا فيه أفواجا أفواجا، حتى لم تبق دار من دور الأنصار - كما تذكر جل مصادر السيرة - إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات.. حتى إذا كانت غزوة بدر - قبلها أو بعدها بقليل - برزت إلى الوجود طائفة جديدة من أهلها ظاهرها إسلام لم تنفك عن إعلانه في كل مناسبة، وحقيقتها كفر لم يقف عند حدود الاستخفاء والمحافظة على دين الآباء والأجداد بل تحول إلى مواجهة - خفية - لرسالة الإسلام ولنبيه وأتباعه على حد سواء، ولم يقف هذا السلوك الجديد عند حدود أفراد اختاروا - بشعور منهم أو دون أن يشعروا - موقفا واحدا إزاء قضية جديدة لا عهد للمجتمع بها من قبل، بل تحول إلى اختيار جماعي، ثم تحول رويدا رويدا إلى تكتل خفي حتى غدا ظاهرة بارزة في المجتمع أحوجت الدارسين للقرآن الكريم ولسيرة النبي ﷺ إلى الوقوف عليها، وأعني بهذه الطائفة الجديدة طائفة المنافقين.

ولئن كادت قريش - ومن تحالف معها - للإسلام من خارج الصف فإن هؤلاء كادوا له من الداخل، وشتان بين كيد يصب من الخارج وكيد يكاد من الداخل.

ولم يزد كيد قريش المسلمين إلا ثباتا وعزيمة وصلابة، أما كيد المنافقين فإن من الحق أن نقول إنه أحدث للإسلام وللمجتمع المسلم في المدينة متاعب كبيرة أثقلت كاهلها وأرهقتها.

ولئن انصب كيد قريش في مكة على أجساد قوية تحملت العنت والعذاب بصبر أغرى الناس على الدخول في الإسلام، فإن كيد هؤلاء استهدف في المدينة البناء الإسلامي في عمقه الداخلي في كامل زواياه، وكانت آثار العمليات التخريبية التي استهدفته واضحة بينة في المرحلة المدنية كلها.

وكان تشريع الإسلام قد أباح -لاحقاً- للنبي ﷺ والمسلمين الرد على عدوان قريش بقوة السلاح والمواجهة، أما هؤلاء فكانوا لصيقين بالمسلمين وهو أمر جعلهم يُحسبون على الإسلام، ومن ثم امتنع النبي ﷺ عن أي إجراء في حقهم، وتلك نقطة استفادوا منها كثيراً في مواصلة كيدهم وبث دسائسهم.

### وبعد هذا أقول:

إن النفاق قبل أن يصبح ظاهرة في المجتمع، كان سلوكاً فردياً قوامه مواصفات أكثر النبي ﷺ من التنبيه عليها والتحذير منها، بل كانت من أعظم ما خوّف منه أمته، قال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»<sup>(1)</sup>، ومن هنا كان الثابت عن أصحاب رسول الله ﷺ أنه ما منهم من أحد إلا كان يخاف على نفسه النفاق، قال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل"<sup>(2)</sup>.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن نفسه هل سماه له النبي ﷺ فيمن سمى له من المنافقين؟<sup>(3)</sup>، ويذكر عن الحسن البصري أنه كان يقول: "ما خافه إلا مؤمن

---

(1) أخرجه أحمد [كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة/باب أول مسند عمر بن الخطاب]، (22/1)، رقم 143، (44/1)، رقم 310.

وأخرجه ابن حبان [كتاب الاعتصام بالسنة/باب ذكر ما يتخوف على أمته جدال المنافق]، (281/1)، رقم 80. وأخرجه البزار، (13/9)، رقم 3514.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (237/18)، رقم 593.

(2) أخرجه البخاري [كتاب الإيمان/باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر]، (ص 16).

(3) انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1422 هـ - 2002 م، (ص 441).

ولا أمنه إلا منافق"<sup>(1)</sup>، ويذكر عنه أيضا: "من لم يخف النفاق فهو منافق"<sup>(2)</sup>، "ولأن أعلم أي بريء من النفاق أحب إلي من طلاع الأرض ذهباً"<sup>(3)</sup>.

والنفاق - في جانبه السلوكي على الخصوص - ظاهرة غير محدودة الزمان ولا المكان، ولئن وجد في عهد الرسول ﷺ في شقه الاعتقادي، فإن وجوده في شقه السلوكي هو مما لا يبرأ منه زمان ولا مكان، قال الحسن البصري رحمه الله: "النفاق نفاقان: نفاق الكذب ونفاق العمل، فأما نفاق الكذب فكان على عهد رسول الله ﷺ، وأما نفاق العمل فلا ينقطع إلى يوم القيامة"<sup>(4)</sup>.

ومن هنا رأيت أن موضوع النفاق من المواضيع الجديرة بالبحث والدراسة، وبعد طول تفكير وإمعان، وبعد تصفح لما كتب في الموضوع قديما وحديثا - مما وقفت عليه من مصادر ومراجع، ولا أزعم أبدا أنني استوفيتها أو أحطت بها - رسا قراري على هذا العنوان الذي وسمت به عنوان بحثي: "ظاهرة النفاق في القرآن الكريم: دراسة تحليلية نقدية".

### المصادر التي عنيت بالموضوع:

اخترت هذا العنوان للبحث والدراسة وإني لأعلم أن أغلب مصنفات القدامى لم تخل من الحديث عن النفاق وأوصافه، وتناولته كل كتب تفسير القرآن الكريم بالشرح والبيان لما له من صلة مباشرة بالموضوع، بل وجدنا بعد ذلك في علماء السلف من أفرد مصنفات للموضوع كما فعل -على سبيل المثال- الإمام جعفر الفريابي -من علماء القرن الثالث الهجري- في كتابه المسمى: "صفة المنافق"، وكما فعل أبو نعيم الأصبهاني -من علماء القرن الرابع الهجري- في كتابه: "النفاق ونعت المنافقين".

---

(1) أخرجه البخاري [كتاب الإيمان/باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر]، (ص16).

(2) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص442).

(3) انظر: صفة المنافق، لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، حققه وخرج أحاديثه: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985، (ص67).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414هـ-1993م، (8/138).



ومن الدراسات المعاصرة التي وقفت عليها والتي تحمل من عنوان بحثي شقه الأول، أعني:  
"ظاهرة النفاق" كتابان اثنان:

-الأول: " ظاهرة النفاق وحبائث المنافقين في التاريخ " = لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

-الثاني: " ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية " = للدكتور عمرو خليفة النامي.

ووقفت على كتابين آخرين هما قريبان في محتواهما من العنوان الذي اخترته، ويشتركان معه في  
كونهما جعلاً القرآن الكريم مصدر البحث والدراسة، وهذان الكتابان هما:

-الأول: "دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة" = للدكتور عادل بن علي الشدي.

-الثاني: "المنافقون في القرآن الكريم" = للدكتور عبد العزيز عبد الله الحميدي.

والكتاب الأول هو في أصله رسالة ماجستير قدمت بجامعة المدينة المنورة.

### خصائص متوخاة للبحث

وإني لأحسب أن البحث الذي أقدمه يتميز عن تلك الكتب والدراسات بجملة من

الخصائص أرجو أن أصل إليها من خلال النقاط الآتية التي اعتمدها:

1-جمعت كل النصوص القرآنية للموضوع، وما أسقطته فلسبب موضوعي ذكرته في موضعه.

2- لم أكتف بالنقل والوصف والاستقراء، بل تتبعت ذلك كله بالدراسة والنقد والتحليل.

3-قسمت النصوص القرآنية إلى أقسام حسب أسباب النزول، وحسب الارتباط الزمني.

4-رصدت التطور التاريخي للظاهرة من أول النشأة إلى آخر المرحلة المدنية، وقسمتها إلى مراحل  
تاريخية لكل مرحلة منها خصائصها ومميزاتها.

5-رصدت جميع مواقف المنافقين مما له علاقة بنزول القرآن الكريم فينته، ومما له علاقة بأحداث  
السيرة النبوية فأشرت إليه تبعاً لما أسلفت.

6- لم أكتف برصد مواقف المنافقين، بل رصدت فترات السيرة التي خلت من نشاطهم، وحللت  
ذلك كله في إطار الوعاء الذي يحويه.

7-تتبع النصوص القرآنية بتحليل كامل فرسمت منهج القرآن في تناول الظاهرة أولاً، ومنهجه في  
التعامل معها ثانياً، مبرزاً مسيرته التطور التاريخي لها.

وهذه نقاط أحسب أنني لم أكن فيها ناقلاً ولا مكرراً، وأحسب أنها تشفع لي في عنوان  
قد يخيل لمن لم يقرأ محتواه أنه موضوع أشبع بحثاً.

## أسباب اختيار الموضوع:

لقد اخترت هذا الموضوع وإني لأحسبه من المواضيع الهامة الجديرة بالبحث والدراسة والتحليل.. صحيح أنه - كما أسلفت القول - لا يخلو كتاب في السيرة النبوية أو في تفسير القرآن من الحديث عن الموضوع، إلا أنه حديث متقطع تطرحه مناسبات مختلفة يباعد بينها الحدث التاريخي المتسلسل فينسي بعضها بعضاً، وأردتها ظاهرة أرصد أبعادها التاريخية، وأحلل خلفياتها النفسية، وأقف وراء دوافعها الحقيقية.. ولقد اعتمدت في ذلك الرصد والتحليل على القرآن الكريم أساساً حصراً للموضوع وبمخاض عن النظرة القرآنية:

- التي جعلت من أهم الأسباب المنشئة لمثل هذا الداء الخطير أمراضاً نفسية تنشأ في الفرد بسيطة غير معقدة، هدف الفرد فيها تحقيق مصلحة أو دفع أذى.. ثم إن ممارسة ذلك طويلاً واعتياده يقود في أغلب الأحيان إلى النفاق العقدي حتى يغدو ذلك جزءاً من التكوين النفسي والسلوكي لصاحبه.

- والتي جعلت من أهم الأساليب في علاج هذه الظاهرة فضح أماراتها وكشف عورتها، حتى إذا بدت سوءاتها وعلمها الناس انزوت وخنست..

واستعنت بعد ذلك - إتماماً للفائدة وتوسيعاً للنظرة - بما صح من أحداث السيرة النبوية المباركة، فلقد ذكر الإمام الزرقاني في مناهل العرفان<sup>(1)</sup> أن كثيراً من المفسرين أشاروا إلى أن من جملة العلوم التي يجب توافرها في المفسر قبل الشروع في تفسير القرآن الكريم العلم بسيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في مختلف شؤونهم دنيويها وأخرويها، إذ فيها من الأحداث ما وجدت فيه عوناً على الوقوف على أسباب نزول آيات الموضوع وفهم ملبساتها وظروفها المحيطة بها فهما يزيد النص القرآني وضوحاً وجلاءً، بل إن هناك آيات كثيرة لا يمكن فهمها فهماً دقيقاً أو على الوجه الحق إلا بالرجوع إلى كتب المغازي والسير التي فيها شطر كبير من أسباب النزول ومقدمات ذلك ونتائجه كما قرر العلماء المحققون<sup>(2)</sup>.

---

(1) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر - دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، (54/2).

(2) انظر: مصادر السيرة النبوية وتقويمها، للدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى: 1400هـ، (ص33).

ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

1- أن النفاق ظاهرة متكررة متجددة على مستوى الأفراد والجماعات تأخذ أساليب متنوعة وأشكالا مختلفة، وليس ظاهرة تاريخية قد انقضت زمنها وأدبر، وإنما تظهر وتختفي تبعا للظروف والملابسات والأحداث التي يمر بها الناس أو المجتمع.

2- أن الوقوف على ظاهرة النفاق بأبعادها التاريخية والنفسية والاجتماعية وقوف على ظاهرة في الإنسان والمجتمع، ومن ثم الوقوف على فهمها وفهم أبعادها، وحسن التعامل معها انطلاقا من تلك الدراسة.

3- من أهم الأسباب التي جعلت الصف المسلم في المدينة المنورة يتزعزع بين الحين والآخر ويعرف اضطرابات اجتماعية متكررة وجود ظاهرة النفاق داخل الصف حسب أصحابها عليه، وهم إنما ربطوا أنفسهم به مخادعة وتضليلا، وكان انتسابهم إلى الإسلام -ولو ظاهرا- قد هيا لهم الجو الملائم للإفساد لأنهم كانوا يختلطون مع المؤمنين اختلاطا كاملا، فكان التحرز منهم أمرا عسيرا، وذلك نموذج مرشح للتكرار في كل حين وفي كل زمان.

4- كثافة تغطية القرآن الكريم للظاهرة مما يوحي ذلك -حتمًا- إلى أن الأمر ينبغي أن يؤخذ مأخذ الجد، وأن تتفحصه عين دارسة: إذ أن مجموع السور المدنية 28 سورة، وقد تطرقت 17 سورة منها إلى موضوع النفاق والمنافقين، ومجموع آي السور المدنية 1623 آية، ومجموع الآيات التي تحدثت عن النفاق والمنافقين تشرف على 300 آية، ويقارب أن يكون هذا الرقم خمس حجم القرآن المدني، وهي نسبة أحسب أنها مسوغ كبير لضرورة الالتفات إلى مثل هذا الموضوع دراسة وتحليلا.

5- الرغبة في الدراسات القرآنية، وهي رغبة أحاول من خلالها أن أخدم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وأحسب أن دراسة ظاهرة النفاق بأبعادها تشكل أحد موضوعاته الثرية.

## إشكالية البحث:

إن هذا العنوان الذي اخترت البحث فيه محاولة للإجابة عن إشكالية كبيرة هي: كيف تعامل القرآن الكريم مع ظاهرة النفاق؟.

وللإجابة عن هذا الإشكالية الكبيرة كان لا بد من طرح أربعة أسئلة فرعية تشكل الإجابة عن كل واحدة منهن رافدا يصنع الصورة المتكاملة التي أرجو أن تجيب عن هذه الإشكالية التي طرحتها، وأهم هذه الأسئلة:

1- ماهي مظان النفاق في القرآن الكريم؟

2- كيف بدأت ظاهرة النفاق، وكيف تطورت ونمت؟

3- كيف تناول القرآن ظاهرة النفاق منذ النشأة الأولى إلى آخر مرحلة من مراحل النزول؟

4- ماهي أقسام النفاق، وكيف تعامل القرآن مع كل قسم منها؟

هذا، وإني لأحسب أن هذه الإشكالية التي طرحتها -وبما رسمته لها من تلك الإشكاليات الفرعية- كفيلا لأن تكون محور دراسة أكاديمية جعلت بحثي هذا محاولة علمية بذلت فيها ما استطعت من جهد، وجمعت لها ما أمكن من مادة، وإني لأرجو بعد ذلك كله أن أكون قد وقفت في الإجابة عنها وصياغتها الصياغة التي تصلح لأن تقدم به بحثا أهلا لأن يناقش.

### منهج البحث:

لقد اعتمدت للإجابة عن هذه الإشكالية العلمية في هذا البحث منهجا مركبا من المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي:

#### 1- المنهج الاستقرائي:

وذلك بتتبع جميع نصوص القرآن الكريم التي عالجت الموضوع من قريب أو من بعيد، وسواء أكانت صريحة سمّت النفاق باسمه، أم كانت ضمنية بأن نبّهت إلى جملة من المواصفات والطبائع يعرف الدارس -بالاستعانة بكتب التفسير وبكتب أسباب النزول- أنها كانت تعني النفاق والمنافقين.

#### 2- المنهج التحليلي:

وبعد استقراء تلك النصوص كاملة وتقسيمها وتبويبها ورد بعضها إلى بعض.. حتى إذا تكونت منها وحدة موضوعية متكاملة في شكلها وفي مضمونها عمدت إلى المنهج التحليلي فوقفت عند الظاهرة أحلل خلفياتها التاريخية التي كانت وراء إنشائها، وأحلل أبعادها النفسية والاجتماعية التي تنطلق فيها من أعماق الدّات البشرية.

#### 3- المنهج النقدي:

وقد طبقت هذا المنهج في الفصل الثالث من البحث على الخصوص، وكان هذا المنهج بذلك استجابة موضوعية لخاتمة فصول البحث.

## مسالك البحث:

تتمة لعملية البحث الأكاديمي المتكاملة التزمت بالطريقة المنهجية الآتية:

1- اعتمدت في كتابة الآيات القرآنية الرسم العثماني ما وسع الإعلام الآلي كتابته، فإن تعذر فيما تيسر، وضبطتها على ما يوافق رواية حفص عن عاصم من مصحف المدينة المنورة الذي أخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ما ورد في كتاب "الطرز على ضبط الخراز" للإمام التنسي، والذي اتبعت في عدّ آياته طريقة الكوفيين عن عبد الله بن حبيب السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واعتمد في بيانها على ما ورد في كتاب "البيان" لأبي عمرو الداني، وكتاب "ناظمة الزهر" للإمام الشاطبي.

2- التعريف بجميع الأعلام بترجمة موجزة عند أول ذكر للعلم في متن البحث، ولم أترجم في المقدمة لمن ورد ذكره فيها، واستثنت في البحث كله الترجمة لأعلام الأنبياء - وعددهم فيه ستة- والترجمة للأعلام غير العربية.

3- ذكر جميع الأقوال منسوبة إلى أصحابها معزوة إلى المصادر المنقول منها، واستثنت من ذلك ما ورد من أقوال في ثنايا ترجمة الأعلام.

4- التزمت بتخريج كل الأحاديث التي أثبتتها: سواء ما كان منها في المقدمة أو في ثنايا البحث، وسواء أورد الحديث في صلب النص أم في الهامش، وسواء سقته استدلالاً لما أريد أن أثبت أم فيما ورد عرضاً في النصوص وفي الأقوال المنقولة، واستثنت من ذلك ما ورد من أحاديث في ثنايا ترجمة الأعلام.

5- اكتفيت في تخريج الأحاديث بما ثبت في صحيح البخاري ومسلم أو في أحدهما، واعتمدت في "صحيح البخاري" ترقيم فتح الباري، وفي "صحيح مسلم" ترقيم الدكتور فؤاد عبد الباقي رحمه الله، فإذا لم يوجد الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني تتبعت مظانّه فيما تيسر لي من مصادر.

6- تتبعت للحديث جميع أطرافه ومكرراته، سواء أثبت الحديث في الصحيحين أم في غيرهما.

7- اعتمدت في تخريج الحديث ذكر الكتاب والباب ثم الجزء والصفحة فرقم الحديث، فإذا لم يوجد للحديث رقم -وهو قليل- اكتفيت بما ذكر قبله.

8- التزمت بذكر ببليوغرافيا الكتاب كاملة في أول إثبات له، واستثنت من ذلك كتب تخريج الحديث.

## خطة البحث:

وضعت لتحقيق أهداف البحث خطة تتشكل إجمالاً من ثلاثة فصول وخاتمة.. حوى الفصلان الأولان منها مبحثين اثنين، وحوى الفصل الثالث ثلاثة مباحث، ثم ختمت البحث بخاتمة هي زبدة الموضوع، إذ قد جمعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها. وأما خطة البحث تفصيلاً فهي كالآتي:

### الفصل الأول: وعنوانه: تعريف النفاق، ويشتمل على مبحثين اثنين:

المبحث الأول: يتناول تعريف النفاق ومطابقه في القرآن الكريم، وجعلته مطلبين اثنين:

-المطلب الأول: جعلته فرعين اثنين؛ عرّفت في الفرع الأول النفاق لغة كما ورد في أصل الاستعمال، ثم بينت أن لفظ النفاق اكتسب -مع مرور الزمن بتأثير من العرف الشرعي الذي كان هو منشئ لفظ النفاق والمنافق- معنى لغويًا جديدًا صار مرادفًا له، وعرّفت في الفرع الثاني النفاق اصطلاحًا من خلال تتبع مختلف نقول أقوال العلماء في الموضوع.

-والمطلب الثاني: تتبعت فيه مظانّ النفاق في القرآن من خلال فرعين اثنين: حصرت

في أولهما لفظ النفاق بجميع اشتقاقاته التي استعملها القرآن، وعددت في ثانيهما مواطنه.

أما المبحث الثاني: فقد خصّصته لعرض جميع النصوص القرآنية التي تناولت موضوع النفاق والمنافقين من قريب أو من بعيد، لفظاً أو معنى، أو بما يهتدى إليه بالوقوف على أسباب النزول، وجعلت المبحث أربعة مطالب وزعت عليها ما اهتمت إليه من تقسيم وتبويب، ثم تناولتها بشيء من التفسير والتحليل مقتصرًا على ما له صلة بالموضوع:

-فالمطلب الأول: جعلته للآيات التي تحدثت عن النفاق في بؤادر نشأته الأولى لدى

طوائف ثلاثة من المجتمع.

-والمطلب الثاني: حصرت فيه جميع النصوص التي ارتبطت بحدث تاريخي محدد يعين

على ترتيبها ترتيباً متسلسلاً حسب النزول.

-والمطلب الثالث: جعلته للآيات النفاق التي كانت لها مناسبات نزول، إلا أنها

مناسبات عامة لم ترتبط بحدث تاريخي، ومن ثم لا يمكن ترتيبها.

-وأما المطلب الرابع: فخصّصته لنصوص عامّة تظهر ألفاظها أو معانيها أن المقصود

من آياتها المنافقون، ولم يعرف لها سبب نزول صحيح.

**الفصل الثاني:** وجعلت عنوانه: **تحليل ظاهرة النفاق**، وهو فصل ذو مبحثين اثنين:

**المبحث الأول:** حللت فيه ظاهرة النفاق تحليلاً تاريخياً، وقسمت هذا التحليل إلى أنواع ثلاثة

تناولتها في المطالب الثلاثة التي احتواها هذا المبحث:

- **أما المطلب الأول:** فتناولت فيه ظاهرة النفاق من حيث النشأة والظهور، وأرجعتها

إلى بذور نشأتها الأولى: مكاناً وتاريخاً.

- **وأما المطلب الثاني:** فحاولت أن أقف فيه على الأسباب التي كانت من وراء إنشاء

هذه الظاهرة، ولم أعن في هذا المطلب إلا بالأسباب التاريخية.

- **وفي المطلب الثالث:** حللت ظاهرة النفاق من حيث التطور التاريخي، بدءاً بالبذور

الأولى لنشأتها، مروراً بالفلتات البسيطة التي كانت تصدر بين الحين والآخر من كبير المنافقين ورأسهم عبد الله بن أبي بن سلول أو ممن كان معه على شاكلته في المراحل التي تلت النشأة، سواء المراحل الأولى منها أو المراحل المتقدمة، وانتهاءً إلى الذروة التي وصلت إليها الظاهرة في أعتى صورها وفي قمة مراحلها.

**وأما المبحث الثاني:** فقد خصصته لتحليل الظاهرة تحليلاً نفسياً حاولت أن أقف من خلاله

على الخلفيات النفسية التي أفترض - من خلال الاستقراء المتبوع بالدراسة والتحليل - أن تكون جميعها أو بعضها الدوافع الأساسية التي تكمن وراء سلوك أفراد من المجتمع فرادى أو جماعات سبيل النفاق، وكانت النقاط التي استعنت بها لإبراز ذلك نقاطاً ثلاثة هي مطالب هذا المبحث:

- **أما المطلب الأول:** فحاولت أن أقف فيه على الأسباب النفسية التي حذت بطائفة

من الناس إلى سلوك سبيل النفاق تجاه دعوة الإسلام.

- **وأما المطلب الثاني:** فقد خصصته لتحليل شخصية المنافق تحليلاً كنت أرجو من

خلاله أن أغوص في أعماق شخصية المنافقين وأستخرج من خباياها ما يمكنني أن أرسم به معالم تعين على فهم الظاهرة، وتحديد الناحية النفسية منها.

- **والمطلب الثالث:** خصصته لدراسة تعلات المنافقين ومعاذيرهم التي سجلها لهم

القرآن مما كانوا يلقون به إلى النبي ﷺ متى أدركوا أن في سلوكهم ما يخالف طبيعة الادعاء الذي ادّعوه، أو متى لم تقو نفوسهم الضعيفة على الاستجابة لما يفرضه واقع الإسلام من مناسبات جامعة، وأردتها دراسة فيها من التحليل النفسي ما أحسب أنه يعين على كشف جانب كبير من الخلفية التي طبعت المنافقين.

## الفصل الثالث: وهو بعنوان: نقد ظاهرة النفاق، وتناولت هذا النقد في ثلاثة

مباحث، خلافا لما جرى عليه من قبل من اقتصار على مبحثين اثنين:

أما المبحث الأول: فقد جعلت عنوانه: أساليب المنافقين وآثار ظاهرة النفاق، وتناولت تفاصيلهما من خلال مطلبين اثنين:

- جعلت المطلب الأول منهما: رصدًا لمختلف تلك الأساليب التي كان المنافقون يلجؤون إليها في مختلف المناسبات، مما يتصيدون فيه الفرص التي تلقي بنفسها إليهم، أو مما يصنعونه من أنسجة خيالهم.

- جعلت المطلب الثاني: استقراء لما أحدثته تلك الأساليب ولما أحدثته ذلك النشاط المكثف للمنافقين من آثار في المجتمع المدني -مجتمع الرسول ﷺ وصحابته الأطهار- بصورة تؤكد من جهة أن الكيد للصف المسلم من الداخل من أهم العقبات التي تواجهه، وتؤكد من جهة ثانية أن جهود المنافقين آتت ثمارها في خير القرون فكيف بما بعدها؟

وأما المبحث الثاني: فهو محاولة لرسم منهج القرآن الكريم في عرض ظاهرة النفاق، وقد حاولت رسم ذلك من خلال مطلبين اثنين:

- خصصت المطلب الأول منهما: لعرض منهج القرآن الكريم في تناوله للظاهرة: وقد رصدت في ذلك نقاطا خمسة أحسب أنها رسمت ذلك المنهج بصورة واضحة.

- وخصصت المطلب الثاني: لعرض منهج القرآن الذي سلكه في التعامل مع الظاهرة، وقد حصرت مجموعة من المحاور ضمّنتها معالم لمنهج القرآن في التعامل مع الظاهرة، وهي معالم ذات شقين: شق يتجه إلى الفئة المؤمنة، وشق آخر يتجه إلى المنافقين في الوقت نفسه.

وأما المبحث الثالث: فقد خصصته لما ينبغي أن يكون نهاية للبحث وهو تقويم ظاهرة النفاق، وتناولت ذلك التقويم من خلال مطلبين اثنين:

- تناولت في المطلب الأول: التقويم العقدي لظاهرة النفاق، وهو تقويم يستلزم بالضرورة الحديث عن النفاق بشقيه: العقدي والعملي.

- وتناولت في المطلب الثاني: التقويم الفقهي.

## الخاتمة:

وتضمنت أهم نتائج البحث التي توصلت إليها مع تضمينها ببعض المقترحات.



وقد حاولت جهدي أن أصل بالبحث إلى المستوى الذي يؤهله للمتابعة والنقد والتصحيح والتقويم، وتمثلت لذلك بقول الشاعر الكبير بشار بن برد:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معاييه

فقد رجوت بعد هذا الجهد أن تعد للبحث معاييه وأن تحصر له نقائصه، وما طمعت أبدا أن يخلو من نقص وعيب، أو نقد وتقويم، بل إن صاحب البحث ذاته لو طلب منه أن يعيد مراجعة ما كتب لوجد في كل مرة خطأ يصححه، أو كلمة أو مقالة يود أن يحدث فيها تغييرا يبدو له عند كل مطالعة، وقديما كتب أستاذ العلماء البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذرا له عن كلام استدركه عليه: "إنه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا، وها أنا أخبرك به، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"<sup>(1)</sup>.

ولم أسق النص تبريرا لضعف أو التماسا لعذر أو طلبا لصرف النظر عما قصرت فيه وتهاونت، أو عما قصرت فيه معرفتي وقلت فيه حيلتي، وإنما هي الحقيقة التي أعلم أني لا أسلم منها مهما اجتهدت وبلغت.

ولكنني -على كل حال- جهدت جهدي واجتهدت رأبي ونفسي، ورجوت بعد ذلك أن أبلغ مجهودي فأصل بالبحث إلى المستوى المطلوب والقدر المقبول..

حاولت ذلك من خلال تلك الخطة التي رسمتها وقد قاربت فيها وسددت ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وحاولته من خلال ما اعتمدته من الرجوع إلى المصادر وأمهات الكتب في الموضوع أو فيما يتصل به بنسبة جاوزت ثلثي المراجع المعتمدة، وجعلت الثلث الباقي -والثلث كثير- للمراجع الحديثة، فقد وجدت فيها ما لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال، بل كانت -والحق أقول- الزندين اللذين قدحا في من الأفكار ما أخذته ثم تخيرت منه وأثريت، ثم صنعت منه لبنات رفعت بعضها فوق بعض وأقمتها بما يتفق مع الموضوع ويستقيم.

وأثريت البحث بعد ذلك بهامش التزمت فيه بأن ذكرت لكل الآيات التي اعتمدها في البحث كله -أصلا أو عرضا أو نقلا- سورتها ورقمها ولم أستثن من ذلك إلا ما ورد منقولا

---

(1) انظر: أجد العلوم، للشيخ صديق بن حسن بن علي القنوجي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م، (ص52).

في الهامش، وأثريته بما التزمته من تخريج للأحاديث والآثار، وقد بلغت في مجموعها - ما كان منها في المتن أو في الهامش - ما يقارب مائة وعشرين (120) حديثاً، وزينته أيضاً بترجمة لثمانية وتسعين (98) علماً اعتمدت فيها على مصادر متعددة متنوعة، وكان فيها من الإشارات والشروح والإحالات ما أرجو به أن يكون البحث مساهمة علمية في موضوعه.

وختمت البحث أخيراً بثبت للفهارس تضمّن: فهرساً للآيات الكريمة مرتبة حسب ترتيب المصحف، ثم فهرساً للأحاديث النبوية والآثار معاً، ثم فهرساً للأعلام مرتبة على حروف الهجاء، ففهرساً للمصادر والمراجع مرتبة هي أيضاً - بالنظر إلى عنوان الكتاب - على حروف الهجاء، مع إسقاط "ال" في المعرف منها، وختمت الفهارس بفهرس لموضوعات البحث.

## العوائق والصعوبات:

هذا، ولا يفوتني أن أذكر أن صعوبات كثيرة متنوعة اعترضت سبيلي فأقعدتني أحياناً وأرجأت لي البحث أحياناً آخر كثيرة، إلا أنني أعترف أنها في أغلبها من جنس ما يلاقيه كل طالب؛ فقلة المراجع المتخصصة في الموضوع.. أو توفرها في أماكن قد لا تسعف الظروف - في كثير من الأحيان - على الوصول إليها واقتنائها.. أو ما يعترض المرء من عوارض وشواغل في هذه الحياة هي أول ما يشغل طالب العلم ويشتت فكره، وهي أكبر ما يعيقه عن البحث العلمي.. وكل ذلك مما لا يسلم منه أحد.. فلما علمت أن ذلك من طبيعة الطريق استعنت بالله وسألته التوفيق والسداد، وشمرت ثوبي على الساقين واجتهدت، وأوصلت الدعاء بعد ذلك بجبال من الأسباب، وحسبي بعد ذلك من البحث - على ما فيه من نقص وقصور - أني بذلت جهداً أرجو أن يسدده النصح والتوجيه، ويصقله النقد والتقويم.

## وختاماً

لست أدعي بعد هذا الجهد أني أحطت بالموضوع إحاطة كاملة، أو أني استوفيت كل مباحثه الضرورية، فإني أعلم أن ثمت مباحث كان يحسن أن تكون حاضرة، إلا أن خشية القصور من جهة وخشية التطويل والتفريع من جهة أخرى أمسكت بيدي وألزميني ألا أخوض في باب أعلم أني لا أفتحه إلا استفتح لي أبواباً أخرى، فأمسكت إمساك من يرجو أن يكون مقتصدًا غير ظالم لنفسه.

كما أنني لا أدعي الإحاطة في الدراسة والتحليل لما أثبتته في هذه الفصول والمباحث التي اقتصرت عليها وجعلتها عماد بحثي، فإني أعلم -يقينا- أن ثمت من الثغرات والنقائص ما لا يحتاج الوقوف عليه إلى كبير عناء.

ولئن لم أدع هذا -استجابة للحقيقة التي أعلمها عن قصوري لا استحابة لأدبيات تفرض نفسها على طالب علم خطواته في طريق العلم هي أولى خطوات دارج متعثر- أقول: لئن لم أدع هذا فإني أسمح لنفسي بعد ذلك أن أزعم أنني بذلت من الجهد فيما أثبت ما أحسب أنه يشفع لي في هذا القول، وغرست فيه من بنات فكري ما أرجو أن أخرج به عن التكرار، وما أرجو أن أجعله لبنة في صرح البحث العلمي تفتح بابا للمزيد أو للتعقيب، واستحضرت قبل أن أخطو أولى خطوات البحث قول ابن العربي: "لا ينبغي لحصيف يتصدى إلى تصنيف أن يعدل عن غرضين: إما أن يخترع معنى وإما أن يتدع وضعا ومبنى، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق والتحلي بحلية السرقة"<sup>(1)</sup>، فاستعدت بالله من تسويد الورق، ورجوت بما وثقت وأحلت أن أبرأ من السرقة، وطمعت بعد ذلك أن أنسج وضعا ومبنى من خيوط ما أتيح لي من مصادر ومراجع هي في مجملها "178" كتابا لا أزعم أنها تحكم لي بالتنوع أو الثراء المستوفيين لمادة البحث، ولكنها على كل حال جهد المقل، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

وفي الختام أسأل الله العلي العظيم أن يتقبل مني هذا العمل ويباركه، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما قد يكون فيه من زلل أو شطط، أو ما كان فيه من تأويل لآياته على غير الوجه الذي أنزلت.. فالخير قصدت، والصواب تحريت، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ سورة هود، الآية: 88.

كما أنني أسأله تعالى أن ينفع به في هذه الدار النفع المرجو، وأن ينفعني به في دار الجزاء ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ سورة الشعراء، الآيتان: 88-89.

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) انظر: أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية، محمد أحمد الراشد، دار المحراب للنشر والتوزيع، فان كوفر كندا- زيورج سويسرا، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م، (10/1).

# الفصل الأول: تعريف النفاق

وجعلت هذا الفصل مبحثين اثنين هما:

المبحث الأول: تعريف النفاق ومطابقه في القراءات الكريم

المبحث الثاني: عرض وقرئب الآيات النفاق

## تمهيد

إن المتتبع لنصوص القرآن الكريم يجد من غير عناء أن القرآن الكريم عني منذ اللحظات الأولى لبداية العهد المدني بالحديث عن التّفاق والمنافقين، يشير إلى سلوكاتهم الظاهرة التي تتناقض مع حقيقة الادّعاء الذي ما انفكوا يعلنونه في كلّ مناسبة - بل ومن غير مناسبة في أحيان كثيرة- ويخلفون عليه بأغلظ الأيمان وما استحلّفهم في ذلك أحد، ويعزو ذلك التناقض الواضح فيهم إلى الحقيقة المستقرّة في نفوسهم؛ الحقيقة التي يعلمها الله عنهم وهو العليم الخبير ويريد للفئة المؤمنة أن تعلمها من خلال الأمارات التي يكشفها لهم..

ويتتبع فلتات ألسنتهم، ولفلتات اللسان دلالات تعرب عمّا تكنّه الصدور، وتشفي بما تخفيه الضمائر، وتخرج ما يتلجج في خلجات النفوس..

ويذيع ما يدور بينهم من سخرية أو كذب أو مكر وخداع يقولونه إذا خلا بعضهم إلى بعض أو خلوا إلى شياطينهم وقد آمنوا من أن يطّلع عليهم أحد، فإذا الآيات تنزل ريحا صرصرا تعري سوءاتهم وتكشف عوراتهم فلا يجدون ما يخصفون به عليهم سوى معاذير وتعلّات يعلمون هم أنفسهم أنّها واهية..

ويغوص القرآن في أعماق نفوسهم يتتبع مكنوناتها ويحلّل خباياها ويكشف سرائرها حتّى تعلم الفئة المؤمنة حقيقة المرض الذي اعتلت به هذه النفوس، وتقف على طبيعة الدوافع التي أنشأت هذا السلوك العليل في فعة من الناس ظنّت في نفسها الفطنة والدكاء..

وينزل القرآن أيضا يحذّر المؤمنين من أن يشكّكهم المنافقون ببعض الشبهات التي يطلقونها بين الحين والآخر كلّما وجدوا مدخلا أو منفذا، ويحذّروهم من أن يستغفلوهم فيجرّوهم إلى الاشتغال بما يوهن صقّهم ويضعف قاعدتهم..

وقد عرف العهد المدني كمّا من الأحداث والمناسبات تنزّل في شأنها آيات من القرآن كان لموضوع التّفاق والمنافقين منها حظّ وافر، لأنّ المنافقين لمّا لم يجرؤوا على البوح بحقيقة اعتقادهم كانوا يجدون في كلّ حادثة مناسبة للطّعن أو التجريح أو الغمز واللّمز، لذلك لا غرو أن نجد الحديث عنهم حاضرا في كثير من فصول القرآن المدني.

## المبحث الأول

### تعريف النفاق ومطابقه في القرآن الكريم

#### المطلب الأول: تعريف النفاق لغة واصطلاحاً

##### الفرع الأول: تعريف النفاق لغة

يطلق النفاق في اللغة على معنيين اثنين:

أ- الأول من الإنفاق وهو جمع النفقة، قال ابن منظور<sup>(1)</sup>: (والنفاق بالكسر جمع النفقة من الدراهم)<sup>(2)</sup>، وفعله نفق بالكسر؛ يقال: (نَفِقَ الزاد يَنْفِقُ نَفَقًا أي نفد)<sup>(3)</sup>، وحكى بعض أهل اللغة: (نفدت نفاق القوم ونفقاتهم - بالكسر - إذا نفدت وفيت)<sup>(4)</sup>، ويقال: نفقت نفاقهم<sup>(5)</sup>.

(1) هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر سنة ثلاثين وستمائة، عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم تولى القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر وتوفي بها، ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، عمي في آخر عمره. أشهر كتبه "لسان العرب"، "مختار الأغاني"، توفي (سنة 711هـ).  
انظر ترجمته في: فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتيبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1973م، (4/39-40)؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت لبنان، 1414هـ-1993م، (4/262-264)؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (1/248)؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.ط)، (6/26-27)؛ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثانية عشرة: 1997م، (7/108).

(2) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صابر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1410هـ-1990م، (10/358)؛ وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية: 1399هـ-1979م، (4/1560).

(3) لسان العرب، لابن منظور، (10/358)؛ وانظر: الصحاح، للجوهري، (4/1560).

(4) لسان العرب، لابن منظور، (10/358).

(5) انظر: الصحاح، للجوهري، (4/1560).

ب- والمعنى الثاني مأخوذ من النافقاء وهو جحر الضب واليربوع، قال ابن الأثير<sup>(1)</sup>: (قد تكرر في الحديث ذكر "النفاق" وما تصرف منه اسما وفعلا، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفا، يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقا، وهو مأخوذ من النافقاء أحد جحرة اليربوع؛ إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه)<sup>(2)</sup>.

قال الجوهري<sup>(3)</sup>: (والنافقاء إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع

---

**(1)** هو الشيخ الإمام الحافظ العلامة المحدث الأديب النسابة أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني بن الأثير، ولد بجزيرة ابن عمر سنة 555هـ، ونشأ بها هو وأخوه العلامة مجد الدين والوزير ضياء الدين ثم تحول بهم أبوهم إلى الموصل فسمعوا بها واشتغلوا وبرعوا وسادوا، كان بيته بالموصل مجمع الفضلاء، كان نسابة أخباريا عارفا بالرجال وأنسابهم ولا سيما الصحابة، توفي (سنة 630هـ).

**انظر ترجمته في:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (3/348-350)؛ سير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م، (16/285-287)؛ طبقات الحفاظ، للإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1414هـ-1994م، (ص495-496)؛ التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لصديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م، (ص92).

**(2)** النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1421هـ-2000م، (5/98).

**(3)** هو إمام اللغة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الأتراري، نسبة إلى أترار وهي مدينة باراب -أو فاراب- ناحية كبيرة واسعة وراء نهر جيحون، وهو أحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة وفي الخط، قال السيوطي أول من التزم الصحيح مقتصرًا عليه الجوهري. كان يحب الأسفار والتغرب، دخل بلاد ربيعة ومضر، ثم عاد إلى خراسان فأقام بنيسابور يدرس ويصنف ويعلم الكتابة وينسخ المصاحف. مات مترديا من سطح داره بنيسابور، وقيل إنه تغير عقله، وكان ذلك (سنة 393هـ)، وقيل في حدود سنة أربع مائة.

**انظر ترجمته في:** سير أعلام النبلاء، للذهبي، (13/40-42)؛ لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م، (1/446-448)؛ بغية الوعاة، للسيوطي، (1/446-448)؛ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني، المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1413هـ-1992م، (2/1071-1073).

يرفقه، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي خرج<sup>(1)</sup>.

وهذا هو المعروف عند العرب عن اليربوع يتخذ لنفقه في الأرض مخرجين اثنين أحدهما منفذ مفتوح يسمى قاصعاء، ويحفر ثانيهما حتى يرق ولا ينفذه إلى السطح ويسمى نافقاء، فإذا طلب من الأول سهل عليه ضرب الثاني ضربة يسيرة ينهال بها التراب الرقيق فيخرج منه، أو يتخذ له جحرة متعددة يدخل بعضها ثم يراوغ الذي يريد صيده فيخرج من جحر آخر<sup>(2)</sup>، وكان يقال في ذلك: (نافق اليربوع إذا دخل في نافقائه، وقصّع إذا خرج من القاصعاء)<sup>(3)</sup>.

وإنما سمي المنافق في الدين بهذه التسمية تشبيها له باليربوع في حيلته هذه؛ إما من جهة أن المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه وهو في ذلك كاليربوع إذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء، أو من جهة أن ظاهر المنافق الإيمان وباطنه الكفر وهو في ذلك كاليربوع ظاهر جحره تراب على وجه الأرض وباطنه حفر<sup>(4)</sup>.

والقول بأن النفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع هو قول عامة أهل اللغة<sup>(5)</sup>، وهو ما رجحه ابن منظور؛ قال: (وهو مأخوذ من النافقاء لا من النفق)<sup>(6)</sup>.

وقيل إن النفاق مأخوذ من النفق وهو السرب الذي يستتر فيه، قالوا: ومنه قوله تعالى:

---

**(1)** الصحاح، للجوهري، (4/1560)؛ وانظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م، (ص504)؛ القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزبادي الشيرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م، (ص833).

**(2)** انظر: أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ، (30/1)؛ لسان العرب، لابن منظور، (10/359).

**(3)** لسان العرب، لابن منظور، (10/359).

**(4)** انظر: المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري، تقديم وتحقيق: الشيخ محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1992م، (1/198).

**(5)** انظر: تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1398هـ-1978م، (ص29)؛ الصحاح، للجوهري، (4/1560)؛ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1411هـ-1991م، (5/455).

**(6)** لسان العرب، لابن منظور، (10/359).



﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾<sup>(1)</sup> وإنما قالوا ذلك لأن المنافق يستتر كفرة ويداريه عن الناس، فأشبهه الداخل للنفق الذي يستتر فيه<sup>(2)</sup>.

وعندما رسا الإسلام في الناس وانتشرت ألفاظه ومعانيه بينهم صار للنفاق معنى لغوي جديد اشتق من المعنى الاصطلاحي فصار النفاق بمعنى مخالفة الباطن للظاهر عموماً.

قال المازري<sup>(3)</sup>: (أو يكون أراد النفاق اللغوي الذي هو إظهار خلاف المضمرة)<sup>(4)</sup>.

وقال القرطبي<sup>(5)</sup>: (قال علماء اللغة: إنما سمي المنافق منافقاً لإظهاره غير ما يضمرة)<sup>(6)</sup>.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 35.

(2) انظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري، (198/1)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (98/5)؛ لسان العرب، لابن منظور، (359/10).

(3) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، ولد بمدينة المهديّة من إفريقية وبها مات، كان أحد الأذكياء الموصوفين والأئمة المتبحرين في الفقه والحديث. اطلع على علوم كثيرة من طب وحساب وآداب وغير ذلك فكان أحد رجال الكمال في زمانه، وهو آخر المتكلمين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر، ولم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه منه ولا أقوم بمذهبهم. له تواليف كثيرة منها "المعلم بفوائد مسلم". توفي (سنة 536هـ) وله ثلاث وثمانون سنة.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (285/4)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (567-566/14)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (114/4)؛ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م، (188-186/1).

(4) المعلم بفوائد مسلم، للمازري، (197/1).

(5) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي المفسر، كان إماماً عالماً من الغواصين على معاني الحديث. من مصنفاته: "الجامع لأحكام القرآن" قال الداودي: (التفسير المشهور الذي سارت به الركبان)، "الكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى"، "التذكار في أفضل الأذكار"، توفي (سنة 671هـ).

انظر ترجمته في: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، للقاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م، (ص407-406)؛ طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي، مكتبة وهبة عابدين، الطبعة الأولى: 1392هـ-1962م، (2/65)؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، طبعة جديدة: 1997م، (2/213-210)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (335/5)؛ شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، (ص196).

(6) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (190/1).

وقال الإمام النووي<sup>(1)</sup>: (وأصل التّفقاق إظهار ما يكتم خلافه من الشّر)<sup>(2)</sup>.

وقال ابن رجب الحنبلي<sup>(3)</sup>: (والذي فسّره به أهل العلم المعتبرون أنّ التّفقاق في اللغة هو

من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه)<sup>(4)</sup>.

**(1)** هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي محيي الدين الدمشقي الشافعي، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى وتوفي بها، ولهذا يعرف بالنووي، مشارك في بعض العلوم، قال ابن العطار: (كان قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل بالعلم... ولم يتزوج)، من تصانيفه: "الأربعون النووية" في الحديث، "رياض الصالحين"، "روضة الطالبين وعمدة المفتين"، في فروع الفقه الشافعي، توفي سنة سبع وسبعين وستمائة (سنة 677هـ)، وله من العمر ست وأربعون سنة.

**انظر ترجمته في:** تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، (4/174-176)؛ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلوة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة مصر، الطبعة الثانية: 1413هـ-1993م، (8/395-400)؛ طبقات الشافعية، لتقي الدين بن قاضي شهبة، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1406هـ-1986م، (2/153)؛ كشف الظنون، لحاجي خليفة، (1/936)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (5/354-356).

**(2)** صحيح مسلم بشرح الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، مصدرا بـ"المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي"، للإمام جلال الدين السيوطي، ضبط وتوثيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1415هـ-1995م، (17/59).

**(3)** هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي يكنى أبا الفرج ويلقب بزین الدين، محدث فقيه أصولي مؤرخ، مولده ببغداد ونشأته وتعلمه بدمشق، وله رحلة إلى مصر ومكة، من مؤلفاته: "القواعد"، "ذيل طبقات الحنابلة"، "جامع العلوم والحكم"، "الاستخراج لأحكام الخراج"، توفي بدمشق سنة خمس وتسعين وسبعمائة (سنة 795هـ).

**انظر ترجمته في:** طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص540)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (6/339-340)؛ التاج المكلل، للقنوجي، (ص333)؛ الأعلام، للزركلي، (3/295).

**(4)** جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص438).

وقال ابن حجر<sup>(1)</sup>: (التَّفَاق لغة مخالفة الباطن للظَّاهر)<sup>(2)</sup>.

وقد أوماً ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث" لهذا المعنى بقوله: (وفي حديث حنظلة<sup>(3)</sup>)

**(1)** هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الملقب بشهاب الدين المعروف بابن حجر العسقلاني (نسبة إلى عسقلان بفلسطين) الشافعي الحافظ المؤرخ الفقيه الموصوف بأنه البيهقي الثاني، رحل إلى كل من اليمن والشام والحجاز لسماع الشيوخ فأتقن علم الحديث وتصدى لنشره، إذا أطلق لفظ "الحافظ" فهو المراد، من مصنفاته: "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، "الإصابة في تمييز الصحابة" .. توفي (سنة 852هـ).

**انظر ترجمته في:** الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م، (2/36-40)؛ طبقات المفسرين، للدودي، (1/49)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (7/270-273)؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق الدكتور: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق سورية-دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، (ص103-107)؛ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م، (ص125-126).

**(2)** فتح الباري بشرح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (1/89).

**(3)** هو الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف المعروف بغسيل الملائكة، وذلك أنه حين استشهد بأحد قال النبي ﷺ إن صاحبكم تغسله الملائكة، فسألوا امرأته فقالت سمع الهبة وهو جنب فلم يتأخر للاغتسال، ف قيل له غسيل الملائكة وقيل لولده بنو غسيل الملائكة. استشهد ﷺ يوم أحد نصف شوال (سنة 3هـ)، قتله أبو سفيان بن حرب وقال حنظلة بحنظلة يعني بابنه حنظلة المقتول ببدر.

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1405هـ-1985م، (5/66)؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م، (1/437)؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م، (1/380-382)؛ الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1421هـ-2001م، (1/538)؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1423هـ-2003م، (1/621-622).

«نافق حنظلة»<sup>(1)</sup> أراد أنه إذا كان عند النبي ﷺ أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها، فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه<sup>(2)</sup>، وهو المعنى الذي أطلقه السيوطي<sup>(3)</sup> في الديباج<sup>(4)</sup>، وأشار إليه صاحب القاموس الفقهي<sup>(5)</sup>.

## الفرع الثاني: تعريف النفاق اصطلاحاً

النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب -قبل نزول القرآن الكريم- بالمعنى المخصوص الذي وضع له كما سبق أن بينت في المطلب الأول، وفي مقابل ذلك قلّ من العلماء من عني بوضع

**(1)** يشير إلى حديث حنظلة وتماهه: «لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت: نافق حنظلة، قال سبحان الله ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إن لو تدمون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات». أخرجه مسلم [كتاب التوبة/باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا]، (2106/4)، رقم 2750.

**(2)** النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (98/5).

**(3)** هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخصيري السيوطي، ولد بالقاهرة سنة 849هـ ونشأ بها، برع في علوم كثيرة كالتفسير والحديث والفقه والنحو واللغة. من مؤلفاته: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، "المزهر في اللغة"، "الإتقان في علوم القرآن"، "الأشباه والنظائر" في الفقه وفي النحو. توفي (سنة 911هـ).

**انظر ترجمته في:** شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (51/8-55)؛ طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأندودي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى: 1317هـ-1997م، (ص365-366)؛ الأعلام، للزركلي، (301/3-304).

**(4)** انظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حقق أصله وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1416هـ-1996م، (79/1).

**(5)** انظر: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق سورية، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م، (ص357).

تعريف دقيق جامع مانع لمصطلح النفاق على غرار ما هو شائع في كتبهم في مختلف العلوم والفنون، وكانوا إذا تحدّثوا عن النفاق فكأنّما تحدّثوا عن معنى مسلّم إذا أطلق لم تختلف الأفهام في ماهيته، وتجاوزوه إلى ذكر خصال النفاق والمنافقين التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف، وقد يعرفونه تارة أخرى بأقسامه التي نصّوا عليها.

ومن خلال تتبّعي لمختلف تلك الأقوال وجدت أن خلاصة أقوالهم في النفاق شرعا أنه:

"إظهار الإيمان وإبطان الكفر"، ومن تلك الأقوال -على سبيل المثال لا الحصر- ما نقرؤه:

- عند ابن الأثير، يقول: (وهو -أي النفاق- اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه)<sup>(1)</sup>.

- ونقرأ في "جامع العلوم والحكم": (هو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كلّ أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدمّ أهله وتكفيرهم، وأخبر أنّ أهله في الدرك الأسفل من النار)<sup>(2)</sup>.

- وفي "فتح الباري": (النفاق إظهار الإيمان وإخفاء الكفر)<sup>(3)</sup>.

- وفي "فيض القدير": (وهو إبطان الكفر وإظهار الإيمان)<sup>(4)</sup>.

- وفي "عون المعبود": (والنفاق أي إظهار الإسلام وإبطان الكفر)<sup>(5)</sup>.

- وفي "معجم لغة الفقهاء": (إسرار الكفر وإظهار الإيمان)<sup>(6)</sup>.

---

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (98/5).

(2) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص438).

(3) فتح الباري، لابن حجر، (74/13).

(4) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ-2001م، (84/1).

(5) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1423هـ-2003م، (284/4).

(6) معجم لغة الفقهاء، أ.د محمد رواس قلعة جي و د.حامد صادق قتيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م، (ص483).

ومن الكتب التي عنيت بجمع التعريفات والاصطلاحات التي تفرقت في كتب العلماء في شتى العلوم والفنون:

- كتاب "التعريفات"، وفيه نقراً: (النفاق: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب)<sup>(1)</sup>.

- وكتاب "كشاف اصطلاحات الفنون"، وفيه نقراً عن المنافق أنه: (الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر)<sup>(2)</sup>.

## المطلب الثاني: مظانّ النفاق في القرآن الكريم

### الفرع الأول: لفظ النفاق في القرآن الكريم

لقد استعمل القرآن الكريم لفظ النفاق وما اشتق منه ستاً وثلاثين مرّة؛ كل تلك الألفاظ بالمعنى الاصطلاحي:

#### -أولاً: لفظ "النفاق"

﴿فَأَعْتَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾<sup>(3)</sup>  
﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(4)</sup>  
﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(5)</sup>

#### -ثانياً: لفظ "المنافقون"<sup>(6)</sup> و"المنافقات"

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ مَرَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾<sup>(7)</sup>

(1) التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1403هـ-1983م، (ص245).

(2) كشاف اصطلاحات الفنون، للشيخ محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي، وضع حواشيه: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م، (ص249).

(3) سورة التوبة، الآية: 77.

(4) سورة التوبة، الآية: 97.

(5) سورة التوبة، الآية: 101.

(6) وقد ألحقت به المنسوب والمجرور لأنهما من لفظه.

(7) سورة النساء، الآية: 61.

- ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَمَرَكُمُ بِمَا كَسَبْتُمْ﴾ (1)
- ﴿بَشِّرِ الْمُتَافِقِينَ أَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (2)
- ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (3)
- ﴿إِنَّ الْمُتَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (4)
- ﴿إِنَّ الْمُتَافِقِينَ فِي الدَّمَارِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا﴾ (5)
- ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ (6)
- ﴿يَحْذَرُ الْمُتَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (7)
- ﴿الْمُتَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ (8)
- ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُتَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (9)
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (10)
- ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَافِقُونَ﴾ (11)
- ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُتَافِقِينَ﴾ (12)

- 
- (1) سورة النساء، الآية: 88.
- (2) سورة النساء، الآية: 138.
- (3) سورة النساء، الآية: 140.
- (4) سورة النساء، الآية: 142.
- (5) سورة النساء، الآية: 145.
- (6) سورة الأنفال، الآية: 49.
- (7) سورة التوبة، الآية: 64.
- (8) سورة التوبة، الآية: 67.
- (9) سورة التوبة، الآية: 68.
- (10) سورة التوبة، الآية: 73.
- (11) سورة التوبة، الآية: 101.
- (12) سورة العنكبوت، الآية: 11.

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾<sup>(1)</sup>
- ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَمَسْئُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(2)</sup>
- ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(3)</sup>
- ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَهْلَهُمْ﴾<sup>(4)</sup>
- ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾<sup>(5)</sup>
- ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾<sup>(6)</sup>
- ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾<sup>(7)</sup>
- ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾<sup>(8)</sup>
- ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(9)</sup>
- ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(10)</sup>
- ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(11)</sup>
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(12)</sup>

(1) سورة الأحزاب، الآية: 01.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 12.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 24.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 48.

(5) سورة الأحزاب، الآية: 60.

(6) سورة الأحزاب، الآية: 73.

(7) سورة الفتح، الآية: 06.

(8) سورة الحديد، الآية: 13.

(9) سورة المنافقون، الآية: 01.

(10) سورة المنافقون، الآية: 07.

(11) سورة المنافقون، الآية: 08.

(12) سورة التحريم، الآية: 09.



-ثالثاً: لفظ "نافقوا"

﴿وَلْيَعْلَمِ الْمُؤْمِنِينَ \* وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾<sup>(1)</sup>

﴿الْمُتَرَاتِلِ الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾<sup>(2)</sup>

### الفرع الثاني: حصر آيات النفاق

لقد تتبعت جميع نصوص القرآن الكريم التي تناولت موضوع النفاق والمنافقين من قريب أو من بعيد، وسواء أكانت بالعبارة الصريحة التي سمّت النفاق باسمه، أم كانت إشارة ضمنية بأن ذكرت جملة من المواصفات والطبائع التي لا تنصرف دلالتها -حتمًا- إلا لفئة من الناس عرفوا بنفاقهم، أو تناولت وقائع وأحداثاً ندرك -بالوقوف على أسباب النزول- أنها نزلت فيهم، وسواء أكانت هذه النصوص طويلة أم موجزة..

وبعد تتبّع هذه النصوص<sup>(3)</sup> وقفت على ما يلي:

-أولاً: عدد السور: عدد السور التي تناولت موضوع النفاق والمنافقين ست عشرة سورة "16"

هي بترتيب المصحف كما يلي:

02-سورة آل عمران

01-سورة البقرة

04-سورة المائدة

03-سورة النساء

06-سورة التوبة

05-سورة الأنفال

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 166-167.

(2) سورة الحشر، الآية: 11.

(3) استعنت في حصر هذه النصوص بمصادر مختلفة أبرزها: ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، لعبد الرحمن حسن حبتكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى: 1414هـ-1993م، (ج1+ج2)؛ المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، لصبحي عبد الرؤوف عصر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، (د.ت.ط)، (ص347 وما بعدها)؛ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لفؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (ص716-717)؛ فهارس الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، إعداد محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414هـ-1994م، (1/248 وما بعدها)؛ موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة السعودية، الطبعة الثانية: 1419/1420هـ-2000/1999م.

07- سورة النور	08- سورة العنكبوت
09- سورة الأحزاب	10- سورة محمد
11- سورة الفتح	12- سورة الحديد
13- سورة المجادلة	14- سورة الحشر
15- سورة المنافقون	16- سورة التحريم

والملاحظ في هذه السور التي تناولت موضوع التفاق والمنافقين أنّها سور مدنيّة إجماعاً خلا سورتين اثنتين هما "النساء" و "محمد"، وإنّ الأصحّ من أقوال العلماء فيهما أنّهما مدنيّتان<sup>(1)</sup>، وسورة واحدة هي "العنكبوت" فإن الخلاف فيها يبقى قائماً، لكن أصحّ الأقوال أنّها من أواخر ما نزل بمكة إلا الآيات الأوائل منها فإنّها نزلت بالمدينة كما رجّح ذلك بعض العلماء<sup>(2)</sup>.

ولأجل هذا المعنى لم أثبت ثلاث سور هي "الحجّ" و "المدثر" و "الماعون".

فأما سورة "الحجّ" فقد ورد فيها قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ قِنْتَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(3)</sup>، ولقد قال عامة أهل التأويل من المفسرين المتقدمين إنّ "الذين في"

(1) أما سورة "النساء" فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده» تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بنى بها، ولا خلاف بين العلماء في أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بعائشة إلا بعد الهجرة.

الحديث أخرجه البخاري [كتاب فضائل القرآن/باب تأليف القرآن]، (ص956)، رقم4993.

وأما سورة "محمد" فقد قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (16/206): (مدنية في قول ابن عباس؛ ذكره النحاس. وقال الماوردي: في قول الجميع إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا: إلا آية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع).

(2) السورة مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية كلها في أحد قولي عبد الله بن عباس وقتادة. وفي القول الآخر لهما أنّها مكية إلا عشر آيات من أولها فإنّها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة، وقال بهذا يحيى بن سلام، وهو القول الذي مال إليه الإمام الطبري في تفسيره. انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (13/297)؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت لبنان، 1408هـ-1988م، (20/133).

(3) سورة الحج، الآية: 53.

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ<sup>(1)</sup>، إلا أنه تفسير عام عني بشرح لفظ ارتبط -لاحقا- بالمنافقين ولم يُعْنِ بإسقاطه على حدث -ولو واحد- يفيد تلك الدلالة التي انصرفت إليه في المرحلة المدنية وانتفت عنه في المرحلة المكية، إذ المعلوم أنه لا نفاق في مكة كما سأبين ذلك في فصول لاحقة إن شاء الله<sup>(2)</sup>، لذلك كان ينبغي أن يصرف هذا اللفظ إلى العموم الذي يناسب طبيعة المرحلة كما فعل صاحب الجواهر الحسان<sup>(3)</sup> على سبيل المثال، وتخرج السورة بذلك من عداد نصوص النفاق.

وأما سورة "المدثر" ففيها قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾<sup>(4)</sup>.

ورغم أن أكثر المفسرين<sup>(5)</sup> قالوا بأن المقصود بقوله تعالى "الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ" المنافقون إلا أنه لا يستقيم، لأن السورة مكيّة إجماعا ولا نفاق في مكة، وقد أشار إلى هذا الإمام القرطبي فقال: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي في صدورهم شكّ ونفاق من منافقي أهل

(1) انظر على سبيل المثال: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (191/17)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (80/12)؛ تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار الوطن للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية- دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ- 2000م، (ص1283)؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1411هـ- 1990، (664/4).

(2) سيأتي تفصيله ص114 وما بعدها.

(3) قال: ("الذين في قلوبهم مرض" عامة الكفار). الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لولي الله تعالى والعارف بربه العلامة الإمام الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: الدكتور عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت.ط)، (131/3).

(4) سورة المدثر، الآية: 31.

(5) انظر على سبيل المثال لا الحصر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (161/29)؛ معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغدوي الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة: 1415هـ- 1995م، (417/4)؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص1938).

وقد نص على أن هذا الرأي هو رأي الأكثرية: ابن الجوزي في زاد المسير، والقرطبي في الجامع.

انظر: زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1414هـ- 1994م، (151/8)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (76/19).

المدينة الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد هجرة النبي ﷺ إليها، لأن السورة مكيّة والمعروف أنه لم يكن بمكة نفاق، أو أن المرض في هذه الآية الشكّ والارتياب لأنّ أهل مكة كان أكثرهم شاكّين<sup>(1)</sup>.

وأما سورة الماعون وفيها قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾<sup>(2)</sup> فلم أثبتها لاختلاف المفسرين اختلافا بينا في المقصود من "المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون" أهم المنافقون أم هي أوصاف عامّة تصحّ في كلّ من يفعل ذلك؟ ينضاف إلى ذلك كون السورة مكيّة على الرَّاجح، بل هو قول أكثر العلماء<sup>(3)</sup>، وإذا صح هذا فإنّه يقال في حقّها ما قيل في السورتين السابقتين.

**ثانياً: عدد النصوص القرآنية: عدد النصوص<sup>(4)</sup> التي تناولت موضوع النفاق والمنافقين في القرآن الكريم واحد وأربعون نصّاً هي كالاتي<sup>(5)</sup>:**

**(1)** انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (76/19).

ومن قال بهذا التأويل: البيضاوي، وأبو السعود، والألوسي، والنعالي.

انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م، (2/544)؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة: 1414هـ-1994م، (9/60)؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414هـ-1994م، (16/219)؛ الجواهر الحسان، للنعالي، (2/511).

**(2)** سورة الماعون، الآيات: 4-7.

**(3)** انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (8/328)؛ روح المعاني، للألوسي، (30/434).

**(4)** أعني بالنص مجموعة من آيات متتابعات ذات محور واحد ولو شكلت في مجموعها سورة بأكملها، وجعلت للسورة الواحدة - كسورة التوبة مثلاً - نصوصاً إذا فصل بين آيات الموضوع آيات تخرج عنه في محتواها، وجعلت الآية الواحدة نصاً.

**(5)** حرصت على أن أدوّن كل الآيات التي تحدثت عن الموضوع فلا أدر منها واحدة، وأثبتت معها الآيات التي تسبقها أو تليها مما لا يكتمل معنى الموضوع الذي تعالجه إلا بها، ولكنني في دراستها اقتصرته على المحاور الكبرى مما له صلة بموضوع البحث.

- 01- الآيات: 20-08=سورة البقرة
- 02- الآيات: 75-77=سورة البقرة
- 03- الآيتان: 142-143=سورة البقرة
- 04-==//==207-204=سورة البقرة
- 05- الآيات: 72-74=سورة آل عمران
- 06-==//==120-118=سورة آل عمران
- 07-==//==158-154=سورة آل عمران
- 08-==//==168-166=سورة آل عمران
- 09-==//==179-176=سورة آل عمران
- 10- الآية: 188=سورة آل عمران
- 11-==//==64...60=سورة النساء
- 12- الآيات: 71...82=سورة النساء
- 13-==//==91...88=سورة النساء
- 14-==//==115...105=سورة النساء
- 15-==//==147...138=سورة النساء
- 16- الآية: 41=سورة المائدة
- 17-==//==53...51=سورة المائدة
- 18- الآيات: 60...62=سورة المائدة
- 19- الآية: 49=سورة الأنفال
- 20-==//==96...41=سورة التوبة
- 21- الآيات: 97...106=سورة التوبة
- 22-==//==110...107=سورة التوبة
- 23-==//==127...124=سورة التوبة
- 24-==//==20...11=سورة التور
- 25-==//==54...47=سورة التور
- 26-==//==64...62=سورة التور
- 27- الآيتان: 10...11=سورة العنكبوت
- 28- الآية: 01=سورة الأحزاب
- 29- الآيات: 09...24=سورة الأحزاب
- 30- الآيات: 37...40=سورة الأحزاب
- 31- الآية: 48=سورة الأحزاب
- 32-==//==62...60=سورة الأحزاب
- 33-==//==73=سورة الأحزاب
- 34-==//==32...16=سورة محمد
- 35- الآيات: 01...16=سورة الفتح
- 36-==//==15...12=سورة الحديد
- 37-==//==10...07=سورة المجادلة
- 38-==//==19...14=سورة المجادلة
- 39-==//==17...11=سورة الحشر
- 40-==//==08...01=سورة المنافقون
- 41- الآية: 09=سورة التّحريم

ولم أثبت ضمن هذا العدّ آية واحدة هي قوله تعالى من سورة النور: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا  
فِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>.

(1) سورة النور، الآية: 33.

إن القول بأن الآية الكريمة نزلت في رأس المنافقين وكبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول<sup>(1)</sup> قول ثابت في الصحيح<sup>(2)</sup>؛ فقد كان يُكره جاريتين له على الزنى بيتغي بهما شيئاً من المال، إلا أنني -مع ذلك- لم أدرج الآية ضمن فصول الآيات التي تحدثت عن التفاق والمنافقين، وذلك لأنّ هذا الفعل الذي كان يقوم به عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن وليد مرض أو نفاق، وإنما هو فعل دأب عليه منذ الجاهلية، فقد صح عن ابن عباس<sup>(3)</sup> أنه قال: «كانت

---

(1) هو أبو الحباب عبد الله بن أبي بن سلول، رأس المنافقين وكهفهم، نزل في ذمه آيات كثيرة مشهورة، قدم رسول الله ﷺ المدينة وقومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكا كان وشيكا منه، فلما رأى أن قومه قد أبوا إلا الإسلام نافق. توفي زمن رسول الله ﷺ عقب تبوك وكفنه في قميصه وصلى عليه ووقف على قبره وعزى فيه ابنه عبد الله وكان من خيار الصحابة. انظر: السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م، (2/175-176)؛ الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/540)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (1/246). (2) ثبت ذلك في صحيح مسلم من رواية جابر<sup>(3)</sup> «أن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة فكان يكرهما على الزنى فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِياتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ إلى ﴿غَفُورٌ مَرْحِيمٌ﴾»، وفي رواية: «يقول لجارية له اذهبي فابغينا شيئاً».

أخرجه مسلم [كتاب التفسير/باب في ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء]، (4/2320)، رقم 3029. (3) هو الصحابي الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو أحد العبادلة الأربعة من فقهاء الصحابة، اشتهر برواية الحديث عن الرسول، وله في الصحيحين 1660 حديث. قال ابن مسعود: (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)، دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين والفهم في القرآن فكان يقال له حبر الأمة وبحرها لسعة علمه، عمي في آخر حياته، توفي (سنة 68هـ). انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (2/365-372)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/388-405)؛ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسآكهم، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1414هـ-1994م، (1/60-61)؛ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417-1997م، (1/185-187)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/931-939)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/185-189)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/439-457)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/229-236).

لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية، فلما حرم الزنى قالت لا والله لا أزني أبدا فنزلت: ﴿وَكَا  
تُكْرَهُوا قَتِيلَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾<sup>(1)</sup> «(2).

وعليه فإن عادة التكسب بالجواري بغاء - طلبا لخراجهن أو رغبة في أولادهن - لم يحدث  
بها المنافق عبد الله بن أبي بن سلول نشازا في المجتمع العربي، وإنما هي بقية من بقايا الجاهلية  
الأولى.

قال الحافظ ابن كثير<sup>(3)</sup>: (كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني، وجعل  
عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلما جاء الإسلام نهى الله المسلمين عن ذلك)<sup>(4)</sup>.  
وإنما تعلق نزول الآية ههنا بعبد الله بن أبي بن سلول لا لكونه منافقا ولكن لأن جاريته  
التي اعتاد أن يتكسب بها قد أسلمت وامتنعت عن فعل قديم كانت تمارسه وأرادت أن تتوب منه،  
فأراد ابن أبي أن يجبرها على ذلك فأنزل الله هذه الآية.  
وقد ساق الحافظ ابن كثير في تفسيره<sup>(5)</sup> جملة من الآثار في هذا الموضوع، يتفق أغلبها مع  
حديث ابن عباس الذي سقته آنفا، وبعضها له سياق آخر لا يعنيني ههنا.

---

(1) سورة النور، الآية: 33.

(2) أورده الإمام السيوطي في "لباب النقول" وعزا تخريجه إلى البزار والطبراني عن ابن عباس بسند صحيح، وعزاه أيضا  
في الدر المنثور إلى الطيالسي وابن أبي حاتم وابن مردويه.  
انظر: لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي، الدار التونسية للنشر، تونس-المؤسسة الوطنية للكتاب،  
الجزائر، الطبعة الثالثة: ماي 1404هـ-1984م، (ص201)؛ الدر المنثور، للسيوطي، (84/5).

(3) هو أبو الفداء إسماعيل بن كثير بن ضوء بن زرع البصري ثم الدمشقي الشافعي المعروف بابن كثير، محدث مؤرخ  
مفسر وفقه، قال ابن عماد: (كان كثير الاستحضر، قليل النسيان، جيد الفهم) من مؤلفاته: "تفسير القرآن  
العظيم"، "مختصر علوم الحديث لابن الصلاح"، "البداية والنهاية" في التاريخ. توفي (سنة 774هـ) بعد أن أضر أواخر  
عمره.

انظر ترجمته في: ذيل تذكرة الحفاظ، لأبي المحاسن محمد بن علي الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة  
الأولى: 1419هـ-1998م، (39-38/5)؛ الدرر الكامنة، لابن حجر، (374-373/1)؛ طبقات المفسرين،  
للداودي، (110/1)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (232-231/6)؛ البدر الطالع، للشوكاني، (ص168-  
169).

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص1332).

(5) انظر: المصدر نفسه، (ص1333).

## المبحث الثاني

### معرض وترتيب نصوص النفاق

بعد أن أحصيت جميع السور التي تحدّثت عن الموضوع وعددت عدداً جميع آياته ونصوصه، أرى -لزوماً- أن أعرض في هذا المبحث هذه النصوص نصاً نصاً، ثم أتبع ذلك بالوقوف -اختصاراً- على أهم المعاني التي وردت في النصّ مما يتصل بالموضوع دون غيره، واخترت أن أعرض هذه النصوص مرتبة ترتيباً يدور حول سبب النزول وجوداً وعدمها، مع مراعاة التسلسل التاريخي في عرضها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وإيّ نظرت في هذه النصوص جميعها وعرضتها واحداً واحداً على كتب التاريخ المشهورة، وعلى كتب السيرة المعروفة، وعلى كتب التفسير المعتمدة، وعلى الكتب التي تحدّثت عن أسباب النزول، فبان لي أن هذه النصوص تتوزع على مطالب أربعة هي الإطار الذي أعرضها من خلاله مرتبة هذا الترتيب المبني على أسباب النزول وعلى الارتباط الزمني أساساً:

#### المطلب الأول: آيات النفاق في نشأته الأولى

إن نصوص هذا المطلب نصوص أزلت لبزوغ ظاهرة النفاق في بواورها الأولى لدى طوائف ثلاثة في المجتمع هم:

- طائفة من أهل مكة ممن لم تقو عزائمهم على تحمل تبعات الإيمان.

- عرب المدينة من الأوس والخزرج.

- طائفة من يهود المدينة.

ويضمّ هذا المطلب نصوصاً ثلاثة أحسب أنّها أوّل ما نزل في شأن نفاق هذه الطوائف الثلاثة:

#### النص الأول:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّنَ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ \* وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

صدّرت الحديث بهذا النصّ لأنه من سورة العنكبوت، وهي من أواخر ما نزل بمكة ولم

(1) سورة العنكبوت، الآيتان: 10-11.



ينزل بعدها إلا سورة المطففين، والآيات الأوائل منها مدنية كما أسلفت<sup>(1)</sup>.

وتكاد تجمع كلمة المفسرين على أن الآية نزلت في قوم بمكة أعلنوا الإسلام ولم يهاجروا، فلما حاولوا الهجرة فتننتهم قريش واضطهدتهم فلم يصبر بعضهم على ذلك فانقلبوا فأنزل الله الآية.

إنّ هذا النصّ يصوّر نموذجاً لفئة من الناس تمتحن في دينها وتبتلى بالإيذاء فلا تقوى على التحمل فتنتكس خوفاً وطلباً للعافية، فإذا فتح الله على المسلمين لم يتحرّجوا أن يقولوا لهم بعد ذلك إنّنا مسلمون مثلكم، إن هذا (النموذج من الناس يعلن كلمة الإيمان في الرخاء يحسبها خفيفة الحمل هينة المؤونة، لا تكلف إلا نطقها باللسان، ﴿فَإِذَا أُذِي فِي اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup> بسبب الكلمة التي قالها وهو آمن معافى ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾<sup>(3)</sup> فاستقبلها في جزع واختلت في نفسه القيم، واهتزت في ضميره العقيدة، وتصوّر أن لا عذاب بعد هذا الأذى الذي يلقيه حتى عذاب الله، وقال في نفسه: ها هو ذا عذاب شديد أليم ليس وراءه شيء، فعلام أصبر على الإيمان، وعذاب الله لا يزيد على ما أنا فيه من عذاب؟<sup>(4)</sup>.

إنّ الآية تحدّثت عن بؤادر النفاق عند فئة من الناس عاشت في مكة، بدر منها هذا السلوك بعدما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فلم تقو على تحمّل تبعات الهجرة: فترك الأموال والأهل والعشيرة إلى مصير مجهول، والاضطهاد الجسديّ الذي لقيه بعضهم ممن حاول أن يستدرك ما فاتته من مقتضيات الإيمان<sup>(5)</sup> في تلك المرحلة كل ذلك كان كافياً لظهور النفاق في صورة من صورته الأولى عند فئة من الناس أرادت الإيمان ولكنها لم تقو على تحمّل تبعاته، فكان اتخاذ مبدأ صريح يحدّد وجهتها أمراً عسيراً لم تكن في مستواه.

(1) راجع ذلك ص 34.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 10.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 10.

(4) في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق بيروت لبنان، القاهرة مصر، الطبعة العاشرة: 1402هـ-1982م، (2723/5).

(5) قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم، فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا سقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو.

انظر: فتح الباري، لابن حجر، (38/6).

## النص الثاني:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فُهِمٌ لَّا يَرْجِعُونَ﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَمَرَعْدٌ وَبُرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿يَكَادُ الْبُرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كَمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَكُوْشَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1).

أجمعت كلمة المفسرين على أنّ هذه الآيات نزلت في المنافقين، وهي واضحة الدلالة في ذلك لا يختلف فيها اثنان، ولم يذكر أحد منهم سببا معيّنًا أنزلت لأجله، إلا خبرا واحدا -فيما أحسب- ذكره الواحدي النيسابوري (2) في "أسباب النزول" عند قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

قال: إن هذه الآية نزلت (في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أردّ هؤلاء

(1) سورة البقرة، الآيات: 8-20.

(2) هو الإمام العلامة الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي صاحب التفسير وإمام علماء التأويل، أصله من ساوه، لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي وأكثر عنه، تصدر للتدريس مدة حتى عظم شأنه. كان الواحدي حقيقا بكل احترام وإعظام لكن كان فيه بسط لسان في الأئمة وكان منطلق اللسان في جماعة من العلماء بما لا ينبغي. توفي بنيسابور في جمادى الآخرة (سنة 468) وقد شاخ.  
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (627/13-629)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (303/3-304)؛ بغية الوعاة، للسيوطي، (145/2)؛ طبقات المفسرين، للأندلسي، (ص127-128).

السفهاء عنكم. فذهب فأخذ بيد أبي بكر<sup>(1)</sup> فقال: مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله. ثم أخذ بيد عمر<sup>(2)</sup> فقال: مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد علي<sup>(3)</sup> فقال:

**(1)** هو الصحابي الجليل سيدنا أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة القرشي، خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه ووزيره، شهد المشاهد كلها وبشره النبي ﷺ بالجنة، قال عنه عمر بن الخطاب: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، مناقبه معدودة مشهورة لا تعد ولا تحصى. توفي (سنة 13هـ) وهو ابن ثلاث وستين سنة.

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/169-213)؛ طبقات الرواة، لأبي عمرو خليفة بن خياط العصفري، برواية موسى بن زكريا التستري، وزارة الثقافة، دمشق، (د.ت.ط)، (ص16)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/62-72)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/204-229)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (2/467-508)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/246-249)؛ تهذيب التهذيب، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1415 هـ-1995 م، (4/394-395).

**(2)** هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، شهد المشاهد كلها، وولي الخلافة بعد أبي بكر ففتح الفتوح ومصر الأمصار، هو أول من اتخذ الدرّة وأول من جمع الناس على قيام رمضان وأول من سمي أمير المؤمنين. قال فيه رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، وقال فيه أيضا: «وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر». توفي عمر مقتولا في المسجد على يد أبي لؤلؤة (سنة 23هـ)، ودفن بحجرة السيدة عائشة رضي الله عنها بجوار أبي بكر ومحمد رضي الله عنهما.

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/265-376)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/1144-1159)؛ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1400 هـ-1980 م؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/641-676)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (2/3-15)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (2/509-565)؛ العبر في خبر من عبر، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418 هـ-1997 م، (1/26-27)؛ الإصابة، لابن حجر، (4/588).

**(3)** هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ وهو من أول الناس إسلاما، شهد المشاهد كلها إلا تبوك لأن الرسول خلفه على أهله، كان من أعلم الناس بالفرائض والقضاء، قال رسول الله ﷺ: «أقضاكم علي بن أبي طالب»، وقال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابها»، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان سنة 35 هـ إثر مبايعة الناس له إلى أن قتل بيد ابن ملجم في الصلاة (سنة 40هـ).

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/19-40)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/100-128)؛ تاريخ بغداد، للبغدادي، (1/143-148)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/1089-1133)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/587-620)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (2/615-660)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/493-497)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (1/49-52).

مرحبا بابن عم رسول الله وختنه<sup>(1)</sup> سيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا، فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بذلك فأنزل الله هذه الآية<sup>(2)</sup>.

وقد أورد الحافظ جلال الدين السيوطي هذه الرواية بتمامها -متنا وسندا- ثم تعقبها بقوله: (هذا الإسناد واه جدا)<sup>(3)</sup>.

إن الآيات تتحدّث عن منافقي عرب المدينة من الأوس والخزرج وقد كتب عليهم أن ينمو الإسلام في أرضهم وهم له كارهون، ولم يكن لديهم الشجاعة الكافية لإعلان رفضهم له فأعلنوا كذبا أنّهم مؤمنون، وأرادوا بهذا الإعلان أن يخادعوا الذين آمنوا وإلهم الذي آمنوا به، وهم إذ سلكوا هذا المسلك فإتّما لمرض في قلوبهم أعماهم عن رؤية إفسادهم فلا يرونه إلا إصلاحا، وكذلك (شأن كل مفسد: يدعي أنه مصلح في نفس إفساده... يدعي ذلك لتبرئة نفسه من وصمة الإفساد بالتمويه والمواربة...)<sup>(4)</sup> - وجعلهم يرون في الذين آمنوا سفهاء لا يصحّ أن ينزلوا إلى مستواهم فيؤمنوا كما آمنوا، فجاءهم الردّ القرآنيّ عنيفا: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(5)</sup> وهل يعلمون وهم سفهاء؟ بل (متى علم السّفِيه أنه سفِيه)<sup>(6)</sup>.

ولهؤلاء المنافقين وجه آخر - هو حقيقتهم - يكشفونه ﴿إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ﴾<sup>(7)</sup> أي

**(1)** الختن بفتح التاء كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ، هكذا عند العرب، وأما العامة فختن الرجل عندهم زوج ابنته. والجمع منه الأختان، والأنثى ختنة، والاسم الختونة.

انظر: مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 1985م، (ص71-72)؛ لسان العرب، لابن منظور، (138/13)؛ القاموس المحيط، للفيروزبادي (ص1075).

**(2)** أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1402هـ-1982م، (ص12).

**(3)** لباب النقول، للسيوطي، (ص12).

**(4)** تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، للسيد الإمام محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م، (1/133).

**(5)** سورة البقرة، الآية: 13.

**(6)** في ظلال القرآن، لسيد قطب، (1/44).

**(7)** سورة البقرة، الآية: 14.

أصحابهم من المنافقين والمشركين أو رؤوسهم في الكفر أو شياطينهم من يهود الذين يأمرؤهم بالكذب، وكل ذلك ثابت يتأتى به المعنى<sup>(1)</sup>، ويطمئنونهم بأن ما يفعلونه من إظهار الإيمان أمام المؤمنين (إنما هو لعبة استهزاء بهم وتغريب لهم)<sup>(2)</sup>.

ويتضح من خلال ما قدمته من عدم وجود سبب محدد للنزول ومن هذا التحليل الذي سقته ومن كون النص من سورة هي أول ما نزل بالمدينة، أنه يعالج ظاهرة النفاق في بواورها الأولى عند فئة ثانية أخرى غير التي تناولها النص الأول وهي عرب المدينة، ونلمس في النص أنه نحا نحو العموم، وكأنه يشير إلى أن ظاهرة النفاق هكذا تبدأ في كل فرد، أو في كل طائفة تريد أن تسلك هذا السلوك: مرض مستكن في القلب يدفع أصحابه إلى إعلان إيمان كاذب يخادعون به الناس الذين يحيطون بهم وهم مضطرون لمخالطتهم، ولكن لهؤلاء جلسات خلوة بينهم أو مع رؤوسهم يكشفون فيها عن هويتهم الحقيقية المستقرة في نفوسهم.

### النص الثالث:

﴿اَقْتَطِعُونَ اَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللّٰهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ \* وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَا مَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضْهِمُ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ \* أَوْ لَا يَعْلَمُونَ اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

لا خلاف في أن الآيات نزلت في اليهود، وإن اختلف العلماء بعد ذلك في تحديد السبب الذي أنزلت لأجله على آراء يقترب بعضها من بعض تتلخص في سبب عام غير مرتبط بحدث بعينه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن منافقي اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به وإن صاحبكم صادق وقوله حق، وإننا نجد نعتة وصفته في كتابنا، وإذا خلوا إلى رؤسائهم لاموهم على ذلك وقالوا أتحدثونهم بما قص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد ﷺ فيخاصموكم ويحتجوا عليكم لقولكم، فيقولون لكم قد أقررتم أنه نبي حق تجدونه في

(1) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (130/1).

(2) ظاهرة النفاق، لحنكة الميداني، (182/1).

(3) سورة البقرة، الآيات: 75-77.

كتابكم فلم لا تتبعونه؟<sup>(1)</sup>، فأنزل الله هذه الآيات في سياق طويل يحدثهم فيه عن يهود بني إسرائيل ومنهم هذا الفريق؛ فريق الذين نافقوا منهم.. فقد يظنّ المسلمون أنّ اليهود أقرب إليهم في الدّين من غيرهم.. فهم أهل كتاب أنزله الذي أنزل القرآن، ولعل ممارسة دعوة بسيطة معهم كفيّل لأن تؤثر فيهم فيسلموا، فأنزل الله هذه الآيات تبصّرهم بالحقيقة التي ينبغي أن يعلموها وهي أنّ الطّمع في إسلام اليهود أمر ميؤوس منه<sup>(2)</sup>، فهم الذين حرفوا كلام الله الذي أنزل على نبيّهم وبدّلوه عن مواضعه من بعدما عقلوه وهم يعلمون<sup>(3)</sup>.

وإنّ من هؤلاء اليهود فريقا استبطنوا كفرهم بمحمد ﷺ وأعلنوا الإسلام ظاهرا، وصاروا يتقربون إلى المسلمين بأن يحدثوهم عن النبي ﷺ وما يجدون فيه من أوصاف هي التي حدثتهم بها توراتهم وأنه حقا النبي المنتظر وأنه هو الذي كانوا يستفتحون به على من عاداهم، وإنما يفعلون ذلك نفاقا.

إنّ الآيات بهذا المعنى رسمت صورة نفاق لطائفة جديدة غير الطائفتين اللتين أسلفت الحديث عنهما في النّصين السّابقين: إنه نفاق يهود بني إسرائيل.

## المطلب الثاني: ترتيب الآيات النفاق حسب النزول

ونصوص هذا المطلب نصوص ذات تسلسل تاريخيّ تنزلت حسب وقائع وأحداث تابع بعضها بعضا في النّزول، وقد تحدثت عن هذه النصوص معظم كتب السير والمغازي لارتباطها -جميعها أو أجزاء منها- بما أرخوا له، وألحقت بها بعض النصوص التي تشير الدراسة إلى أنّها تنزلت ضمن السياق العام للنصوص التي احتواها هذا المطلب وإن لم تشر المصادر إلى حدث تاريخيّ كان السبب في نزولها، وقد وجدت هذا المطلب يضم واحدا وعشرين نصا هي كالآتي:

---

(1) انظر: مختصر تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، اختصره: الشيخ عبد الغني الدقر، دار الإمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1415هـ-1994م، (43/1).

(2) هكذا جرى التعبير القرآني: يخاطب اليهود بفعل أسلافهم، ومن ذلك صريحا قوله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة آل عمران، الآية: 183. والمعلوم أن الذي قتل إنما أسلافهم وليس المخاطبين.. وإنما خاطبهم الله بذلك لرضاهم بما فعل أسلافهم.

(3) وقد خرج هذا الكلام مخرج العموم، وإلا فقد أسلم بعضهم وهم قلة.

## النص الأول:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ وَعَبِيَّتِي وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِعَ إِيمَانَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>.

لا يختلف المفسرون في أن سبب نزول هذه الآيات هو تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، وأن ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة منتصف رجب أو شعبان -على خلاف بين العلماء- بعد أن صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا<sup>(2)</sup> وكان ذلك قبل وقعة بدر الكبرى، ويمثل تحويل القبلة الحادثة الأولى التي وجدنا فيها ألسنة الناس تنطلق..

فلقد تكلم اليهود وتكلم المشركون.. (وأظهر كثير من المنافقين<sup>(3)</sup> من أجل ذلك نفاقهم وقالوا ما بال محمد يحولنا مرة إلى ههنا ومرة إلى ههنا)<sup>(4)</sup> واستهزؤوا بالمسلمين حتى

(1) سورة البقرة، الآيتان: 142-143.

(2) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الإيمان/باب الصلاة من الإيمان]، (ص15)، رقم40.

وفي [كتاب الصلاة/باب التوجه نحو القبلة حيث كان]، (ص78)، رقم399.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله تعالى "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا"]، (ص814)، رقم4486.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير"]، (ص815)، رقم4492.

وفي [كتاب أخبار الأحاد/باب ما جاء في إجازة خبر الواحد]، (ص1338)، رقم7252.

وأخرجه مسلم [كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة]، (1/374)، رقم525.

(3) القول بأن المقصود من لفظ "السفهاء" في الآية 142 من سورة البقرة اليهود أو المنافقون أو المشركون أو هم جميعا كله ثابت عن أئمة التفسير. انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (2-1/2)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (2/138).

(4) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (2/12).

تأثر بعضهم وقالوا: «كان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم»<sup>(1)</sup>.

### النص الثاني:

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>.

النص من سورة الأنفال، وهي سورة مدنية نزلت في أعقاب غزوة بدر الكبرى التي كانت في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من الهجرة.

وتتجه أغلب الروايات التي قيلت في تفسير الآية -فيما بين يدي من مصادر ومراجع- إلى أنّ النصّ نزل في قوم بمكة زعموا الإسلام، ولكن لم تقو أنفسهم على الهجرة، ولم تقو عزائمهم على تحمل تبعات الإيمان؛ فقد أخرج ابن جرير الطبري<sup>(3)</sup> بأسانيد يختلف بعضها عن بعض في تفسيره للفظ المنافقين الوارد في هذه الآية:

-أثمّ (ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: "غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ")<sup>(4)</sup>.

-وأثمّ ففة (خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتياهم، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: "غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ" حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة

---

(1) أخرجه البخاري [كتاب الإيمان/باب الصلاة من الإيمان]، (ص15)، رقم40.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله تعالى "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"]، (ص814)، رقم4486.

(2) سورة الأنفال، الآية: 49.

(3) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري -نسبة إلى طبرستان المدينة التي ولد بها- مفسر مقرئ محدث فقيه أصولي، طاف الأقاليم واستوطن بغداد. من تصانيفه: "جامع البيان في تفسير القرآن"، "تاريخ الأمم والملوك"، "تهذيب الآثار". توفي ببغداد (سنة 310هـ).

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد، للبغدادي، (2/159-165)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (4/191-192)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (11/291-301)؛ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، (3/120-122)؛ طبقات المفسرين، للدوادري، (2/106)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (2/260)؛ التاج المكلل، للقنوجي، (ص100-101).

(4) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (10/21).



عددهم وكثرة عدوهم<sup>(1)</sup>.

- وذكر أيضا أنهم (قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين)<sup>(2)</sup> ويعني بهم منافقي المدينة، ولكن يظهر أنّ هذا القول بعيد لأنه مخالف لما ثبت صريحا في الصحيحين من حديث كعب بن مالك<sup>(3)</sup> وهو يحدث عن نفسه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: «لم تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاهها إلا في غزوة تبوك، غير أنّي كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد»<sup>(4)</sup>.

### النص الثالث:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ \* قَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ

(1) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (21/10).

(2) المصدر نفسه.

(3) هو أبو عبد الله كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي السلمي، كانت كنيته في الجاهلية أبا بشير فكناه النبي ﷺ أبا عبد الله، كان أحد شعراء الرسول الثلاثة، وكان مجودا مطبوعا قد غلب عليه أمر الشعر منذ الجاهلية، أسلم وشهد العقبة وتخلف عن بدر وشهد أحدا والمشاهد كلها حاشا تبوك فإنه تخلف عنها وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين تخلفوا عنها وأنزل الله فيهم "وعلى الثلاثة الذين خلفوا.."، ذهب بصره في آخر عمره وتوفي في زمن معاوية (سنة 50هـ) وقيل (سنة 53هـ) وهو ابن سبع وسبعين سنة.

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (1323/3-1326)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (587/3-620)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (136/4-141)؛ الإصابة، لابن حجر، (483/4-484)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (580/6)؛ تقريب التهذيب، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1415 هـ-1995 م، (494/2).

(4) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب قصة غزوة بدر]، (ص716)، رقم3951.

وفي [كتاب المغازي/باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل "وعلى الثلاثة الذين خلفوا"]، (ص799)، رقم4418.

وأخرجه مسلم [كتاب التوبة/باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه]، (2120/4)، رقم2769.

يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ \* وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ  
أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿١﴾.

نزلت الآيات - فيما ذكرت بعض المصادر - في عبد الله بن أبي بن سلول في قصة يهود بني قينقاع وما كان من خبره مع النبي ﷺ في شأنهم، وكان ذلك بعد غزوة بدر وقبل غزوة أحد. وذكروا في خبر ذلك أن بني قينقاع كانت أول يهود ينتقضون العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، فمضى إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه. ولما نزلت بنو قينقاع على حكم رسول الله ﷺ قام إليه عبد الله بن أبي بن سلول فقال: يا محمد أحسن في موالي<sup>(2)</sup> فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه ﷺ فأدخل عبد الله بن أبي يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له: أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا رئي في وجهه فقال: ويحك أرسلني، قال عبد الله بن أبي: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة؟! إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال له رسول الله ﷺ: هم لك، فأنزل الله هذه الآيات<sup>(3)</sup>.

وذكروا في أمر نقضهم العهد أن امرأة من العرب جلست بسوق بني قينقاع إلى صائغ منهم فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشددت اليهود على المسلم فقتلوه، فمضى إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه<sup>(4)</sup>.

(1) سورة المائدة، الآيات: 51-53.

(2) كانت بنو قينقاع حلفاء عبد الله بن أبي.

انظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، لابن سيد الناس، دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: 1402هـ-1982م، (1/353).

(3) انظر: تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م، (2/48)؛ السيرة النبوية، لابن هشام، (3/8)؛ لباب النقول، للسيوطي، (ص106).

(4) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (3/6-7).

وذكر ابن العربي<sup>(1)</sup> وغيره قولين آخرين<sup>(2)</sup> في سبب نزول هذه الآيات، لكنني أعرضت عنهما واقتصر على هذا الرأي مسaire لأهل المغازي والسير.

والآيات تطرح موضوعا جديدا ينبغي أن تعيه الفئة المؤمنة ما دام الخطاب موجها للمؤمنين كلهم.. إنه موضوع الولاية، والولاية لا تعني اتباع اليهود والنصارى في دينهم (فبعيد جدا أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين، إنما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره، فيحسبون أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعا من تشابك المصالح والأوصار، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام، وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله)<sup>(3)</sup> فليس لأحد عذر بعد ذلك أن يقول إنني رجل لا بد لي منهم تحسبا لعواقب الزمان وتقلباته، وإنما هي حقيقة النفاق تلجئ صاحبها إلى اختلاق مثل هذه المعاذير مثلما أحوجت ابن أبي فابان عن جزء من تلك الحقيقة.

### النص الرابع:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يُغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ

**(1)** هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي (نسبة إلى بلدة إشبيلية) المعروف بابن العربي، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، عالم في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والتراجم.. ولد بإشبيلية سنة ثمان وستين وأربع مائة وولي القضاء بها، ودخل بغداد والقاهرة، من مصنفاته: "أحكام القرآن"، "عارضه الأحوذى على كتاب الترمذي"، "العواصم والقواصم"، "المحصل في علم الأصول". توفي بفاس (سنة 543هـ).

**انظر ترجمته في:** الصلة، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر- دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1410هـ-1989م، (3/855-857)؛ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويدي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م، (ص80-84)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (15/29-33)؛ طبقات المفسرين، للدواودي، (2/162)؛ نفح الطيب، للمقري، (2/25-43)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (4/141-142)؛ شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، (1/199-201).

**(2)** انظر: أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1416هـ-1996م، (2/138)؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص628-629)؛ الدر المنثور، للسيوطي، (2/515-516).

**(3)** في ظلال القرآن، لسيد قطب، (2/909).

بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَأَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* إِنَّ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بَعْضُ مَا كَسَبُوا وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ \* وَلَكِنْ مِتُّمُ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١﴾ .

نزل النص في أعقاب غزوة أحد التي كانت في شوال من السنة الثالثة من الهجرة، وهو مقطع من سورة آل عمران التي تناولت الواقعة مطوَّلاً في فصول متلاحقة<sup>(2)</sup>، منها هذا النص الذي يعالج ما كان من أمر المنافقين الذين أصبح وجودهم حقيقة تجلَّت في هذه الغزوة بوضوح وأسفرت من غلس عجزوا عن أن يمددوه فيسيروا فيه متلفعين فلا يعرفوا.

عمل عبد الله بن أبي بن سلول جهده على إقناع النبي ﷺ بالبقاء في المدينة وعدم الخروج إلى قريش التي جاءت تنتقم لهزيمتها بيد، وكان ذلك رأيه ﷺ: أن يتحصن بالمدينة فيقاتلهم فيها (فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرًا: نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم، ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أذاته<sup>(3)</sup>)<sup>(4)</sup> وخرج لملاقاة القوم (حتى إذا كان بالشوط<sup>(5)</sup>) بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال:

(1) سورة آل عمران، الآيات: 154-158.

(2) أخرج أبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم عن المسور بن مخزومة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: يا خال أخبرني عن قصتكم يوم أحد. قال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا. الدر المنثور، للسيوطي، (2/120).

(3) الأداة: الدرع.

(4) البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير، تحقيق وتوثيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1419هـ-1998م، (3/137).

(5) الشوط: بستان بين المدينة وأحد. انظر: معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1995م، (3/372).

أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيُّها النَّاسُ. فرجع بمن اتَّبعه من قومه من أهل التَّفَاقِ والرَّيْبِ<sup>(1)</sup>، وتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام<sup>(2)</sup> والد جابر بن عبد الله<sup>(3)</sup> يناشدهم ألاَّ يخذلوا نبيَّهم وقومهم فقالوا: ﴿لَوْ عَلِمَ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾<sup>(4)</sup>، يعنون أن ما أنتم فيه إنما لخطأ رأيكم وزللکم عن الصواب، ولا يقال لمثل هذا قتال إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، وأن رأينا كان في الإقامة بالمدينة وما كنا نستصوب الخروج<sup>(5)</sup>، فأبوا إلا الانصراف.

ولما انتهت الغزوة نزلت آيات آل عمران، واقتطعت منها هذا النص وهو يتحدث عن المنافقين وما كان من شأنهم، وما قالوه من كلام ينبئ عن حقيقة نفاقهم.

### النص الخامس:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْعَمِ الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَكَيْعَلَمَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَكَيْعَلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ

(1) البداية والنهاية، لابن كثير، (139/3).

(2) هو الصحابي الجليل أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، وجابر الصحابي المشهور ابنه وبه يكنى. شهد العقبة، وهو أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرًا وأحدا وقتل يومئذ، وكان أول قتيل قتل من المسلمين يوم أحد في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة. دفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من الصفاء.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (561/3-564)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (954-956)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (241/3-243)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (202/03-205)؛ الإصابة، لابن حجر، (258/3-259).

(3) هو الصحابي ابن الصحابي أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن محمد الأنصاري الخزرجي، من فضلاء الصحابة، ومن المكثرين من رواية الحديث، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة، وكان ذلك (سنة 68هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (574/3)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (219/1-220)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (351/1-352)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (336/4-340)؛ الإصابة، لابن حجر، (319/1-320)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (7/2-9).

(4) سورة آل عمران، الآية: 167.

(5) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م، (ص204)؛ السيرة النبوية، لابن هشام، (20/3).

اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَتَلُوا قُلُوبًا فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسَكُمْ الْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ (١).

والنص تابع للنص الذي قبله، وإنما فصل بينهما في السورة فواصل فأفردته ههنا اقتصاراً على ما يتصل بالموضوع، وفيه إشارة إلى قول عبد الله بن أبيّ حينما راجعه عبد الله بن عمرو بن حرام، وهو يقرر أنّ ما أصاب المسلمين في غزوة أحد لم يكن وليد صدفة، إنّما كل شيء بأمر الله وتقديره، ويكشف عن صنف من الناس سماهم الله ههنا بحقيقتهم "الَّذِينَ نَافَقُوا" كشفنا وتمييزاً لهم من الذين آمنوا، وأنهم ما فعلوا الذي فعلوه من انسحابهم وخذلانهم إلا لأنهم أقرب للكفر منهم للإيمان، وأمّا ما قدموه من تعليل بأنهم كانوا لا يرون أن سيكون قتال فهو تعليل كاذب قالوه بأفواههم وهو يخالف الحقيقة التي في قلوبهم، وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم، وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلافاً لصفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لأفواههم (٢).

### النص السادس:

﴿وَلَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يَسَاءرُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نثَلِّى لَهُمْ لَيْزٌ دَادُوا إِلَيْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَاٰمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَسَتَقُوا فَلكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ (٣).

والنص تابع أيضاً للتصين السابقين نزولاً وسورة، وإنما هو فقرة أخرى تقرر جانباً من حكمة الله وتقديره في تصريف طبيعة الإيمان الحق والإيمان الكاذب المزعوم..  
إنّ حكمة الله اقتضت ألا يذر المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط بينهم وبين المنافقين

(١) سورة آل عمران، الآيات: 166-168.

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري، (ص 205).

(٣) سورة آل عمران، الآيات: 176-179.

وهم يظهرون لهم من الإيمان الكاذب ما يظهرون حتى يميز ما بينهم فيعرفوا المنافق الخبيث ويعرفوا المؤمن الطيب، واقتضت حكمته أيضا -تعالى شأنه- أن لا يطلع البشر على الغيب.. فكيف إذن يتم الفصل بين هذين الفريقين؟.

و(كيف يميز الله الخبيث من الطيب؟ وكيف يتحقق شأنه وسنته في تطهير الصف المسلم وتجريده من الغبش وتمحيصه من التفاق وإعداده للدور الكوني العظيم الذي أخرج الأمة المسلمة لتنهض به؟) ﴿وَكَيْفَ يَكْفُرُ الْكَاذِبُ﴾<sup>(1)</sup>، وعن طريق الرسالة، وعن طريق الإيمان بها أو الكفر، وعن طريق جهاد الرسل في تحقيق مقتضى الرسالة، وعن طريق الابتلاء لأصحابهم في طريق الجهاد.. عن طريق هذا كله يتم شأن الله، وتتحقق سنته، ويميز الله الخبيث من الطيب..<sup>(2)</sup>.

هكذا تتحقق إرادة الله تبارك وتعالى في هذه الحياة الدنيا، وهكذا يصرف الله للناس أمورهم، وهذه هي السبيل التي يعرف الناس بها المؤمنين الصادقين ويعرفون بها أيضا المنافقين المخادعين.

فإذا استقر هذا وتقرر فليس لأحد بعد ذلك أن يسأل الله تعالى أن يعطيه علامة يفرق بها بين المؤمن والمنافق<sup>(3)</sup>.

### النص السابع:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيَجِئُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(4)</sup>.

ظاهر النص أنه في سياق المناسبة العامة التي تنزلت لأجلها سورة آل عمران والتي عاجلت في إطارها النصوص الثلاثة السابقة، لذلك أردفت هذا النص بها، وأحسب أن ما ثبت

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 179.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (525/1-526).

(3) قال أبو العالية: سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ

لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾. انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (270/4).

(4) سورة آل عمران، الآية: 188.

في الصحيحين من رواية أبي سعيد الخدري<sup>(1)</sup> «أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبّوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾<sup>(2)</sup>»<sup>(3)</sup> أحسب أن هذا سبب عام لا يخرج النص عن السياق الذي تنزلت فيه السورة، ولأجل هذا أردت النص بالنصوص السابقة من سورة آل عمران لوجود معنى مشترك بينها وبين سبب النزول هذا وهو تخلف المنافقين عن الغزو وما يجيئون به من العذر يفرحون به ويرون أنّه حيلة احتالوا بها.

هذا، وينبغي أن أشير ختاماً -للامانة العلمية- إلى أنّ للآية رواية أخرى في سبب نزولها تختلف عن هذا الذي أوردته اختلافاً بينا، بل وتخرج بها عن موضوع البحث خروجاً كاملاً، وهي رواية ثابتة في الصحيحين<sup>(4)</sup>، إلا أنّي أسقطتها ولم أسقها، وما ذاك إلا رغبة في الاختصار على

---

**(1)** هو الصحابي الجليل أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري، صحابي ابن صحابي، من الرماة المشهورين، وكان من فقهاء الصحابة الكبار، ومن أصحاب الشجرة، ومن أكثرهم رواية للحديث حيث روى 1160 حديث. أخذ عنه أعلام من التابعين الكبار من أمثال نافع مولى ابن عمر، توفي بالمدينة (سنة 64هـ).

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد، للبغدادى، (1/192-193)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (2/231)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/320-323)؛ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، طبع باعتناء مجموعة من الأساتذة، دار النشر فرانز شتايز بيسبادن، 1402هـ-1982م، (15/148)؛ الإصابة، لابن حجر، (2/326-328)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (3/289-290).

**(2)** سورة آل عمران، الآية: 188.

**(3)** متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب "لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا"]، (ص831)، رقم4567.

وأخرجه مسلم [كتاب صفات المنافقين وأحكامهم]، (4/2142)، رقم2777.

**(4)** وتماها أنّه قيل لابن عباس رضي الله عنه: «لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمّد بما لم يعمل معذباً لنعذب أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ حتى قوله ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب "لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا"]، (ص831)، رقم4568.

وأخرجه مسلم [كتاب صفات المنافقين وأحكامهم]، (4/2142)، رقم2778.



ما له علاقة بالموضوع الذي أعالجه (1).

### التص الثامن:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ \* وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَعًا مَّرَضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ مُرُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (2).

نزلت هذه الآيات عقب سرية الرجيع التي كانت في صفر من السنة الرابعة من الهجرة، وذلك أنّ النبي ﷺ بعث نفرا من أصحابه سرية عينا، حتى إذا كانوا بين عسفان (3) ومكة غدر بهم حيي من هذيل، فقال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا.. لا هم أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله في أولئك المنافقين وفي أصحاب السرية هذه الآيات (4).

وأورد الطبري بسنده في تفسير هذه الآيات سببا آخر لنزولها غير هذا، فقد ذكر أنّها نزلت في الأحنس بن شريق (5) إذ (أقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي ﷺ ذلك منه وقال إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم أي صادق، وذلك قوله ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا

---

(1) وهو ما فسر به القرطبي الآية ابتداء وساق له الحديث الذي أثبت، حتى إذا فرغ منه قال: وفي الصحيحين أيضا... وساق الرواية الثانية ثم قال: ويحتمل أن يكون نزولها على السببين، وهو ما مشى عليه ابن حجر في الفتح، ورجح الطبري في تفسيره الرواية الثانية. انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (4/286-287)؛ فتح الباري، لابن حجر، (8/233)؛ جامع البيان، لابن جرير الطبري، (4/208).

(2) سورة البقرة، الآيات: 204-207.

(3) عسفان، بضم العين وسكون السين: هي من مكة على مرحلتين. انظر: معجم البلدان، (4/121-122).

(4) انظر: لباب النقول، للسيوطي، (ص39)؛ البداية والنهاية، لابن كثير، (3/202-208).

(5) هو الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب، حليف بني زهرة، اسمه أبي وإنما سمي الأحنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجح بالعيير فقبل حنس ببني زهرة فسمي بذلك، وكان فيهم مطاعا فرجعوا جميعا ولم يشهد بدرا زهري واحد. قال ابن عطية: ما ثبت قط أن الأحنس أسلم، وأثبت ابن حجر في الصحابة وقال: كان من المؤلفات وشهد حينئذ. مات الأحنس في أول خلافة عمر.

انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (1/67-68)؛ الإصابة، لابن حجر، (1/44).

فِي قَلْبِهِ<sup>(1)</sup> ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِزَرْعٍ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحَمْرٍ، فَأَحْرَقَ الزَّرْعَ وَعَقَرَ الْحَمْرَ  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾<sup>(2)</sup> <sup>(3)</sup>.

وذكر القرطبي هذه الرواية ثم تعقبها بقوله: (قال ابن عطية<sup>(4)</sup>: ما ثبت قط أن الأحنس  
أسلم)<sup>(5)</sup>، ومهما يكن من اختلاف في القولين فإنهما يشتركان في معنى واحد قاله جماعة من  
العلماء؛ قالوا: نزلت في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو إضرارا وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك<sup>(6)</sup>.

### التص التاسع:

﴿الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُظَيِّعُ  
فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِيدٌ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ \* لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ  
قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأُذُنُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ \* لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ \* لَا يَتَّقُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ  
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ \* كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ﴾ \* كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ \* فَكَانَ  
عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(7)</sup>.

(1) سورة البقرة، الآية: 204.

(2) سورة البقرة، الآية: 205.

(3) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (312/2).

(4) هو الإمام الحافظ الناقد المتقن أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي  
الغرناطي المالكي، والد العلامة المفسر أبي محمد عبد الحق، ولد سنة إحدى وأربعين وأربع مائة، وكان حافظا للحديث  
وطرقه وعلله عارفا بأسماء رجاله ذاكرا لمتونه ومعانيه، وكان رجلا فاضلا لغويا أديبا شاعرا، كف بصره في آخر عمره.  
توفي بغرناطة في جمادى الآخرة (سنة 518هـ) وله سبع وسبعون سنة.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (471/14-472)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص460)؛ نفع  
الطيب، للمقري، (2/523-528)؛ طبقات المفسرين، للأندودي، (ص175-177).

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (3/16).

(6) انظر: المصدر نفسه.

(7) سورة الحشر، الآيات: 11-17.

اتفق أهل العلم على أن السورة نزلت في قصة إجلاء يهود بني النضير، وقد رتبها ههنا بعد غزوة أحد موافقة لما جرى عليه جلّ أهل المغازي في موافقتهم ابن إسحاق<sup>(1)</sup> من أنّها كانت في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة<sup>(2)</sup>..

وأما ما كان من خبر هذه الغزوة، فقد ذكر أهل المغازي والسير أن النبي ﷺ خرج يوماً إلى بني النضير يستعين بهم في دية رجلين من بني عامر قتلتهما خطأ عمرو بن

---

(1) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي العلامة الأخباري، ولد سنة ثمانين، كان حبراً في معرفة المغازي والسير، وكان من أحفظ الناس وأحسنهم سياقاً للأخبار وأحفظهم لمتونها، إلا أنه عيب عليه أنه لم يكن بالجود، وعيب عليه أيضاً أنه كان كثير التدليس، وأنه كان يحدث عن المجهولين فجاءت سيرته محشوة بالأشياء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة، وأنكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا، وقد رمي بالقدر إلا أن الصحيح أنه كان بعيداً منه. توفي ابن إسحاق ببغداد (سنة 151هـ)، وقيل (سنة 152هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (7/321-322)؛ التاريخ الكبير، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت.ط)، (1/40)؛ الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1372هـ-1952م، (7/191-193)؛ الثقات، للحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن الهند، الطبعة الأولى: 1393هـ-1973م، (7/385-380)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (7/30-46)؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1995م، (6/56-62)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (7/35-41).

(2) وأورد البخاري في صحيحه خلاف هذا فقال: «قال الزهري عن عروة: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد... وجعله ابن إسحاق بعد بئر معونة وأحد».

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله إليهم في دية الرجلين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ]، (ص728).

قال ابن حجر معلقاً على قول البخاري هذا: (وإذا ثبت أن سبب إجلاء بني النضير ما ذكر من همّهم بالغدر به ﷺ وهو إنما وقع عندما جاء إليهم ليستعين بهم في دية قتيلي عمرو بن أمية، تعيّن ما قاله ابن إسحاق لأن بئر معونة كانت بعد أحد بالاتفاق). فتح الباري، لابن حجر، (7/332).

وجزم ابن العربي وابن قيم الجوزية أنّها كانت بعد أحد في السنة الرابعة من الهجرة، وأن ما قاله الزهري إنما هو وهم منه أو غلط عليه.

انظر: أحكام القرآن، لابن العربي، (4/206)؛ زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله بن القيم الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (4/206).

أمية الضمري<sup>(1)</sup> وكان معهما عهد من النبي ﷺ لم يشعر به، وكان بين بني النضير وبني عامر عهد وحلف، فلما أتاهم النبي ﷺ أجابوه، ثم خلا بعضهم ببعض وحاولوا أن يغدروا به ﷺ، فكان ذلك إيذانا بنقضهم العهد الذي بينهم وبينه ﷺ فكانت الغزوة.

هذا، وأشير إلى أن الحافظ ابن حجر قد ساق سببا آخر للإجلاء غير هذا الذي ذكره أهل المغازي والسير يبدو أنه أقوى سندا من هذا الذي ساقوه عن ابن إسحاق، لكنه لم تحفل به كتبهم ولا اهتمت به رواياتهم<sup>(2)</sup>.

**(1)** هو عمرو بن أمية بن خويلد الكنايني الضمري، والمشهور أنه أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وقيل بل شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين ثم أسلم حين انصرف عن أحد. كان عمرو من أنجاد العرب ورجالها شجاعة وإقداما وجرأة ونجدة. كان رسول الله ﷺ يبعثه في أموره، وأول مشهد شهده مسلما بئر معونة، وهو الذي قتل الرجلين اللذين خرج رسول الله ﷺ بسببهما إلى بني النضير يستعين بهم في ديتهما. توفي بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (4/248-249)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/1162)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/689-690)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (2/24-25)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/329-328)؛ الإصابة، لابن حجر، (4/12)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (6/118).

**(2)** قال ابن حجر في فتح الباري، (7/331-332): (وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهددوهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعدوهم أن يغزوهم بجميع العرب، فهم ابن أبي ومن معه بقتال المسلمين فأتاهم النبي ﷺ فقال: ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرقوا.. فلما كانت وقعة بدر كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون -يتهددوهم- فأجمع بنو النضير على الغدر فأرسلوا إلى النبي ﷺ اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فإن آمنوا بك اتبعناك، ففعل فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم فرجع وصبحهم بالكنايب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم فكانوا يخرجون بيوتهم بأيديهم فيهدموها ويحملون ما يوافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام. وكذا أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق، وفي ذلك رد على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت: فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين، لكن وافق ابن إسحاق جل أهل المغازي فالله أعلم).

أما ما كان من خبر المنافقين في هذه الغزوة مما يتصل بموضوعنا فإنه ﷺ لما أعلمه الله بخبر غدرهم أرسل إليهم محمد بن مسلمة<sup>(1)</sup> يأمرهم بالخروج من جواره وبلده (فأرسل إليهم ابن أبي: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاءكم من غطفان، فطمع حيي<sup>(2)</sup> فيما قال ابن أبي فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك)<sup>(3)</sup> فأنزل الله هذه الآيات تذكر نفاقهم وخذاعهم وجبنهم عن أن يكونوا كما قالوا، وأن مثلهم في تلك الوعود الكاذبة كمثل الشيطان يعد الإنسان ويمنيه ثم يخذله ويفر عنه هاربا<sup>(4)</sup>.

### النص العاشر:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ \* اتَّخَذُوا

(1) هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن -وقيل أبو عبد الله- محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي الحارثي المدني، شهد غزوة بدر وما بعدها، وكان من فضلاء الصحابة، استخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وانتدبه لقتل كعب بن الأشرف اليهودي فقتله، وهو ممن اعتزل الفتنة وأقام بالريذة، قال له النبي ﷺ: «لا تضرك الفتنة»، وأقام بالمدينة حتى توفي ﷺ (سنة 43 هـ) وله سبع وسبعون سنة تقريبا.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/443-445)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/1377)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (4/318-320)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/35-39)؛ الإصابة، لابن حجر، (5/90-91)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (7/427)؛ الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني، مكتبة المعارف، بيروت الطبعة الثالثة: 1983م، (ص258-259).

(2) هو حيي بن أخطب بن سعية بن عامر من بني النضير من بني إسرائيل من لد هارون أخي موسى عليهما السلام، كان من أشد اليهود للعرب حسدا إذ خصهم الله تعالى برسوله ﷺ وكان جاهدا في رد الناس عنه، وهو الذي حزب الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة في غزوة الخندق، وهو الذي جر كعب بن أسد القرظي إلى نقض عهده مع رسول الله ﷺ. قتل حيي مع بني قريظة وقد دخل في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان.

انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (2/147)، (3/148-149)؛ الطبقات الكبرى، لابن سعد، (8/120)؛ تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، (2/93)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (1/171-172).

(3) الطبقات الكبرى، لابن سعد، (2/57).

(4) وذكر السيوطي في سبب نزول قوله تعالى ﴿الْمُتَرَاتِلِ الَّذِينَ تَأَفَّقُوا﴾ أن ناسا من أهل قريظة أسلموا وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: ﴿لَنْ أُخْرِجْتُمْ لَنْخُرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ فنزلت فيهم هذه الآيات.

انظر: لباب النقول، للسيوطي، (ص290).

أَيَّمَانَهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ \* وَإِذَا مَرَّيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْتَدَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ \* سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ \* هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُسُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ \* يَقُولُونَ لَنْ مَرَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَكَرْسِيُّهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

لا خلاف بين العلماء أنّ السّورة نزلت عقب أحداث غزوة بني المصطلق، ولكن الخلاف قائم حول تاريخ الغزوة.. فكثير<sup>(2)</sup> من أهل السير والمغازي من المتقدمين والمتأخرين يرون أنّها كانت في شعبان من السنّة الخامسة من الهجرة، وهو ما اخترته مسaire لهم.

وسبب نزول السورة أنّ رجلين من القوم أحدهما أجيبر لعمر بن الخطاب والآخر حليف بني عوف بن الخزرج ازدحما على الماء فاقتتلا، فصرخ حليف الخزرج: يا معشر الأنصار، وصرخ أجيبر عمر: يا معشر المهاجرين، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فغضب ثم قال وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم<sup>(3)</sup> - وكان غلاما حدثا- قال: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا

(1) سورة المنافقون، الآيات: 01-08.

(2) من أصحاب هذا الرأي: الواقدي وابن هشام وابن سعد وابن قتيبة والبلاذري والذهبي وابن القيم، وتبعهم في هذا من المتأخرين: الشيخ محمد أبو زهرة في خاتم النبيين، ومحمد الخضرى في نور اليقين، ومحمد الغزالي في فقه السيرة، ومحمد سعيد رمضان البوطي في فقه السيرة النبوية. انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، د. أبو بدر محمد بن بكر آل عابد، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، (د.ت.ط)، (312/1).

(3) هو الصحابي الجليل زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي من بني الحارث، نزيل الكوفة من مشاهير الصحابة، استصغره النبي ﷺ يوم أحد، وأول مشاهدته الخندق وقيل المريسيع، وشهد مع النبي ﷺ بعد ذلك المشاهد كلها. كان زيد بن أرقم يتيما في حجر عبد الله بن رواحة. وهو الذي رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أبي بن سلول قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. شهد مع علي ﷺ صفين وهو معدود في خاصة أصحابه. توفي بالكوفة، واختلف في تاريخ وفاته فقيل (سنة 65هـ) وقيل (سنة 66هـ) وقيل (سنة 68هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (18/6)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (535/2)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (135-134/2)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (319-317/4)؛ الإصابة، لابن حجر، (237-236/2)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (213/3).

في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب<sup>(1)</sup> قريش إلا كما قال الأوّل: سَمَنَ كلبك يأكلك، أما والله لعن رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعز منها الأذلّ. ثم أقبل على من كان معه من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم لتحوّلوا إلى غير داركم.. سمع زيد بن أرقم هذا الكلام فمشى به إلى رسول الله ﷺ يخبره وعنده عمر بن الخطاب فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، لا ولكن أذن بالرحيل.. فارتحل رسول الله ﷺ في ساعة لم يكن يرتحل فيها، ثم إن عبد الله بن أبي مشى إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع من مقالته، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، فقام رجال من الأنصار يلومون زيدا<sup>(2)</sup> وراحوا يدافعون عن عبد الله بن أبي ويقولون عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل، وإنما فعلوا ذلك حدبا على ابن أبي ودفعنا عنه، فقد كان في قومه شريفا عظيما.. ثم لقي أسيد بن حضير<sup>(3)</sup> النبي ﷺ فقال له فيما قال: ارفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه فإنّه ليرى أنك قد استلبته ملكه. ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك

(1) جلايب قريش: لقب أطلقه مشركو مكة على المهاجرين، ويريدون به سفلة الناس.

انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (206/3)، هامش المحقق رقم (1).

(2) أخرج ذلك البخاري عن محمد بن كعب القرظي قال سمعت زيد بن أرقم ﷺ قال: «لما قال عبد الله بن أبي "لا تنفقوا على من عند رسول الله"، وقال أيضا "لئن رجعنا إلى المدينة" أخبرت به النبي ﷺ فلامني الأنصار». أخرج البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون]، (ص927)، رقم4902.

(3) هو الصحابي الجليل أسيد بن الحضير بن سماك أبو يحيى الأنصاري الأشهلي، كان أبوه شريفا في الجاهلية مطاعا وكان رئيس الأوس يوم بعث وقتل يومئذ، وكان أسيد بعد أبيه شريفا في قومه في الجاهلية وفي الإسلام، يعد من عقلائهم وذوي الرأي فيهم. أسلم ﷺ على يدي مصعب بن عمير. شهد العقبة الآخرة وكان أحد النقباء الاثني عشر، وكان من عليّة أصحاب رسول الله ﷺ وأحد الأنصار الثلاثة الذين لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا. لم يشهد بدرا، وشهد أحدا وما بعدها، توفي في شعبان (سنة 20هـ) أو (21هـ) في عهد عمر.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (603/3-607)؛ التاريخ الكبير، للبخاري، (47/2)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (92/1)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (129/1-131)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (212/3-214)؛ الإصابة، لابن حجر، (79/1-80)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (358/1-359).

حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا إلا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل رسول الله ﷺ ذلك ليشغل الناس عما كان من أمر عبد الله بن أبيّ، ثم نزلت سورة "المنافقون" يكذب بها الله ابن أبي ويصدّق زيد بن أرقم، ثم إن النبي ﷺ دعاهم ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم وصدوا عنه<sup>(1)</sup>.

ذكر بعض المفسرين أن أقرباء لعبد الله بن أبي من المؤمنين جاؤوه بعد نزول السورة وقالوا له: امض إلى رسول الله ﷺ واعترف بذنبك يستغفر لك، فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأي ثم قال لهم: لقد أشرتم علي بالإيمان فأمنت، وأشرتتم علي بأن أعطي من زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد<sup>(2)</sup>.

نزلت السورة تكشف جانباً من جوانب النفاق في الطائفة التي كانت حول رسول الله ﷺ متضمنة ما كان من قول ابن أبي في هذه الغزوة، وتتلخّص هذه الجوانب في النقاط الآتية:

- اتخذ المنافقون إعلانهم الكاذب للإيمان جنّة ووقاية، (يعني -والله أعلم- من القتل)<sup>(3)</sup>.

- تعجبك مظاهرهم -جسداً وقولاً- وهم في الحقيقة خواء.

- من شدّة فرقههم يحسبون كل صيحة عليهم يخافون أن يفتضحوا.

- من خصالهم الاستكبار والصد عن الله ورسوله.

- يريدون أن يسلكوا مع المؤمنين سياسة التجويع حتى يبعدهم عن الرسول ﷺ.

ومن التوجيهات القرآنية في هذا المقام ضرورة أخذ الحذر من كيدهم ومكرهم.

### النص الحادي عشر:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ \* لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ

(1) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (320/3-322).

(2) انظر: الجواهر الحسان، للثعالبي، (419/4).

(3) أحكام القرآن، لمحمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1400هـ-1980م، (294/1).



بِأَلْسِنَتِكُمْ وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ \* وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ \* يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِلْمِثْلِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَا يُنْتَعَمُ لَمْ تَعْلَمُونَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَرَحَمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ مَرءُوفٌ رَحِيمٌ (1).

نزلت الآيات في حادثة الإفك، وهي حادثة وقعت عقب رجوعه ﷺ من غزوة بني المصطلق التي كانت في السنة الخامسة من الهجرة كما أسلفت، وروى الحادثة جلّ أهل السير والمغازي بروايات لا يختلف بعضها عن بعض، وهي مخرجة في الصحيحين (2) وكتب السنن بتمامها كما رواها أولئك، وخلاصتها أن النبي ﷺ وجّه قافلا من غزوة بني المصطلق حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن في الناس بالرحيل، وكانت عائشة (3) معها قد خرجت لبعض حاجتها، فلما رجعت التمسّت عقدا لها فلم تجده فرجعت

(1) سورة التور، الآيات: 11-20.

(2) انظر: صحيح البخاري [كتاب الشهادات/باب تعديل النساء بعضهن بعضا]، (ص469)، رقم2661.

[كتاب المغازي/باب حديث الإفك]، (ص751)، رقم4141.

[كتاب تفسير القرآن/باب قوله لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم

خير]، (ص883)، رقم4750.

[كتاب تفسير القرآن/باب: "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا"]،

(ص887)، رقم4757.

صحيح مسلم [كتاب التوبة/باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف]، (4/2129)، رقم2770.

(3) هي عائشة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه وأحبهن إلى قلبه، أفقه الصحابة وأكثرهم رواية لحديث رسول الله ﷺ، كان أكبر الصحابة يسألونها عن الفرائض، قال عروة: (ما رأيت أحدا أعلم بفقهِ ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلا وعلو مجد..)، توفيت (سنة 55هـ) وقيل (سنة 58هـ).

انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (8/58-81)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (4/1885-1881)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (6/191-195)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (3/16-19)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/434-474)؛ الإصابة، لابن حجر، (7/187-190)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (12/461-463).

إلى مكانها الذي ذهبت إليه تلتسمه فحبسها ابتغاؤه، وكان القوم قد شرعوا في الرحيل واحتملوا هودجها وهم يحسبون أنها فيه ولم يتفطنوا لذلك لخفتها وكان الحجاب قد فرض فلم يتبينوا، فلما رجعت وجدت القوم قد ارتحلوا فجلست مكانها ونامت وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون إلى مكانها الذي كانت فيه، فبينما هي كذلك إذ جاء صفوان بن المعطل<sup>(1)</sup> وكان وراء الجيش فاستيقظت باسترجاعه حين عرفها - وكان يراها قبل الحجاب - فأناخ لها راحلته فركبتها وانطلق يقودها فلا كلمها ولا كلمته حتى أتيا الجيش بعدما نزلوا، حتى إذا اطمأنوا طلع الرجل يقودها (فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به، ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه<sup>(2)</sup> ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقرّبون به إليه، فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث<sup>(3)</sup>) وانقطع خبر السماء عن الرسول ﷺ شهرا<sup>(4)</sup>

**(1)** هو الصحابي الجليل أبو عمرو صفوان بن المعطل بن ربيعة - بالتصغير - الذكواني السلمي، كان رجلا خيرا فاضلا شجاعا بطالا، سكن المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ الخندق والمشاهد كلها. ويقال أسلم قبل الميرسيح وكانت أول مشاهدته، وهو الذي رميت به عائشة أم المؤمنين ﷺ، وقد أثنى عليه النبي ﷺ فيها خيرا. قتل صفوان في غزوة أرمينية (سنة 19هـ) في خلافة عمر، وقيل بل إنه غزا الروم في آخر خلافة معاوية فاندقت ساقه ولم يزل يطاعن حتى مات بناحية شُميساط - مدينة على شاطئ الفرات - وذلك (سنة 58هـ).

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (726-725/2)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (428-427/2)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (156-153/4)؛ الإصابة، لابن حجر، (29-27/3)؛ تهذيب التهذيب، (56/4).

**(2)** استوشى الحديث استخرجه بالبحث والمسألة كما يستوشي الرجل جري الفرس، وهو ضربه إياه بعقبه وتحريكه. انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1406هـ-1986م، (448/2)؛ لسان العرب، لابن منظور، (394/15).

**(3)** زاد المعاد، لابن القيم الجوزي، (113/2).

**(4)** قالت عائشة: «فقدنا المدينة فاشتكت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الشهادات/باب تعديل النساء بعضهم بعضا]، (ص469)، رقم2661.

وفي [كتاب المغازي/باب حديث الإفك]، (ص751)، رقم4141.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله: "لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون بأنفسهم خيرا"]، (ص883)، رقم4750.

وأخرجه مسلم [كتاب التوبة/باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف]، (4/2129)، رقم2770.

أو أزيد<sup>(1)</sup>، وليس للناس في المدينة خبر غير هذا، حتى أنزل الله هذه الآيات تبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها وتكذب أهل الإفك (فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن صرح<sup>(2)</sup> بالإفك فحدوا ثمانين ثمانين، ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك)<sup>(3)</sup>.

وقد تضمنت هذه الآيات:

أ- تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها والرد على أهل الباطل.

ب- توجيه المؤمنين توجيهات تربوية في مثل هذه المواقف منها:

- تعامل المؤمنين فيما بينهم ينبغي أن يكون مبنيًا على حسن الظن بعضهم ببعض.
- لا يصح أن يكون قذف أو اتهام بغير شهداء أربعة يشهدون على ذلك.
- كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع، فقد يكون الأمر عند الله عظيمًا.
- تنزيه المؤمنين عن أن يكونوا ممن يجبون أن تشيع الفاحشة في الناس.

### النص الثاني عشر:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ مَرْيَمَ وَجَنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا \* إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَوُضِعَ اللَّهُ بِاللَّهِ الظُّنُونًا \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا \* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا \* وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا \* وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا سِيْرًا \* وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤَلِّقُونَ الْأَذْبَانَ وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا \* قُلْ لَنْ

(1) ذهب ابن حزم إلى أن المدة كانت أزيد من خمسين ليلة، وأورد الحافظ ابن حجر أن بعض المفسرين ذكر أنها كانت سبعا وثلاثين يوما. قال: ويجمع بأنها المدة التي كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبيها حين بلغها الخبر. انظر: جوامع السيرة، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، المطبعة العربية، لاهور باكستان، 1401هـ-1981م، (ص206)؛ فتح الباري، لابن حجر، (475/8).

(2) وكانوا ثلاثة: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش كما في الصحيحين من حديث عائشة الذي سبق تخريجه ص66، هامش رقم (4).

(3) زاد المعاد، لابن القيم الجوزي، (113/2).

يَنْفَعُكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مَرَأَتْهُمْ يَأْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوِائِهِمْ بِأَدُونِ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا \* لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا \* وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا \* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بُدِيلًا \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُتَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

لا خلاف بين العلماء في أن هذه الآيات نزلت في أعقاب غزوة الأحزاب وإنما الخلاف في السنة التي كانت فيها هذه الغزوة، فجمهور<sup>(2)</sup> علماء السير والمغازي على أنها كانت في شوال من السنة الخامسة من الهجرة وهو الصحيح المشهور<sup>(3)</sup>.

(1) سورة الأحزاب، الآيات: 09-24.

(2) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (241/3)؛ زاد المعاد، لابن القيم الجوزي، (117/2)؛ فتح الباري، لابن حجر، (471/8).

(3) خلافا لما أثبتته البخاري في صحيحه عن موسى بن عقبة أنها كانت في شوال سنة أربع، واستدل له على ذلك بقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الشهادات/باب بلوغ الصبيان وشهادتهم]، (ص471)، رقم2664.

وفي [كتاب المغازي/باب غزوة الخندق وهي الأحزاب]، (ص743)، رقم4097.

وأخرجه مسلم [كتاب الإمارة/باب بيان سن البلوغ]، (3/1490)، رقم1868.

وقد ذكر ابن كثير أن ما أورده البخاري في هذه المسألة قد أجاب عنه جماعة من العلماء منهم البيهقي بأنه عرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة. انظر: البداية والنهاية، (241/3).

هذا، وقد جرى على ما جرى عليه البخاري ابن حزم في سيرته، فقد ذكر أن أهل المغازي جعلوها في السنة الخامسة، إلا أن الثابت أنها في الرابعة بلا شك. انظر: جوامع السيرة، (ص185).

ولا يسعني المقام بعد هذا أن أسرد أحداث الغزوة كلها ولو مختصرة، ففيها من التفاصيل ما لا يمكن اختصاره<sup>(1)</sup>، وإنما أقف على ما كان من خبر المنافقين فيها من مواقف وأقوال انتقيتها من مصادرها انتقاء طلبا للإيجاز وتوخيا للاختصار..

عندما بلغ المسلمين وهم يحفرون الخندق من الخوف الشديد ما وصفه القرآن وكفى به وصفا، هنالك نجم النفاق وانتعش، وانطلقت ألسنة المنافقين:  
فقال بعضهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط<sup>(2)</sup>.

وقال آخر: إن بيوتنا عورة من العدو، فأذن لنا نرجع إلى دارنا فإنها خارجة من المدينة<sup>(3)</sup>.  
وقال آخرون يستأذنون بعلّة أخرى: إن بيوتنا مخلية نخشى عليها السرقة<sup>(4)</sup>.  
وإنما أرادوا جميعا الفرار والهرب، ولم يخصوا بها أنفسهم بل صاروا يحرّضون القوم فقالوا: يا أهل يثرب<sup>(5)</sup> ارجعوا إلى منازلكم؛ يأمرؤنهم بالهرب من معسكر رسول الله ﷺ وتركه ﷺ وحده.  
وقد تضمنت آيات هذا النصّ الإشارة إلى هذه المقولات السافرة التي انطلقت من أفواه المنافقين في هذه الغزوة وقد آمنوا بإيقانهم انهزام المسلمين، وحلّت جانبا من نفسيّتهم في الحرب والسلم وما يكون من شأنهم في الحالين معا:

- 
- (1) تناول غزوة الأحزاب كل كتب السير والمغازي، ولا يخلو من الحديث عنها كتاب في الأحاديث والسنن.
  - (2) قال ذلك معتب بن قشير. انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (131/21).
  - (3) قال ذلك أوس بن قيطي. انظر: المصدر نفسه.
  - (4) قال ذلك بنو حارثة. انظر: المصدر نفسه.
  - (5) يأبي المنافقون إلا أن يسموا المدينة يثرب، ولعلمهم لا يفعلون ذلك إلا إمعانا في مخالفة النبي ﷺ الذي قال: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل، هي طابة هي طابة».
- الحديث أخرجه أحمد عن البراء بن عازب [كتاب أول مسند الكوفيين/باب حديث البراء بن عازب]، (285/4).  
قال الهيثمي: "رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله ثقات". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414هـ-1994م، (645/3).  
وقد تتبع ابن شبة بسنده مجموع الروايات التي تسمي المدينة المنورة بأسماء عديدة وتنتهي عن تسميتها بيثرب.  
انظر: تاريخ المدينة المنورة، لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري، حققه فهيم محمد شلتوت، دار الأصفهاني للطباعة، جدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، (د.ت.ط)، (162/1-165).

- فهم لا يتقون أبدا بوعده الله ورسوله ﷺ لحقيقة كفرهم.

- يختلقون المعاذير لينسحبوا من العمل والمعركة.

- يشبطون غيرهم ويخذلوهم.

- وهم قوم جنباء في ساعات الشدة، وتنشط ألسنتهم بالسوء في الأمن والرخاء.

- يتمنون في أوقات الشدة والبأس أن لو كانوا في البادية بعيدا عن ضغوط الأزمة

وشدة الخوف يتقصون أخبار المسلمين من بعيد.

### النص الثالث عشر:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup> لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾<sup>(1)</sup>.

لما أقبلت قريش عام الأحزاب ساروا حتى نزلوا بمجمع الأسيال من رومة - بئر بالمدينة - وكان قائد القوم يومئذ أبا سفيان<sup>(2)</sup>، وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعوى إلى جانب أحد، ولما جاء رسول الله ﷺ الخبر ضرب على المدينة الخندق، وعمل فيه ﷺ وعمل المسلمون معه، وأبطأ

(1) سورة النور، الآيات: 62-64.

(2) هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي ويكنى أيضا بأبي حنظلة، ولد قبل عام الفيل بعشر سنين. كان من دهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم، وكان هو رأس المشركين يوم أحد. أسلم يوم فتح مكة شبه مكره خائف ثم صلح إسلامه بعد ذلك. شهد حنيناً والطائف ورمي بسهم ففقت إحدى عينيه وشهد اليرموك وقيل فقئت عينه الأخرى بها. تزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة وذلك قبل أن يسلم. توفي أواخر خلافة عثمان بن عفان ﷺ واختلف في سنة وفاته وهي ما بين (سنة 30هـ) و(سنة 34هـ)، وله نحو التسعين.

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (714/2-715)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (407/2)؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1400هـ-1980م، (119/13-121)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (416/3-418)؛ الإصابة، لابن حجر، (11-10/3)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (37-36/4).

رجال من المنافقين، وكان بعضهم لا يأتي إلا بالضعيف من العمل، وكانوا كلما بعدوا عن الأعين ووجدوا فرصة تسللوا إلى أهليهم وذويهم بغير علم من رسول الله ﷺ، بل كانوا يتحينون ذلك ويفرون عنه ﷺ.

وكان الرجل من المسلمين -على خلاف ذلك- إذا نابته التآبئة من الحاجة التي لا بد منها فإنه يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته<sup>(1)</sup> فيأذن له ﷺ، فإذا قضى حاجته رجع إلى الخندق يعمل كما يعمل المسلمون.. فأنزل الله في أولئك المنافقين وفي هؤلاء المؤمنين<sup>(2)</sup> هذه الآيات من سورة النور: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ...﴾<sup>(3)</sup>.

هذا، وأشير إلى أن المفسرين نحووا في الآيات منحى العموم ولم يخصوها بسبب، ولكنني أثبتتها ههنا تبعا للنص الذي قبلها اعتمادا على الرواية التي اعتمدها، ولأنها مكتملة له معنى وحدثنا.

#### التص الرابع عشر:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا \* مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُومًا \* الَّذِينَ يَبْلُغُونَ مَرَسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا \* مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن مَّرْسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(4)</sup>.

تتفق الروايات جميعها على أن سبب نزول هذه الآيات ما كان من أمر النبي ﷺ في قصة

(1) من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ أن فتى منهم كان «حديث عهد بعرس قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله».

أخرجه مسلم [كتاب السلام/باب قتل الحيات وغيرها]، (4/1756)، رقم 2236.

(2) انظر: لباب النقول، للسيوطي، (ص 204).

(3) سورة النور، الآيات: 62-64.

(4) سورة الأحزاب، الآيات: 37-40.

زواجه من زينب بنت جحش<sup>(1)</sup> - ابنة عمته - عليها السلام بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة<sup>(2)</sup>، وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة بعد غزوة بني قريظة.. ولقد أراد الله الخالق الحكيم بهذا الزواج (أن يبطل ما كانت تدين به العرب من مساواة الأعداء - الأبناء بالتبني - بالأبناء الحقيقيين في كل شيء تنفيذاً للأمر الإلهي في الآية: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾<sup>(3)</sup> (4).

ولكن هل يكفي لإبطال عرف استحكم آيات تتلى؟ فقد يسلم الناس على مستوى اقتناعهم الفكري أن المتبنى ليس ابناً، ولكن من يجرؤ عملياً أن يتزوج زوجته إن طلقها أو مات عنها؟.

**(1)** هي أم المؤمنين الأواهة الخاشعة زينب بنت جحش الأسدية، أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأختها حمنة التي نالت من عائشة في قصة الإفك. كانت امرأة صالحة صوامه قوامه، وكانت مأوى الفقراء والمساكين. أسلمت قديماً وكانت من المهاجرات الأولى. زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيداً ثم طلقها، فلما انقضت عدتها أمر الله رسوله أن يتزوجها. كانت أول نساءه صلى الله عليه وسلم لحوقاً به بعد وفاته كان ذلك (سنة 20هـ) وهي ابنة ثلاث وخمسين سنة. انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (8/101-115)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (2/62-65)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (4/1852-1849)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (6/129-131)؛ تهذيب الكمال، للمزي، (35/184)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/480-484)؛ الإصابة، لابن حجر، (7/124-126).

**(2)** هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن قضاة، بيع في سوق عكاظ فاشترته حكيم بن حزام لعمته خديجة وهي بدورها أهدته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما خير بين أن يرجع مع أهله والبقاء مع الرسول اختار أن يبقى مع الرسول فتبناه، ومن ذلك الوقت أصبح يعرف بابن محمد حتى نزل القرآن يحرم ذلك. غزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم عدة غزوات، كانت عائشة تقول: (ما بعث رسول الله زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم ولو بقي بعده استخلفه)، قتل في غزوة مؤتة وهو حامل اللواء (سنة 8هـ) فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «استغفروا له وقد دخل الجنة وهو يسعي».

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/40-47)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (2/542-547)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (2/143-140)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/139-144)؛ الإصابة، لابن حجر، (2/241-243)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (3/218-219).

**(3)** سورة الأحزاب، الآية: 04.

**(4)** أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي الشعوط، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة: 1403هـ-1983م، (ص72-73).



إنَّ إبطال هذا العرف الجاهلي لا بدَّ له من أمر عمليّ قويّ كان النبي ﷺ -صاحب الرّسالة- أداته التي تنفّذه بأمر الله وقضائه وكان ﷺ في قرارة نفسه غير راغب في هذا الزواج، ولكنَّ إرادة الله أكبر من أن ترد أو تناقش، وليقل الناس بعد ذلك ما شاءوا.. وما أشدَّ وقع ما يقولون!

لقد أعلم الله نبيه ﷺ أن زيدا سيطلق زوجته، فإن طلقها واعتدّت منه تزوّجها.. وتمضي الأيّام ويأتي زيد إلى النبي ﷺ يشكوه زوجته فكأنّه ﷺ يصاب بدعر فيقول له: يا زيد اتق الله وأمسك عليك زوجتك، وأخفى ﷺ ما أخبره به ربّه خشية السنة الناس<sup>(1)</sup>.

**(1)** وقد روي في هذا السياق روايات باطلة تمسّ بعصمة الأنبياء، منها أنّ النبي ﷺ أتى زيدا يوما يطلبه فرفعت الرّيح الستار فرأى زينب حاسرة فأعجبته فوقعت في نفسه وهوبها وتمتّى أن يطلقها زيد فيتزوّجها وذلك قوله تعالى "وُخْفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ" أي تخفي حبك لها، "وتخشى الناس" أن يقولوا إن محمّدا أمر مولاه بطلاق زوجته ليتزوّجها. والعجيب أنا نجد عملاقا كابن جرير الطبري ينطلي عليه وجه الزيف في هذه الرواية فيرويها بسنده، ويتابعه فيها ابن الأثير على جلاله قدره من غير تمحيص، ويوردها القرطبي على أنّها من مرويات جماعة من السلف وإن رجّح بعد ذلك ما هو حقّ وصدق.. ورحم الله ابن كثير فقد قال عند تفسيره هذه الآيات (ص1503): (ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا آثارا عن بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحّتها فلا نوردها).

وقال ابن العربي في أحكام القرآن، (3/577): (وهذه الروايات كلّها ساقطة الأسانيد... فأما قولهم إن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه فباطل، فإنه كان معها في كل وقت وموضع ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج... حاشا لذلك القلب المطهّر من هذه العلاقة الفاسدة). راجع تفاصيل ما قاله الطبري وابن الأثير والقرطبي في: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (22/12 وما بعدها)؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير الجزري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة السادسة: 1406هـ-1986م، (2/121)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (14/171-173).

هذا وأشير إلى أن من المفسرين الذين تناولوا هذه القصة أيضا بهذه الصورة الباطلة الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود. انظر: الكشاف، للزمخشري، (ص856)؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار ابن كثير، دمشق بيروت، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، (3/32-33)؛ إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (7/104-105).

وتمضي الأيام ويطلق زيد زوجته، وينجز النبي ﷺ إرادة ربه فيتزوج زينب المطلقة زيد مولاة، ولا بد أن تنطلق السنة الناس بعد ذلك ممن يتصيدون الفرص من يهود ومنافقين ومرجفين ومرضى قلوب.

قالت عائشة رضي الله عنها: «لو كان محمد ﷺ كما شئت مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup> قالت: «وإن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا: تزوج حليمة ابنة»<sup>(3)</sup>، فأذهب الله بهذه الآية - كما قال القرطبي - ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم وأعلم أن محمدا لم يكن أبا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة<sup>(4)</sup>.

### النص الخامس عشر:

﴿وَأَطِيعُوا كَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعُوا أَهْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(5)</sup>.

وقد خرج النص مخرج العموم ولم أجد له سببا للنزول بعينه، ولكنني مع ذلك أثبتته ههنا في المطلب الثاني لأنه من السورة نفسها، ولأنه ينسجم مع السياق العام الذي تقدمه في النص السابق وهو الدعوة إلى الثبات على طريق التبليغ وعدم الالتفات إلى ما يقوله الكافرون والمنافقون وما يسلطونه - بالسنة حداد - من أذى نفسي، وحسب من توجه إليه تعالى بالتوكل أنه كفيله وناصره.

### النص السادس عشر:

﴿لَيْسَ لِمَنْ يَتَّبِعْتَهُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا

(1) سورة الأحزاب، الآية: 37.

(2) متفق عليه واللفظ لمسلم:

أخرجه البخاري [كتاب التوحيد/باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم]، (ص1367)، رقم7420. وأخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب معنى قول الله عز وجل: "ولقد رآه نزلة أخرى"، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء]، (160/1)، رقم177.

(3) أخرجه الترمذي [كتاب تفسير القرآن عن رسول الله/باب ومن سورة الأحزاب]، (352/5)، رقم3207.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (178/14).

(5) سورة الأحزاب، الآية: 48.

قَلِيلًا \* مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا \* سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١﴾.

وقد خرج هذا النص أيضا مخرج العموم، وما ذكره بعض أهل التأويل<sup>(2)</sup> لا يخرج عن كونه شرحا وتفسيرا، وقد أثبتته في المطلب الثاني لأن من تلك الشروح والتفاسير أنها تعني من كانوا يتبعون النساء للريبة ومن كان من أصحاب الفواحش من مرضى القلوب<sup>(3)</sup>، وقد جاءت هذه الآيات بعد آيات الحجاب فناسبها السياق، وكان نزول الحجاب صبيحة زواج النبي ﷺ من زينب كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير<sup>(4)</sup>، وقد مر بنا أن زواجه ﷺ منها كان في السنة الخامسة من الهجرة بعد غزوة بني قريظة، ولأجل هذا المعنى أثبت هذا النص ههنا في هذا المطلب بعد النص الذي سبقه.

### النص السابع عشر:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا \* إِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا \* وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا \* هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَسِّرْ دَاوُدَ إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* لِيَدْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا \* وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا \* إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُغْزِرُوهُ وَتُقَرِّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَكُفُّ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُ أَجْرٌ عَظِيمًا \* سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَمْرًا بَكُمُ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى

(1) سورة الأحزاب، الآيات: 60-62.

(2) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (47/22-48).

(3) انظر: المصدر نفسه؛ وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (222/14-223).

(4) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (307/3-308).

أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَمَرِينِ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا \* وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا \* وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لَتَأْخُذُوهَا ذُرُوعًا وَنَنَايَ لَتَأْتِيَنَّكُمْ يُرِيدُونَ أَنِ يَسْتَدْلُوا بِكَلِمِ اللَّهِ قَلِيلًا لِنُتَّبِعُونَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* قُلِ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرٌ مِمَّنْ تَبَعُونَا إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ تَقَاتُلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١﴾.

نزلت هذه الآيات -وهي الآيات الأوائل من سورة الفتح- بعد غزوة الحديبية<sup>(2)</sup> في الطريق ما بين مكة والمدينة.

وكانت غزوة الحديبية سنة ست من الهجرة بلا خلاف، في ذي القعدة منها وهو الصحيح<sup>(3)</sup>، وكان ﷺ قد خرج من المدينة يريد مكة لأداء العمرة (واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه)<sup>(4)</sup>، ولكن قريشا وقفت له في الطريق وصدته عن الوصول إلى البيت، ووقعت مصالحة بينه وبينها تنص في بعض ما اتفقوا عليه على أن يرجع ﷺ هذا العام، ويدخل مكة لأداء العمرة العام المقبل. فلما قفل ﷺ راجعا إلى المدينة نزل عليه في الطريق هذه الآيات من سورة الفتح<sup>(5)</sup>..

(1) سورة الفتح، الآيات: 01-16.

(2) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر، (2/162): (الحديبية بئر سمي المكان بها، والأعراف فيها التخفيف). وقال

ابن حجر في الفتح (7/439): (والحديبية بالثقل والتخفيف لغتان، وأنكر كثير من أهل اللغة التخفيف).

(3) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (3/330).

(4) المصدر نفسه.

(5) قال أنس بن مالك ﷺ: «لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ إلى قوله ﴿فَوَنزَلْنَا عَظِيمًا﴾ مرجعه من الحديبية

وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية فقال: لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا».

أخرجه مسلم [كتاب الجهاد والسير/باب صلح الحديبية في الحديبية]، (3/1413)، رقم 1786.

قال البراء بن عازب<sup>(1)</sup> رضي الله عنه: «تعدّون أنتم الفتح فتح مكّة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية»<sup>(2)</sup> ولو لم يكن من أثر لهذا الصلح سوى أن أسلم في العام الذي يليه مثل من أسلم من قبل أو أزيد منه لكفاه لأن يسمى فتحاً<sup>(3)</sup>.

وقد تضمنت الآيات جانباً من الحديث عن منافقي الأعراب الذين استنفرهم النبي ﷺ فتحلفوا حذراً من قريش، وقد كان ظنهم أن قريشاً ستستأصلهم وأن لا يرجع النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه إلى المدينة، واعتلّوا له ﷺ بالشغل وأن ليس لهم من يقوم على أموالهم وأهليهم، فلما خاب ظنهم جاءوا يستغفرون مظهرين الندم وإنما هم منافقون يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. وقد وعد الله المؤمنين في هذه السورة مغنم كثيرة يأخذونها قريباً<sup>(4)</sup> وعدّها أهل الحديبية خاصة، وأعلم أنهم إذا انطلقوا إلى تلكم الغزوة التي وعدهم الله فيها هذه الغنائم فسيقول لهم المخلفون عن الحديبية ذرونا نتبعكم فنقاتل معكم، يريدون أن يبدّلوا كلام الله؛ أي (وعد الله الذي وعد لأهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضاً عن فتح مكة إذا

---

**(1)** هو الصحابي الجليل أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث الأوسي الصحابي ابن الصحابي نزيل الكوفة، استنصره رسول الله ﷺ في غزوة بدر، وأول مشاهدته أحد، وشهد مع علي معركة الجمل في صفين، وشهد معه النهروان ثم نزل الكوفة ومات بها أيام مصعب بن الزبير، وافتتح الري سنة أربع وعشرين. توفي بالكوفة سنة اثنتين وسبعين (سنة 72هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (4/364-368)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (1/155-157)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (1/238-239)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/340)؛ الإصابة، لابن حجر، (1/213-214)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (1/444).

**(2)** أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب غزوة الحديبية]، (ص755)، رقم4150.

**(3)** قال الحافظ شمس الدين الذهبي: (فلما أمن الناس وتفاوضوا لم يكلم أحد بالإسلام إلا دخل فيه. فلقد دخل في تينك السنيتين في الإسلام أكثر مما كان فيه قبل ذلك، وكان صلح الحديبية فتحاً عظيماً).

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، للحافظ شمس الدين الذهبي، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر-دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م، (1/330).

**(4)** وهي التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغْنَمًا كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ سورة الفتح، الآية: 20.

قال غير واحد من المفسرين: إنما هي مغنم خيبر لأنها هي التي وقعت فيها المغنم الكثيرة للمسلمين، وهو الصحيح من أقوال أهل العلم كما نصّ على ذلك الحافظ ابن حجر. انظر: فتح الباري، لابن حجر، (7/442).

رجعوا<sup>(1)</sup>، وحينئذ سيقولون لكم بل تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنائم التي تصيبون.

وهكذا يفضح الله المنافقين، و(يقفهم عرايا مكشوفين وجها لوجه أمام ما أضمروا من نية وما ستروا من تقدير وما ظنوا بالله من السوء، وقد ظنوا أن الرسول ومن معه من المؤمنين ذاهبون إلى حتفهم فلا يرجعون إلى أهلهم بالمدينة، وقالوا: يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم!)<sup>(2)</sup>.. إن هذه مخاطرة قد بانت عواقبها وتجلت.

### النص الثامن عشر:

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ \* لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَا لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمُ الْكَاذِبِينَ \* لَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ \* إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآمَنَتْ قُلُوبُهُمْ فَأَمْرًا تَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ \* وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ \* لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَوْ وَضِعُوا خِلَالَكُمْ تُبَغُونَ \* وَالْفِتْنَةُ فِيكُمْ \* سَمِعْتُمْ لَهْمُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ \* لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ \* وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِذْ ذُنِبُوا وَكُنَّا مُقْتَدِرِينَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ \* إِنْ تَصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يُقَالُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ \* قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ \* قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بَنِي إِدْرِيسَ إِذْ جَاءُوا فِي الْحُسَيْنِيِّينَ وَخَنَّ تَرَصَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَّصُّوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَصِّونَ \* قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ \* وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (247/16)؛ قال: قاله مجاهد وقتادة واختاره الطبري وعليه عامة أهل التأويل.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3322/6).

كَارِهُونَ \* فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ \* وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ \* لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَعَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ \* وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَمَرْسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَمَرْسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ \* إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَامِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنُوبٌ قُلُوبُهُمْ قُلْ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَمَرْسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ \* أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَمَرْسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ \* يَحْذَرُ الْمُتَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَغْزِبُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ \* وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَمَرْسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ \* لَأَنْتَذَرُونَ وَإِنَّكُمْ لَفِي غَافِلَاتٍ \* لَمْ يَكُنْ لَهُمْ كُفْرًا كَمَا كَانُوا مُجْرِمِينَ \* الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنَ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ \* كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِتْكُمْ قُوَّةً وَآكْرَهًا أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤَنَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \* وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَمَرْسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَمَرْضُونَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ \* يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا يَنَالُوا إِلَّا أَنْ

أَعْتَاهُمُ اللَّهُ وَمَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ تَوْبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي  
الْأَرْضِ مِنْ وَكِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَأْتِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدَّقَنَّ وَلَكِن كُفِرُوا مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ  
فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ \* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا  
يَكْذِبُونَ \* أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَوَّاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ \* الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي  
الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا  
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَمَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْفَاسِقِينَ \* فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا  
لَا تَفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ \* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ \* فَإِنْ مَرَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوا لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ  
عَدُوًّا إِنَّكُمْ مَرْضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَافْعَدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ \* وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ  
إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَمَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ \* وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي  
الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ \* وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنُوا أُولُو الطَّلُولِ  
مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ \* مَرْضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ \* لَكِنِ  
الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَجَاءَ الْمُعَذَّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا اللَّهَ وَمَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ  
لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَمَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا  
مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْتُهُمْ نَقِضْ مِنَ الدَّمِ حَرَجًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ  
عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ مَرْضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* يَعْتَذِرُونَ  
إِلَيْكُمْ إِذَا مَرَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ  
وَمَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ  
إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ مَرْجِسٌ وَمَا وَالَّهُمُ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* يَخْلِفُونَ



لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾.

النص من سورة التوبة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم ولم ينزل بعدها إلا سورة النصر وهي آخر سورة نزلت، ومن ثم كانت أحكام سورة التوبة أحكاما ختامية وضعت للمسات النهائية لكثير من القضايا والمسائل منها ما يتعلق بالنفاق والمنافقين موضوع حديثنا. نزلت سورة التوبة كما هو مؤكد لدى كل المصادر في السنة التاسعة من الهجرة على فترات متقطعة، ونزلت الآيات التي تتعلق بما كان من أخبار النفاق والمنافقين عقب أحداث غزوة تبوك التي كانت في شهر رجب من السنة نفسها، وكان ذلك في (زمن عسرة من الناس وشدة من الحرّ وجذب من البلاد وحين طابت الثمار وأحبت الظلال، فالناس يجبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كفى عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس بعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبتة)<sup>(2)</sup>.

واستنفر النبي ﷺ للغزوة جميع الناس، واستنفر أيضا من كان حوله من الأعراب ممن يسكنون أطراف المدينة، فاستجاب خلق كثير، وجاء المعدّون من الأعراب ليؤذن لهم فلم يعذرهم النبي ﷺ، وجاء بعضهم فلم يجدوا عنده ﷺ ما يحملهم عليه فرجعوا وهم يبكون تأسفا على ما فاتهم من الخير الذي كانوا يرجونه..

وتخلف بعض المسلمين عن الغزوة وكانوا نفر صدق لا يتهمون في دينهم ولا في إسلامهم، ولكن أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب<sup>(3)</sup>، وتخلف أقوام آخرون من المنافقين من غير عذر.

وخطب رسول الله ﷺ يومئذ في الناس وحض أهل الفضل والغنى على النفقة والبذل في سبيل الله، فاستجاب خلق كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وحمل رجال منهم إلى

---

(1) سورة التوبة، الآيات: 41-96.

(2) تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، (2/181).

(3) وهم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (3/598).

رسول الله ﷺ مالا عظيما، وأنفق عثمان بن عفان<sup>(1)</sup> يومئذ نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها.

وأما ما كان من أخبار المنافقين في هذه الغزوة فأخبار كثيرة تفرقت في كتب الحديث والسير والمغازي أخصها في النقاط الآتية:

**1-** عن عبد الله بن مسعود<sup>(2)</sup> قال: «لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل<sup>(3)</sup> بنصف صاع وجاء إنسان بأكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل الآخر إلا رياء فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا

---

**(1)** هو الصحابي الجليل الخليفة الثالث أمير المؤمنين، سيدنا عثمان بن عفان القرشي الأموي، الملقب بذي النورين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، كان كثير النفقة والعطاء في سبيل الله، ومآثره في ذلك كثيرة مشهورة. كانت الملائكة تستحي منه كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح، جمع الناس على مصحف واحد، قتل صبيحة عيد الأضحى (سنة 35هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/53-84)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/92-100)؛ صفة الصفوة، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الجليل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م، (1/123-129)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/479-491)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (2/566-614)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/425-427)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (5/502-504)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (1/8).

**(2)** هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي (نسبا) الزهري (حلفا)، من السابقين الأولين ومن كبار علماء الصحابة، هاجر المحدثين، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ، وكان أول من جهر بالقرآن بمكة، وكان من أحد حفاظ القرآن، قال الرسول ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد»، توفي بالمدينة (سنة 32هـ) وقيل (سنة 38هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/150-158)؛ تاريخ بغداد، للبغدادي، (1/157-161)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (4/987-994)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/279-285)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/290-314)؛ العبر، للذهبي، (1/29)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/287-289)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (4/487-488)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (1/38-39).

**(3)** هو أبو عقيل أحد بني أنيف الأراشي حليف بني عمرو بن عوف، اختلف في اسمه فقيل الحثحات أو الحبحاب وقيل سهل بن رافع بن خديج، وهو صاحب الصاع مشهور بكنيته، لم تذكر كتب السير والتراجم عنه سوى أنه الذي أتى ﷺ بصاع تمر فأفرغه في الصدقة فتضاحك به المنافقون وقالوا إن الله لغني عن صاع أبي عقيل.

انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/473-475)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (1/498)؛ الإصابة، لابن حجر، (6/184-185).

جُهِدَهُمْ»<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>.

وذكر الحافظ ابن حجر أن حث النبي ﷺ على الصدقة كان في غزوة تبوك<sup>(3)</sup>.

**2-** واستنفر النبي ﷺ الناس فقال له الجدد بن قيس<sup>(4)</sup>: (يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله

لقد عرف قومي ما رجل أشدّ عجباً بالنساء مّي، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا

أصبر عنهن)<sup>(5)</sup> فأعرض عنه النبي ﷺ، وهو الذي أنزل فيه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُوذِنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾<sup>(6)</sup>.

**3-** وجاء بعض المنافقين إلى الرسول بماله وقال: هذا مالي أعينك به وأذن لي في القعود<sup>(7)</sup>

**4-** وبلغ رسول الله ﷺ أنّ ناساً من المنافقين كانوا يجتمعون في بيت يهودي يشبطون الناس،

فبعث نفراً من أصحابه وأمرهم أن يحرقوا عليهم مكان تجمعهم ذلك<sup>(8)</sup>.

**5-** وقال المنافقون بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ، إرجافاً بالرسول وتثبيطاً للمؤمنين<sup>(9)</sup>.

**6-** وسار رسول الله ﷺ بنحو ثلاثين ألفاً من الناس، حتى إذا قطع بعض المسير تخلف عنه

عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين<sup>(10)</sup>.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 79.

(2) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الزكاة/باب اتقوا النار ولو بشق تمرّة والقليل من الصدقة]، (ص248)، رقم1415.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله "الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين"]، (ص855)، رقم4668.

وأخرجه مسلم [كتاب الزكاة/باب الحمل بأجرة يتصدق بها والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل]، (706/2)،

رقم1018.

(3) انظر: فتح الباري، لابن حجر، (332/8).

(4) هو الجدد بن قيس، يكنى أبا عبد الله وهو ابن عم البراء بن معرور، كان سيد بني سلمة، وكان ممن يظن فيه

النفاق، وكان يقال إنه تاب وحسنت توبته. توفي في خلافة عثمان.

انظر ترجمته في: أسد الغابة، لابن الأثير، (373-374/1)؛ الإصابة، لابن حجر، (344-345/1).

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص885).

(6) سورة التوبة، الآية: 49.

(7) لباب النقول، للسيوطي، (ص141).

(8) السيرة النبوية، لابن هشام، (136/4).

(9) المصدر نفسه.

(10) المصدر نفسه، (ص162).

**7-** ثم مضى رسول الله ﷺ في طريقه إلى تبوك فجعل بين الحين والآخر يتخلف عنه الرجل فيقولون: (يا رسول الله تخلف فلان فيقول: دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه)<sup>(1)</sup>.

**8-** وفي الطريق قال بعض المنافقين لبعض: أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم؟ والله لكأني بكم غدا مقرنين في الجبال.. يقولون ذلك إرجافا وترهيبا للمؤمنين، فلما سألمهم النبي ﷺ عن ذلك وقد أخبره الله به قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب<sup>(2)</sup>.

وروي أنهم قالوا: لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر<sup>(3)</sup>.

**9-** وقالوا أيضا عن رسول الله ﷺ وهم في الغزوة: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات! ثم اعتذروا أنهم إنما كانوا يخوضون ويلعبون<sup>(4)</sup>.

**10-** وكان الذين تخلفوا بالمدينة يشيعون عن النبي ﷺ وأصحابه أخبار السوء يقولون: إن محمدا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي ﷺ وأصحابه، فسأهم ذلك فأنزل الله<sup>(5)</sup> في سياق طويل: ﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾<sup>(6)</sup>.

**11-** وقال بعضهم: لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فلما سأله حلف بالله ما قلت<sup>(7)</sup>.

إن هذه جملة من أقوال كثيرة قيلت في الموضوع انتقيتها من مصادر مختلفة، واقتصرت فيها على ما يتصل بالمقام مما كان له آيات نزلت لأجله، أو آيات يدور معناها في فلكه.. وهي في مجموعها -أقوالا وأفعالا- تعطي صورة واضحة المعالم لحملة مركزة شرسة أطلقها قوم من المنافقين كشفوا علنا عن خبايا نفوسهم ومكنون أفئدتهم، فبدا منها حقد وغل وضغائن تراكم

(1) تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، (184/2).

(2) المصدر نفسه، (ص185).

(3) انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي، (411/1).

(4) لباب النقول، للسيوطي، (ص143).

(5) المصدر نفسه، (ص141).

(6) سورة التوبة، الآية: 50.

(7) لباب النقول، للسيوطي، (ص143).

بعضها فوق بعض، فكانت سورة التوبة فاضحة<sup>(1)</sup> لهم بحق.

إنّ هذا النصّ الذي أثبتته يجيء في (سياق السورة - وهو أطول مقاطعها، وهو يستغرق أكثر من نصفها- في فضح المنافقين وأفاعيلهم في المجتمع المسلم ووصف أحوالهم النفسية والعملية ومواقفهم في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها وما تلاها، وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التحلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف، وإيداء رسول الله ﷺ والخلفاء من المؤمنين، يصاحب هذا الكشف تحذير الخلفاء من المؤمنين من كيد المنافقين وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء، والمفاصلة بين الفريقين وتمييز كلّ منهما بصفاته وأعماله.. وهذا القطع يؤلف في الحقيقة جسم السورة، ويتجلى من خلاله كيف عاد النفاق بعد فتح مكة فاستشرى بعدما كاد أن<sup>(2)</sup> يتلاشى من المجتمع المسلم قبيل الفتح)<sup>(3)</sup> وذلك بفعل أحداث كانت تقهره في كلّ مرّة وتخنسه، ولكنّ السورة كشفت في أدقّ تعبير وأبلغه أن هؤلاء قوم مردوا<sup>(4)</sup> على النفاق، وهيهات أن يتوبوا منه أو يتعظوا.

### النصّ التاسع عشر:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۗ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۗ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّا

(1) عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه قال: «قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة هي الفاضحة! ما زالت تنزل:

ومنهم.. ومنهم.. حتى ظنوا أنّها لن تبقى أحدا منهم إلا ذكر فيها». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب الجلاء الإخراج من أرض إلى أرض]، (ص922)، رقم4882.

وأخرجه مسلم [كتاب التفسير/باب في سورة براءة والأنفال والحشر]، (4/2322)، رقم3031.

(2) استعمال "أن" بعد كاد قليل شاذ في الاستعمال وإن لم يكن قبيحا ولا مأيبا في القياس. انظر: الزهر في علوم

اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته: محمد أحمد جاد المولى

وعلي البحراوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (1/230).

(3) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3/1567).

(4) المرود على الشيء المرون عليه، أو هو أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف.

انظر: مختار الصحاح، للرازي، (ص259)؛ القاموس المحيط، للفيروزبادي، (ص288).

اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ\* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّصَارَى وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَضَعَا عَنْهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ\* وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَتَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ\* وَأَخْرُوجُوا غَيْرَ قُورٍ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ\* خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَاتُكَ سَكَنَ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ\* أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ\* وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ\* وَأَخْرُوجُوا مُرَجُومًا إِلَى اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(1).

إن هذا النص لا يختلف في السياق العام عن النص السابق، وإنما أفردته ههنا لأنه يتحدث عن طائفة منافقي الأعراب، وهم غير الطائفة التي تناولها النص السابق -وتناولتها أغلب النصوص- فهم طائفة لم تكن تعيش مع النبي ﷺ في المدينة ولم يكن لها احتكاك به أو بالمؤمنين، وإنما فرض هذا الاحتكاك بعض المناسبات الجامعة، منها غزوة تبوك التي جاء هذا النص في سياقها.

إن في الأعراب -بحكم عيشتهم في البادية القاسية- مواصفات غير تلك التي نبجدها في أهل الحضر، وسلوكا يتجه نحو الشدة والغلظة، وقد انعكس هذا السلوك في توجههم الفكري، فهم حينما كفروا أو نافقوا -من كفر منهم أو نافق- كانوا في ذلك أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر، وكانوا أجدر منهم ألا يعلموا حدود الله التي أنزلها على رسوله، أو لعل بعدهم عن النبي ﷺ جعل خوفهم أقل من خوف منافقي المدينة، فألستهم لذلك مطلقة، ونفاقهم أنجم(2).

وقد أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره(3) طائفة من الروايات تكشف جميعها (عن طابع الجفوة والفضاظة في نفوس الأعراب حتى بعد الإسلام، فلا جرم يكون الشأن فيهم أن يكونوا أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله لطول ما طبعتهم البداوة

(1) سورة التوبة، الآيات: 97-106.

(2) انظر: الجواهر الحسان، للثعالبي، (198/2).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص903).

بالجفوة والغلظة عندما يقهرون غيرهم، أو بالنفاق والالتواء عندما يقهرهم غيرهم، وبالاعتداء وعدم الوقوف عند الحدود بسبب مقتضيات حياتهم في البادية<sup>(1)</sup>.

### النصّ العشريون:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمرُ صَادًا لَمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلِيَخْلِفُنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ \* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِن أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ \* أَفَمَن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَم مَّن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَامٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ \* لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>.

صحيح أن هذا النص لا ينفصل عن السياق الكبير لسورة التوبة والذي وضعت فيه النصين السابقين، وصحيح أن الآيات في شأنه تنزلت عقب رجوعه ﷺ من غزوة تبوك وقبل وصوله إلى المدينة، إلا أن النصّ مع ذلك لا علاقة له بهذه الغزوة من قريب ولا من بعيد، وإنما هو فصل آخر من فصول المؤامرة التي ظلّ المنافقون يحيكون خيوطها في قلب الأمة المسلمة، أراد الله أن يكشفها لنبيه ﷺ - وكادت تنطلي - عقب رجوعه من الغزوة.

ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره أن سبب نزول هذه الآيات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له "أبو عامر الراهب"<sup>(3)</sup>، وكان قد تنصّر في الجاهلية

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3/1700).

(2) سورة التوبة، الآيات: 107-110.

(3) هو أبو عامر يعرف في الجاهلية بالراهب واسمه عبد عمرو بن صيفي المدني، وهو والد الصحابي الجليل حنظلة. تنصّر في الجاهلية ولبس المسوح، وكان له شرف كبير في الخزرج لا ينكره أحد، فلما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه خرج فارا إلى كفار مكة. ذهب إلى هرقل يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه، وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يكون مرصدا له إذا قدم فشرعوا في بناء مسجد الضرار. مات كافرا (سنة 9هـ) أو (10هـ).

انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (3/239)؛ جامع البيان، لابن جرير الطبري، (11/26v25)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (7/286)، (8/177-178)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (1/170)؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص907-908)؛ البداية والنهاية، لابن كثير، (3/618-619).

وقرأ علم أهل الكتاب، وكان له شرف كبير في الخزرج، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين بريقه وبارز بالعداوة وخرج فارا إلى كفار مكة فألبهم على حرب رسول الله ﷺ في غزوة أحد، ولما رأى أمر رسول الله ﷺ في ارتفاع وظهور ذهب إلى ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم بجيش يستأصل به النبي ﷺ وأصحابه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليه فيه ويكون مرصدا له، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاءوا النبي ﷺ فسألوه أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ويدعو لهم بالبركة ليحتجوا بصلاته عليه السلام فيه على تقريره وإثباته ويروج لهم بذلك ما أرادوه من الفساد، وذكروا له أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فقال عليه السلام: إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله. فلما قفل ﷺ راجعا إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه الوحي يخبره أن المسجد مسجد ضرار، وأن أصحابه إنما بنوه للكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم؛ مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة<sup>(1)</sup>.

### النصّ الواحد والعشرون:

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ \* أُولَٰئِكَ يَسِرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ \* وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

جاء النصّ في خاتمة سورة التوبة التي فضحت المنافقين ولم تبق منهم أحدا، وقد سبق أن سقت طائفة من أقوالهم<sup>(3)</sup> التي أطلقوها وهم فيما بينهم ففضحهم الله فيها، أو كان معهم فيها أحد فكشفهم.. ويصوّر النص قبل أن تسدل السورة ستار النهاية الحاله النفسية التي يكون

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 907-908)؛ البداية والنهاية، (3/618-619).

(2) سورة التوبة، الآيات: 124-127.

(3) راجع صفحة: 82-84.



عليها المنافقون إذا حضروا مجلس الرسول ﷺ وهو يتلو آخر ما نزل من القرآن، ويصور النص أن للمنافقين إزاء هذا حالتين اثنتين:

**1- حالة استخفاف** بصورها السؤال الأول ﴿أَيُّكُمْ نَرَادُهُ هَذِهِ إِيْمَانًا﴾<sup>(1)</sup>، وواضح أنه (سؤال مريب لا يقوله إلا الذي لم يستشعر وقع السورة المنزلة في قلبه، وإلا لتحدث عن آثارها في نفسه بدل التساؤل عن غيره، وهو في الوقت ذاته يحمل رائحة التهوين من شأن السورة النازلة والتشكيك في أثرها في القلوب)<sup>(2)</sup>.

**2- حالة ذعر ورعب** بصورها السؤال الثاني ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾<sup>(3)</sup> وذلك أتهم (إذا حضروا الرسول وهو يتلو قرآنا أنزل فيه فضيحتهم أو فضيحة أحد منهم جعل ينظر بعضهم إلى بعض نظر الرعب على جهة التقرير؛ يقول: هل يراكم من أحد إذا تكلمتم بهذا فينقله إلى محمد؟ وذلك جهل منهم بنبوته عليه السلام)<sup>(4)</sup> ثم تحينوا فرصة انشغال المؤمنين بنبيهم وانصرفوا خلسة حتى لا يحضروا مشهدا تعرّى فيه سوءاتهم ومنظرا تكشف فيه عوراتهم. وبهذا النصّ تنتهي نصوص المطلب الثاني.

### المطلب الثالث: آيات ذات مناسبات عامة

وهو مطلب جعلته للنصوص التي كانت مناسباتها مناسبات عامة ليس فيها ما يشير إلى حدث تاريخي يعيننا في ترتيبها وتبويبها، وقد وجدتها - بعد التحري والتحقيق - نصوصا ستة:

#### النص الأول:

﴿الْمُتَرَاتِبِينَ الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ مَرَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ \* فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا

(1) سورة التوبة، الآية: 124.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (1741/3).

(3) سورة التوبة، الآيات: 127.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (216-215/8).

إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا \* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا مَرْحِيمًا ﴿١﴾ .

تتفق أغلب الروايات أنّ هذه الآيات نزلت في رجل منافق يدّعي الإسلام، كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي: أحاكمك إلى النبي ﷺ، لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرشوة، والمنافق يدعو إلى اليهود لأنه يعلم أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، فلما اختلفا أجمعا على أن يحكما كاهنا في جهينة<sup>(2)</sup>. قال ابن كثير بعد أن ساق بعض الأقوال في سبب نزول هذه الآيات: (والآية أعمّ من ذلك كلّها، فإنها ذمّة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطّاغوت ههنا)<sup>(3)</sup>.

وتدعو الآيات النبي ﷺ -ومن خلاله سائر المؤمنين- إلى الإعراض عن المنافقين ووعظهم سرا في أنفسهم من غير علانية ولا تشهير بهم.

وإذا تأملنا النص وجدناه يكشف لنا أن (السياسة التي كانت متبعة في ذلك الوقت مع المنافقين كانت هي الإغضاء عنهم وأخذهم بالرفق واطراد الموعظة والتعليم)<sup>(4)</sup> وهو ما دعاني إلى أن أقول أيضا إن هذا النص -وإن لم يكن له حدث تاريخي يستند إليه- هو من النصوص الأولى التي تناولت ظاهرة النفاق والمنافقين، وهو من سورة "النساء" وهي من أوائل السور نزولا بالمدينة.

### النص الثاني:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَولِيَاءَ وَأَنْتُمْ اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ \* قُلْ يَا أَهْلَ

(1) سورة النساء، الآيات: 60-64.

(2) انظر: لباب النقول، للسيوطي، (ص82)؛ جامع البيان، لابن جرير الطبري، (5/152-153)؛ أسباب النزول، للواحدي، (ص92).

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص502).

(4) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (2/695).

الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مَتَىٰ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ  
بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا  
وَأَضَلُّ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٢﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا  
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٣﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ (١).

أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن بعض اليهود قد أظهروا الإسلام ثم نافقوا،  
وكان رجال من المسلمين يوادونهم فأنزل الله فيهم هذه الآيات (٢)، قال: (فقد أبان هذا الخبر عن  
صحة ما قلنا من أن اتخاذ من اتخذ دين الله هزوا ولعبا من أهل الكتاب الذين ذكرهم الله في هذه  
الآية إنما كان بالنفاق منهم وإظهارهم للمؤمنين الإيمان واستبطانهم الكفر) (٣) وقيل غير هذا، وفي  
الآيات ما يدعم جانبنا من موضوعنا وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ  
وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ فالآية تتحدث حتما عن نفاق طائفة من اليهود.

### النص الثالث:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ  
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ﴿٣﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ  
النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿٤﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ  
جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ  
يُظَلِّمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَمَن يَكْسِبِ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا  
حَكِيمًا ﴿٧﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ  
وَمَرَاحَمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٩﴾ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ

(١) سورة المائدة، الآيات: 57-62.

(٢) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (6/290).

(٣) المصدر نفسه.

إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَنْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا \* وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١﴾.

كان أهل بيت يقال لهم بنو أبيرق وكان في بعضهم نفاق وكانوا أهل بيت حاجة وفاقية في الجاهلية والإسلام، فعمدوا ذات يوم على بيت رفاعة بن زيد<sup>(2)</sup> وكان قد ابتاع حملا من الدقيق فوضعه في مشربة<sup>(3)</sup> له وله فيها سلاح، فأخذوا الطعام والسلاح، فلما أصبحوا تحسّسوا يبحثون عن السارق فقبل لهم: رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فلما سألوهم قالوا: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل<sup>(4)</sup> وكان رجلا له إسلام وصلاح، فلما سمع لبيد خرج إليهم واختلط سيفه وقال أنا أسرق؟ فما زالوا يسألون حتى لم يشكوا أنهم أصحابها، فأرسل رفاعة بن زيد ابن أخيه قتادة بن النعمان<sup>(5)</sup> إلى رسول الله ﷺ يذكر له

(1) سورة النساء، الآيات: 105-115.

(2) هو الصحابي رفاعة بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري عم قتادة بن النعمان وهو الذي سرق سلاحه وطعامه بنو أبيرق فتنازعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت في بني أبيرق "ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم" الآية. قال قتادة فأنتيت عمي بسلاحه - بعد أن استرده ممن سرقه - وكان قد عشا في الجاهلية وكنت أظن إسلامه مدخولا قال فلما أتيته به قال يا ابن أخي هو في سبيل الله فعرفت أن إسلامه كان صحيحا.

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (499/2)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (80-79/2)؛ الإصابة، لابن حجر، (176/2).

(3) مشربة: بفتح فسكون فضم، ويجوز فتح الراء: هي الغرفة المرتفعة. انظر: فتح الباري، لابن حجر، (488/1).

(4) هو لبيد بن سهل، ولم أجد من ترجمته سوى أنه لبيد بن سهل بن الحارث الأنصاري، له ذكر في قصة بني أبيرق وهو الذي اتهم بسرقة الدرع، وكان رجلا له حسب وصلاح.

انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، (1338/3)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (204-203/4)؛ الإصابة، (08/5).

(5) هو الصحابي الجليل الأمير المجاهد أبو عمر قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري البصري، من فضلاء الأنصار ونجباء الصحابة، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وكان ﷺ من الرماة المعدودين. شهد العقبة الثانية وشهد بدرًا والمشاهد كلها. رميت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته فأتى رسول الله ﷺ فردها بيده الشريفة فاستوت وكانت أصحابهما بعد أن كبر. توفي بالمدينة (سنة 23هـ)، وهو ابن خمس وستين سنة.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (453-452/3)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (1274-1277)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (85-83/4)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (59-58/2)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (11-10/4)؛ الإصابة، لابن حجر، (373-372/4)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (487/6-488).

الخبر، فلما سمع بذلك بنو أبيرق استبقوه إلى رسول الله ﷺ «فقالوا يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة؟ قال فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك.. فأتاني عمي رفاعة فقال يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ فقال: الله المستعان. فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنِ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾<sup>(1)</sup> بني أبيرق، ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ أي مما قلت لقتادة»<sup>(2)</sup>، والآيات في مجملها:

- 1- تنهى النبي ﷺ -والخطاب للمؤمنين- عن أن يكون مدافعا عن الخائنين مجادلا عنهم.
- 2- تذكر أن من خصال المنافقين أنهم يتأثمون من الناس ويتخرجون ولا يستخفون من الله وهو معهم ولا يغيب عنهم.
- 3- تذكر النبي ﷺ بفضل الله عليه إذ عصمه من الوقوع في مصيدة أولئك المنافقين وكادوا يضلونه، وهو تنبيه لسائر المؤمنين.

### النص الرابع:

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ \* وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَانَاهُمْ تَقْوَاهُمْ \* فَهَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ \* فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ \* وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَعْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ \* طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ \* فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ \* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ \* أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ أَمْرٌ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا \*﴾

(1) سورة النساء، الآيتان: 105-106.

(2) أخرجه الترمذي [كتاب تفسير القرآن عن رسول الله/باب ومن سورة النساء]، (244/5)، رقم 3036.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مَا نُنزِلُ اللَّهُ سَطِيرًا عَلَيْكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ \* فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا مَرْضَاهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ \* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ \* وَلَوْ نَشَاءُ لَمَرَبْنَا كُلَّهُمْ فَلَعَرَّجْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ \* وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَبَلِّوْنَا أَخْبَارَكُمْ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنَ يُضْرَبُوا اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾.

ذكر أهل التأويل في سبب نزول أوائل هذه الآيات أن المؤمنين والمنافقين كانوا يجتمعون إلى النبي ﷺ فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه وعيا كاملا، ويسمع المنافقون ما يسمعه المؤمنون لكنهم لا يعونه، فإذا خرجوا من عند النبي ﷺ سأل المنافقون المؤمنين ماذا قال آنفا؟ فنزلت هذه الآيات (2) تصف حالتهم هذه وطائفة من خصال نفاقهم أهمها:

**1- وصف الله المنافقين بالبلادة وقلة الفهم لعدم اكتراثهم بما يسمعون عند النبي ﷺ (فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح) (3).**

**2- إن المنافقين قوم جناء يصابون بالفزع والرعب بمجرد أن تنزل آيات يذكر فيها القتال، فكيف لو سيقوا إلى لقاء العدو؟.**

**3- لا يحسب المنافقون أن حيلهم تنطلي على الرسول ﷺ أو المؤمنين فإن الله مطلع عليهم.**

**4- إن الله لم يطلع نبيه - في أول الأمر - على المنافقين بأشخاصهم وأسمائهم ولكنه عرفهم إليه بلحن أقوالهم وهو ما يديه الله على صفحات وجوههم وفتلات ألسنتهم (4).**

ويبدو لي أن النص - بهذه المعاني - يكون من أوساط النصوص التي نزلت في المنافقين دون أن نعرف لذلك تحديدا معينا.

(1) سورة محمد، الآيات: 16-32.

(2) انظر: لباب النقول، للسيوطي، (ص 261).

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 1720).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 1722).

## النص الخامس:

﴿الْمُتَرِّقِينَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ \*  
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ  
مُهِينٌ \* لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ  
جَمِيعًا فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ \* اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ  
الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿1﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان في ظلِّ حجرة من حجره وعندة نفر من المسلمين، وقد كان يقلص عنهم الظلَّ قال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال: علام تشمتني أنت وفلان وفلان - نفر دعاهم بأسمائهم - قال: فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه، فأنزل الله بعض هذه الآيات» (2) وهي آيات تصف المنافقين ببعض الأوصاف منها:

1- إن المنافقين يوالون - في الباطن - اليهود، وفي ذلك تنبيه للمؤمنين إلى أن ما يظهر ونهه لهم من الموالاة إنما هو خداع فليحذروا.

2- إن المنافقين - مع موالاتهم اليهود - مذذبون في ولائهم، فلا هم من المؤمنين ولا هم مع اليهود في حقيقة الأمر.

3- يجتهدون في الكذب على ما يواجهون به وإنهم ليعلمون ذلك عن أنفسهم.

4- اتخذوا هذه الأيمان الكاذبة تقية يتسترون بها.

5- عاشوا على النفاق ويموتون على النفاق، ومن مات على شيء بعث عليه، فسيحلفون لله - يوم القيامة - كما يخلفون للناس في الدنيا (3).

ووجه التعجيب الذي في مطلع الآية أنهم تولوا قوما من غير جنسهم وليسوا في دينهم،

(1) سورة المجادلة، الآيات: 14-19.

(2) أخرجه أحمد [كتاب ومن مسند بني هاشم/باب بداية مسند عبد الله بن عباس]، (240/1)، رقم 2147؛ (267/1)، رقم 2407؛ (350/1)، رقم 3277.

وأخرجه الحاكم [كتاب التفسير]، (524/2)، رقم 3795. وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 1843).

فإن كان يفرق بينهم وبين المسلمين اختلاف الدين، فإن الذي يفرق بينهم وبين اليهود اختلاف الدين واختلاف النسب.. وما حملهم على ذلك إلا اشتراك الفريقين في عداوة الإسلام والمسلمين<sup>(1)</sup>.

### النص السادس:

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَمْرُكُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا \* وَذُو لَوْلَا تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَابُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخِذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَكِيًا وَلَا نَصِيرًا \* إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِ بَيْتِكُمْ وَبَيْتِهِمْ مِيثَاقًا أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتِ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَفِئْتُوا قَوْمَهُمْ وَكُوشَاءَ اللَّهِ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفُوكُمْ فَلَمْ يُفِئْتُوا تَلُوكُمْ وَالْفَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا \* سَبِحُوا مَا يُرِيدُونَ أَنْ يُكْفُرُوا بِمَا كَفَرُوا فِي الْفِتْنَةِ أَمْ كَسَبُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِفُوا تَلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخِذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾<sup>(2)</sup>.

اختلف أهل التأويل في الذين نزلت فيهم هذه الآيات اختلافا بينا، وتباينت آراؤهم في ذلك تباينا كبيرا تبعا للروايات التي سيقت في الموضوع، ولعل أشهرها روايتان اثنتان:

- **الرواية الأولى:** وهي رواية ثابتة في الصحيحين أخرجها الشيخان البخاري<sup>(3)</sup>

(1) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت.ط)، (48/28).

(2) سورة النساء، الآيات: 88-91.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري (نسبة إلى بخارى)، شيخ الإسلام وجبل الحفظ وإمام الدنيا في الحديث، قام برحلة طويلة في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ، من مؤلفاته: "الجامع الصحيح"، "الأدب المفرد". توفي ببخارى (سنة 256هـ)، وله اثنتان وستون سنة.

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد، للبغدادي، (2/5-33)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (1/67-76)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (4/188-191)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (10/277-320)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (2/104-105)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (7/41-47)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص252-253)؛ التاج المكلل، للقنوجي، (ص98-100).



ومسلم<sup>(1)</sup> من رواية زيد بن ثابت<sup>(2)</sup>: « أن النبي ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين: فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَمْرٌ كَسَبُوا﴾<sup>(3)</sup> وقال: إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة»<sup>(4)</sup>.

وقد مرّ معنا من قبل أن الذي رجع يوم أحد هو عبد الله بن أبيّ بن سلول، وقد جر معه ثلث الجيش.

**-الرواية الثانية:** أخرجها عن ابن عباس ابن جرير الطبري بسنده، وأخرجها أيضا

---

**(1)** هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين، من حفاظ الحديث الكبار ومن أشهر أئمة، وهو إمام مصنف عالم بالفقه. رحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق لجمع الحديث. من مؤلفاته: "الجامع الصحيح" المشتهر بصحيح مسلم، "المسند الكبير"، "الأفراد"، "العلل". توفي بنيسابور -القرية التي ينسب إليها- (سنة 261هـ).

**انظر ترجمته في:** تاريخ بغداد، للبغداد، (101/13-104)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (89/2-92)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (194/5-196)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (379/10-391)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (125/2-126)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (150/8-151).

**(2)** هو الصحابي الجليل أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي المدني، أحد كتاب الوحي وحفاظ القرآن على عهد النبي ﷺ، وهو أحد الراسخين في العلم. اختاره أبو بكر الصديق لجمع القرآن ثم عثمان بن عفان من بعده، وكان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان يستخلفانه على المدينة إذا حجّا، وهو أعلم الناس بالفرائض، توفي (سنة 45هـ).

**انظر ترجمته في:** طبقات الرواة، لخليفة بن خياط، (ص22)؛ الطبقات الكبرى، لابن سعد، (358/2-362)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (537/2-540)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (137/2-138)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (73/4-82)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (216/3-217)؛ الإصابة، لابن حجر، (238/2-239)؛ الرياض المستطابة، للعامري، (ص84-85).

**(3)** سورة النساء، الآية: 88.

**(4)** متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الحج/باب المدينة تنفي الخبث]، (ص328)، رقم 1884.

وفي [كتاب المغازي/باب غزوة أحد]، (ص734)، رقم 4050.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "فما لكم في المنافقين فتنين والله أركسهم بما كسبوا"]، (ص836)، رقم 4589.

وأخرجه مسلم [كتاب صفات المنافقين وأحكامهم]، (4/2142)، رقم 2776.

ابن أبي حاتم<sup>(1)</sup> عنه (وذلك أن قوما كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فليس علينا منهم بأس، وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين اركبوا إلى الخبثاء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم، وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله - أو كما قالوا- أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم تستحل دماءهم وأموالهم لذلك؟ فكانوا كذلك ففتين، والرسول عليه الصلاة والسلام عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شيء فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَمْرُكُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾<sup>(2)</sup> (3).

وقد ترددت أقوال أهل العلم بالتأويل في اعتماد الرواية الأولى الأصح نقلا، أو اعتماد الثانية وفي الآيات ما يعضدها كما أشار القرطبي<sup>(4)</sup>.

ورغم (أن الرواية الأولى أوثق من ناحية السند والإخراج، إلا أننا نرجح مضمون الرواية الثانية بالاستناد إلى الواقع التاريخي؛ فالثابت أن منافقي المدينة لم يرد أمر بقتالهم، ولم يقاتلهم الرسول ﷺ أو يقتلهم، إنما كانت هناك خطة أخرى مقررة في التعامل معهم هي خطة الإغضاء عنهم وترك المجتمع نفسه يبندهم... أما هنا فنحن نجد أمرا جازما بأخذهم أسرى وقتلهم حيث وجدوا مما يقطع بأنهم مجموعة أخرى غير مجموعة المنافقين في المدينة)<sup>(5)</sup>.

قال الإمام ابن جرير الطبري بعد أن ساق طائفة من الأقوال بشأن هذه الآيات: (وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال نزلت هذه الآية في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ

(1) هو شيخ الإسلام الحافظ الناقد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي، ولد سنة أربعين ومائتين أو إحدى وأربعين. كان ثقة حافظا زاهدا يعد من الأبدال، رحل به أبوه فأدرك الأسانيد العالية، وأخذ علم أبيه وأبي زرة فكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال، له كتاب نفيس في الجرح والتعديل، وصنف في الفقه وفي اختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار. توفي بالري (سنة 327هـ).

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (609-605/10)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص346-347).

(2) سورة النساء، الآيات: 88-91.

(3) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (5/193).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (5/264).

(5) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (2/729-730).

في قوم كانوا ارتدوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة... وفي قول الله تعالى ذكره: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا﴾<sup>(1)</sup> أوضح الدليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة لأن الهجرة<sup>(2)</sup> كانت على عهد رسول الله ﷺ إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر<sup>(3)</sup>.

ثم ألم يكن النبي ﷺ يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في كل مرة يستأذنه في قتل بعض المنافقين ممن كشفوا عن نفاقهم: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»<sup>(4)</sup>؟ فكيف تأمر الآية المؤمنين بأن يأخذوهم ويقتلوهم؟.

والآيات في مجملها تخاطب المؤمنين وتحدد لهم مختلف المواقف التي ينبغي أن يسلكوها تجاه هذه الطائفة من المنافقين غير المقيمين بالمدينة:

- 1- لا توالوهم حتى يهاجروا هجرة خالصة في سبيل الله لا رياء فيها ولا مصلحة.
- 2- إن تركوا الهجرة وأبوها فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ويستثنى من هؤلاء:  
أ- من انحاز منهم إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق مهادنة أو عقد ذمة ولم يقاتلكم.  
ب- من جاءكم وقد ضاق صدره عن قتالكم ولا يهون عليه أن يقاتل قومه معكم.  
فهذان الفريقان استثناهما الله من الطائفة الأولى التي أبت الهجرة، فلا يجوز للمؤمنين قتالهم.
- 3- ستجدون طائفة أخرى تصانعكم وتصانع قومهم من الكفار لتأمن عندهم وعندكم، فعاملوهم بمثل ما عاملتم به الطائفة الأولى..  
وبهذا تنتهي طائفة نصوص المطلب الثالث.

---

(1) سورة النساء، الآية: 89.

(2) اللهم إلا إذا قلنا ما قاله الشيخ عزة دروزة من أن الرواية الأولى قد تصح إذا أصبحت كلمة "يهاجروا" بمعنى يجاهدوا أو يخلصوا، وقد أولها هذا التأويل غير واحد من المفسرين كما قال. انظر: سيرة الرسول ﷺ: صور مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية، محمد عزة دروزة، الطبعة الثانية: 1384هـ-1965م، (80/2).

(3) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (194/5-195).

(4) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المناقب/باب ما ينهى من دعوة الجاهلية]، (ص638)، رقم3518.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله "سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم..."]، (ص928)، رقم4905.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"]، (ص928)، رقم4908.

وأخرجه مسلم [كتاب البر والصلة والآداب/باب نصر الأخ ظلماً أو مظلوماً]، (4/1998)، رقم2584.

## المطلب الرابع: آيات ذات سياق عام

وهو مطلب خصّصته للنصوص التي لم تذكر لها الكتب المعتمدة سبباً للنزول أو أن ما ذكر ضعيف لا يصلح للاحتجاج به، فهي نصوص عامّة تظهر ألفاظها أو معانيها أن المقصود من آياتها المنافقون حتماً، ويحوي هذه المطلب عشرة نصوص هي:

### النص الأول:

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ۚ وَآخِرُ لَعَلِّهِمْ يَرْجَعُونَ ۗ \* وَلَا تُؤْمِنُوا إِنَّا لَنَبْعَثُ قُلُوبَكُمْ قُلُوبًا مِّنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۗ \* يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۗ﴾<sup>(1)</sup>.

ذكرت بعض المصادر أنّ التصاري من وفد نجران قدموا على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام ويجادلونه فيه، فأنزل الله فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها<sup>(2)</sup>، والمعلوم عند علماء السيرة أن وفد نجران إنما قدم على النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة، وقد صحّ من حديث أبي سفيان<sup>(3)</sup> أن كتابه ﷺ إلى ملك الروم ختمه بقول الله تبارك وتعالى:

(1) سورة آل عمران، الآيات: 72-74.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص349)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (6/4)؛ لباب النقول، للسيوطي، (ص53).

(3) قال أبو سفيان في الحديث الذي دار بينه وبين هرقل: «ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَكَأَنُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب بدء الوحي/باب بدء الوحي]، (ص7)، رقم7.

وفي [كتاب الجهاد والسير/باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله]، (ص527)، رقم2941.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله"]، (ص826)، رقم4553.

وأخرجه مسلم [كتاب الجهاد والسير/باب كتاب النبي إلى هرقل يدعو إلى الإسلام]، (3/1393)، رقم1773.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(1)</sup> وهي آية من صدر آل عمران، وكتابه ﷺ إلى ملك الروم كان بعد الحديبية وقبل فتح مكة، وكان أبو سفيان إذ ذاك عند هرقل ولم يكن قد أسلم بعد، فكيف يستقيم هذا مع ذلك؟

لقد أجاب المحافظ ابن كثير عن هذا الإشكال بوجوه كلِّها احتمالات، لعلَّ أقربها إلى الصَّواب أن قول ابن إسحاق الذي نُقلت عنه عبارة: "إلى بضع وثمانين" ليس بمحفوظ<sup>(2)</sup> لدلالة حديث أبي سفيان.

ولأجل ذلك (نستبعد أن تكون السنة التاسعة هي زمن نزول هذه الآيات، فواضح من طبيعتها وجوها أنها نزلت في الفترة الأولى من الهجرة، حيث كانت الجماعة المسلمة بعد ناشئة، وكان لدسائس اليهود وغيرهم أثر شديد في كيانها وفي سلوكها)<sup>(3)</sup> وأنى يستقيم ذلك التقرُّع الشديد الذي خوطب به اليهود، وذلك التنبيه الكبير الموجه للأمة المسلمة للخطر من مكائدهم ودسائسهم وبنو قينقاع قد أجلوا عن ديارهم وبنو قريظة أبيدوا عن آخرهم وخيبر فتحت وكسرت شوكتها؟

لأجل هذا لم أضع النص ضمن المطلب الثاني في إطاره الزماني الذي تحدث عنه بعض العلماء، وجعلته ضمن المطلب الرابع مما ليس له مناسبة.

وواضح من النصّ أنه يتحدّث عن نوع من تلبيسات اليهود، فقد ذكرت بعض مصادر التفسير أن اثني عشر حبرا من اليهود تواطؤوا فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار نفاقا ثم اكفروا آخر النهار، وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا أن محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد واتهموه في دينه وقالوا إنهم أهل الكتاب وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم<sup>(4)</sup>، وهو مكر وخبث لا يؤتاها إلا من كان على شاكلتهم، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

(1) سورة آل عمران، الآية: 64.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص372).

(3) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (352/1).

(4) انظر: مختصر تفسير الخازن، (241/1).

## النص الثاني:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تُعْقِلُونَ﴾ \* هَاتُتُمْ أَوْلِيَاءَ تَحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ فَأَلْمَامِلٌ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ \* إِن تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴿(1).

أخرج الطبري بسنده عن غير واحد<sup>(2)</sup> أنّ هذه الآيات نزلت في المنافقين من أهل المدينة كان قوم من المسلمين يخالطونهم (ويصافونهم المودة بالأسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام)<sup>(3)</sup> فنهى الله عزّ وجلّ المؤمنين عن أن يتولّوهم، أو يستنصحوهم في شيء.

إن النص يحذر المؤمنين من أن يتخذوا المنافقين أولياء من دون المؤمنين فإنهم لا يقصرون أبدا في جلب الشر والفساد إليهم، بل لا يحبون لهم إلا الضيق والعنت، ويحذرهم من أن يغتروا بما يعلنونه لهم من إيمان، فإنهم إذا خلوا كشفوا عن شدة غيظهم فهم يستأوون للحسنة تصيب المؤمنين، ويفرحون للسيئة تصيبهم. وفي هذا النص دعوة للتخلي بالصبر والتقوى لمواجهة هذه الدسائس.

إن هذه المعاني التي ورد بها النص تعطينا دلالة قوية لأن أقول إن النص - كسابقه - من أوائل النصوص التي نزلت بالمدينة وهو من سورة آل عمران وهي ثالث سورة تنزل، ويبدو أنه نزل ولما تتحل صورة الولاء أو ترسخ، ولما تنشأ المفاصلة بين قوم ما زالت تربطهم بعضهم ببعض أواصر (القراية والصدقة والحلف والجوار والرضاع)<sup>(4)</sup>.

(1) سورة آل عمران، الآيات: 118-120.

(2) أخرج ذلك من طرق سبعة يختلف بعضها عن بعض. انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (4/61-62).

وأخرج أيضا عن ابن عباس وابن إسحاق عنه أنّه (كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الحوار والحلف في الجاهلية فأنزل الله عز وجل فيهم فنهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ﴾). المصدر نفسه، (ص61).

(3) المصدر نفسه، (ص61).

(4) معالم التنزيل، للبغوي (1/344).

و(الحسنة والسيئة هنا: الحادثة أو الحالة التي تحسن عند صاحبها أو تسوء، وليس المراد

بهما هنا الاصطلاح الشرعي)<sup>(1)</sup>.

### النص الثالث:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ يُحْسِرُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من رواية البراء بن عازب رضي الله عنه « أن النبي ﷺ مرَّ عليه بيهودي محمماً<sup>(3)</sup> مجلوداً، فدعاهم النبي ﷺ فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك.. نجده الرجم، ولكنه كثير في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أول من أحیی أمرک إذ أماتوه.. فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾<sup>(4)</sup>.

وواضح من النص أن المعنى بالنزول في الآيات اليهود وليس المنافقين، وإنما جاء الحديث عن المنافقين في السياق العام الذي حوى النص، والمعنى يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن اليهود..

(1) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (68/4).

(2) سورة المائدة، الآية: 41.

(3) محمماً: أي سؤد وجهه بالحلم - بضم الحاء وفتح الميم - وهو الفحم. انظر: عون المعبود، لأبي الطيب العظيم آبادي، (104/12).

(4) أخرجه مسلم [كتاب الحدود/باب رجم اليهود، أهل الذمة، في الزنى]، (1326/3)، رقم 1700.

وأما باقي الآية فهو في اليهود وليس هذا محل الحديث عنهم، ولأجل ذلك وضعت هذه الآية في المطلب الرابع مما ليس له سبب.

### النص الرابع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا \* وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ ءَنَعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا \* وَكُنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَأْتِيَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا \* فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا \* وَمَا لَكُمْ لِمَا نَقَاتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا \* الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَكَأَيُّ ظَالِمِينَ لَمَّا كَانُوا يَدْرِكُوا الْمَوْتَ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا \* مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأْمُرْ سُلْتَانَكَ لِلنَّاسِ مَرْسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا \* مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا \* وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّوْا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا \* أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا \* وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (1).

قال غير واحد من أهل العلم بالتأويل إن الآيات نزلت في المنافقين.. وليس في النص ما يوحي إلى غير هذا، إلا ما ورد في ثناياه من معان أخر فإن لها مناسبة لا تعنينا ههنا، وقد أثبتتها

(1) سورة النساء، الآيات: 71-83.



مع النصّ لأنها في وسط سياقه<sup>(1)</sup> بين طرفي حديث عن المنافقين، ويتناول النصّ جملة من المعاني أهمّها:

1. إنّ في صف المسلمين منافقين يتباطؤون عن الخروج للغزو.
  2. لا يكتفون بالتباطؤ بل يثبّطون من يستجيب<sup>(2)</sup>.
  3. يختار المنافقون لأنفسهم مواقع بحسب أحوال المسلمين انتصارا أو انهزاما، ولهم في كلّ منها مقال أو موقف وموقع.
  4. إنهم متشائمون بالنبي ﷺ فيما يصيبهم من البلاء الذي يصيب سائر الناس، فيقولون أصابتنا هذه باتباعنا له، فإن أصابتهم الحال الحسنة نسوا فضله عليهم وقالوا هذه من عند الله.
  5. يتظاهرون بكامل السمع والطاعة، ويبيّتون فيما بينهم غير ذلك.
- أما التوجيهات التي تضمّنّها النصّ فهي الدعوة إلى الإعراض عنهم والتوكل على الله وكفى به وكيلا.

### النصّ الخامس:

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا \* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا \* وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا \* الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ

(1) وأعني بذلك قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، فقد أخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس «أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة فقال إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾»، وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (242/5): وقيل: هو وصف للمنافقين، ثم تعقبه.

والحديث أخرجه النسائي [كتاب الجهاد/باب وجوب الجهاد]، (3/6)، رقم 3083. وأخرجه الحاكم [كتاب الجهاد]، (76/2)، رقم 2377؛ (336/2)، رقم 3200، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

(2) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (165/5).

نَسْتَحُودُ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا \* إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا \* مَذْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أْتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا \* إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا \* مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١﴾.

لم أقف لهذه الآيات على سبب للنزول، وما أورده ابن جرير الطبري من الروايات (2) لا يخرج عن كونه شرحا وتفسيرا، فالتصّ خرج بهذا مخرج العموم، ومن المسائل التي تناولها مما يتعلق بالموضوع:

**1-** من أوصاف المنافقين أنهم يوالون الكافرين من دون المؤمنين ويسرون إليهم بالموذّة ويطلبون عندهم المنعة والتّصرة والقوّة.

**2-** ومن أوصافهم أنهم يترّبصون بالمؤمنين دوائر السوء فتراهم (ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفر عليهم وذهاب ملّتهم) (3).

**3-** تتلّون مواقفهم بحسب أحوال المؤمنين نصرا وتأييدا، أو ضعفا وغلبة.

**4-** ظاهرهم في العبادة أنهم إذا قاموا إلى الصّلاة قاموا إليها كسالى، وباطنا يراؤون الناس؛ فهم إنّما يصلّون مصانعة وموافقة لما أعلنوه ظاهرا.

**5-** لا يذكرون الله إلا قليلا (ذكر رياء لا ذكر موقن مصدّق بتوحيد الله) (4).

وقيل في معنى ذكر المنافقين ههنا (أنهم لا ينطقون إلا بالأذكار الجهرية التي يسمعها

(1) سورة النساء، الآيات: 138-147.

(2) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (5/329-330).

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص543).

(4) مختصر تفسير الطبري المسمى "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني

والدكتور صالح أحمد رضا، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م، (1/253).

الناس كالتكبيرات وقول "سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد" عند القيام من الركوع، والسلام..  
وقيل إن المراد به الصلاة أي لا يصلون إلا قليلا وذلك إذا أدركتهم الصلاة وهم مع المؤمنين، وكل  
هذه الأقوال قريبة، ويجوز أن تراد كلها من اللفظ عند بعض العلماء، ولعل القول الثاني أقواها<sup>(1)</sup>.

**6-** مترددون بين الكفر والإيمان، فهم (ليسوا مع المؤمنين فيظهروا إيمانهم ولا مع المشركين  
فيصريحوا بشركهم، ولكنهم حيارى كالشاة المترددة<sup>(2)</sup> بين قطيعين)<sup>(3)</sup>.

**7-** ومن تاب من المنافقين وأخلص دينه لله فإن الله يغفر له، ودخل في عداد المؤمنين.

### النص السادس:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُخَيَّرُوا بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ \* وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ \* أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ امْتَنَبُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُخَيَّرُوا بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ \* وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِئْمِ أَمْرِهِمْ لَيُخْرِجَنَّ قُل لَّا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(4)</sup>.

الظاهر الذي عليه أهل التأويل أن ليس للنص مناسبة محددة نزلت لأجلها هذه الآيات،  
وما ذكره البعض منهم فإنه لا يخرج عن كونه شرحا وتفسيرا، وأما ما ذكره الإمام القرطبي<sup>(5)</sup>

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (379/5).

(2) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة».

أخرجه مسلم [كتاب صفات المنافقين وأحكامهم]، (2146/4)، رقم 2784.

(3) مختصر تفسير الطبري، لعلي الصابوني ود. صالح أحمد رضا، (254-253/1).

(4) سورة النور، الآيات: 47-54.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (272/12).

من أنّ ابن جرير الطّبري قال نزلت في رجل من المنافقين كانت بينه وبين يهوديّ خصومة، فالذي وقفت عليه أنّ الطّبري إنّما أخرجها في آية النساء التي مرّت معنا<sup>(1)</sup> من قبل وليس في هذه الآية، ولأجل ذلك أعرضت عنه وأبقيت النّصّ في المطلب الرّابع ممّا ليس له مناسبة.

والنص يظهر طائفة من صفات المنافقين منها:

- 1- إذا دعوا -بحكم ما ادّعوه من إيمان- إلى التحاكم إلى الله ورسوله فيما يعرض لهم أعرضوا.
- 2- إذا علموا أنّهم محقّون وأنّ الرّسول ﷺ سيحكم لهم جاءوا طائعين منقادين، وإنّما لأنّ ذلك وافق هواهم، لا إيماناً وتسليماً.
- ولا يخرج أمرهم -وهم يفعلون ذلك- عن واحدة من ثلاث: إمّا أنّ في قلوبهم مرضاً مستكناً، أو لأنهم ارتابوا في دينهم، أو لأنهم يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله في الحكم، وكل واحدة منهم كفر محض.
- 3- يقسمون للرّسول ﷺ بأيمانهم المغلظة لو أنّه أمرهم بالخروج للغزو لأطاعوه ولخرجوا معه، ولكنّها طاعة معروفة قد عرف كذبهم فيها وخذاعهم.

### النّصّ السابع:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(2)</sup>.

الظاهر أيضاً أن ليس للنّصّ مناسبة نزول.. وما ذكره الواحدي النيسابوري<sup>(3)</sup> من سبب

---

(1) راجع ذلك ص 90؛ وراجع: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (153/5).

(2) سورة الأحزاب، الآيات: 01-03.

(3) قال: (نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله بن أبيّ وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة ومنعة لمن عبدها وتدعك وربك، فشق على النبي ﷺ قولهم فقال عمر بن الخطاب ﷺ ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله عز وجل هذه الآية). أسباب النزول، للواحدي، (ص 201).

فإسناده ضعيف<sup>(1)</sup>، وذكر القرطبي رواية أخرى<sup>(2)</sup> قريبا منها لكنه صدّرها بصيغة التمريض فأعرضت عنها، وما أورده السيوطي<sup>(3)</sup> ذكره القرطبي بصيغة التمريض أيضا<sup>(4)</sup>، ولعلّ عدم ذكر الحافظ ابن كثير لأيّ سبب نزول لهذه الآيات مردّه إلى عدم وجود رواية صحيحة في هذا الباب يطمأنّ إليها، ولم يذكر الإمام الطبري سببا من الأسباب، ولأجل هذا جعلت النّصّ في هذا المطلب، وهو دعوة واضحة من الله تعالى إلى نبيه بأن لا يطيع أحدا من الكافرين والمنافقين.

### النّصّ الثامن:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ \* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿5﴾.

والنّصّ خرج مخرج العموم وليس فيه ممّا له علاقة بالموضوع سوى ما ورد من تصريح بلفظ المنافقين والمنافقات، والمعنى أن الله تعالى إنّما حمّل الإنسان الأمانة<sup>(6)</sup> ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات وليتوب على المؤمنين والمؤمنات الذين عملوا بطاعته.

(1) علق على ذلك الشيخ عرفات العثّا في ترجمته أحاديث الجامع لأحكام القرآن. انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (107/14)، هامش المحقق رقم (1).

(2) قال في الجامع، (108/14): (وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا على النبي ﷺ في المواعدة التي كانت بينه وبينهم، وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله ﷺ: ارفض ذكر آهتنا.. وذكر الخبر بمعنى ما تقدم، وأن الآية نزلت في نقض العهد ..).

(3) قال في لباب النقول، (ص222): (أخرج جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (108/14).

(5) سورة الأحزاب، الآيتان: 72-73.

(6) ذكر ابن العربي للأمانة أقوالا كثيرة لبأها في عشرة أقوال متقاربة ثم عددها وذكر أنّها ترجع إلى قسمين اثنين: أولهما التوحيد وثانيهما قسم العمل وهو في جميع أنواع الشريعة. انظر: أحكام القرآن، لابن العربي، (628/3).

## النص التاسع:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(1)</sup>.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قال: بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه، وليلقهم بوجه مكفهر.

وأخرج عن ابن عباس قال: جاهد الكفار بالسيف، وجاهد المنافقين باللسان. وأخرج عن الحسن البصري<sup>(2)</sup> وغيره قال: جهاد المنافقين بالحدود<sup>(3)</sup>، وذكر ابن العربي<sup>(4)</sup> أن هذا الرأي هو اختيار قتادة<sup>(5)</sup>، وأن القائلين به قالوا: وكان المنافقون أكثر من يصيب الحدود، وردّه بأنه دعوى لا برهان عليها، إذ أن أخبار المحدودين يشهد مساقها أنهم لم يكونوا منافقين.

(1) سورة التحريم، الآية: 09.

(2) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، مولى زيد بن ثابت، الإمام التابعي العالم الزاهد، كان ثقة إلا أنه يدلّس عن أبي هريرة وغيره، من آثاره تفسير القرآن، كتاب الإخلاص، رسالة في فضل مكة، توفي (سنة 110هـ). انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (178-156/7)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (183-153/2)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (73-69/2)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (162-161/1)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (472-456/5)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (251-246/2).

(3) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1405هـ-1985م، (ص143).

(4) ذكر هذه الأقوال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، الآية: 73 من سورة التوبة، وقال في آية التحريم -محل الشاهد-: قد تقدمت في سورة براءة. انظر: أحكام القرآن، لابن العربي، (544-543/2)، (302/4).

(5) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري الضريّر الأكمه، حدث عن عبد الله بن سرجس وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب ومعاذ وخلق آخرين، قال ابن سيرين: (قتادة أحفظ الناس)، وقيل للزهري: (أقتادة أعلم عندك أم مكحول؟ قال: بل قتادة، ما كان عند مكحول إلا شيء يسير). ومع حفظه وعلمه كان رأسا في العربية والفقه وأيام العرب والنسب، توفي بواسط في الطاعون (سنة 118هـ) وقيل (117هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (231-229/7)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (392-379/2)؛ طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي، حققه وقدم له: د. إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1401هـ-1981م، (ص89)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (86-85/4)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (99-90/6)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (93-92/1)؛ العبر، للذهبي، (81/1)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (486-482/6)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (154-153/1).

## التصّ العاشر:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ \* يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَمَعَكُمْ فَاَلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ \* يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ \* فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (1).

التصّ إخبار من الله تعالى عمّا يقع للمنافقين والمنافقات يوم القيامة، إذ سينادون المؤمنين يطلبون منهم أن ينتظروهم حتى يستضيئوا بنورهم فيجيئوهم أن يرجعوا من حيث أتيتم، ويضرب الله بين المؤمنين والمنافقين مجاز له باب باطنه الجنة وظاهره النار، ثم (ينادي المنافقون المؤمنين وقد صاروا في الجنة: ألم نكن معكم في الدنيا نصلّي ونصوم ونناكحكم ونوارثكم؟) (2) فيجيئهم المؤمنون: (بلى كنتم كذلك، ولكنكم نافقتم وانتظرتم بأهل الإيمان الدوائر وشككتم في توحيد الله وفي نبوة محمد ﷺ ﴿وَوَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ﴾) (3).

(1) سورة الحديد، الآيات: 12-15.

(2) مختصر تفسير الطبري، لعلي الصابوني ود. صالح أحمد رضا، (581/2).

(3) المصدر نفسه.

## الفصل الثاني: تحليل ظاهرة النفاق

وجعلت هذا الفصل مبحثين اثنين هما:

المبحث الأول: التحليل التاريخي لظاهرة النفاق

المبحث الثاني: التحليل النفسي لظاهرة النفاق



## تمهيد

لا يمكن أن نفهم ظاهرة النفاق فهما جيدا إلا إذا وضعناها في أطرها المناسبة، ووقفنا عليها في بيئتها الطبيعية التي أنشأتها، وتعاملنا معها بأبعادها الخفية التي تحيط بها.. ولعل من أهم تلك الأطر والأبعاد البعد التاريخي والبعد النفسي.

لقد عاش النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة من عمر الإسلام يدعو فيها الناس إلى الدين الجديد الذي أرسله به ربه، ولم يعرف المجتمع المكي طيلة هذه المرحلة كلها حالة واحدة من النفاق الذي عرفه العهد المدني لاحقا، بل كان خلافه: من الناس من كان يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمن.

وانتقل النبي ﷺ إلى المدينة وسيّد أهلها عبد الله بن أبيّ بن سلول العوفي لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين -حتى جاء الإسلام- غيره، وكان مقدمه ﷺ في مرحلة كان قومه ينظمون له فيها الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، وما عطلّ العملية إلا التّاج الذي لم يهيا بعد..

ومن هنا ظلّ ينظر للرسول ﷺ حينما انصرف قومه عن شخصه والتّفوا حول النبي ﷺ واشتغلوا عن قضيته بالإسلام أنّ رسول الله ﷺ قد استلبه ملكا كان قاب قوسين منه أو أدنى من ذلك، وتلك حقيقة باتت معلومة عند الأنصار قد فسروا بها سبيل النفاق التي سلكها عبد الله بن أبيّ، فقد وجدنا رجلا كأسيد بن حضير -من كبار صحابة الأنصار- يقول للنبي ﷺ بعد خمس -أو ست- سنوات من مقدمه ﷺ إلى المدينة وقد قال في حق النبيّ كلاما قبيحا، يقول له: ارفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنّه ليرى أنك قد استلبته ملكه..

وإذا صادفت هذه الحقيقة تكويننا نفسيا هو طبيعة ذاتية، أو حصيلة مؤثرات بيئية، أو موروثات أخلاقية تتّجه بالفرد إلى الضعف أو العجز عن اتخاذ موقف هو القناعة التي يعيشها صاحبها.. حينذاك ينشأ النفاق.. ينشأ بسيطا غير معقد دافعه المصلحة أو دفع أذى متوقع، ثم يصبح عند بعض الأفراد -ممن عنتهم دراستي هذه- نفاقا حقيقيا هو ما سأحاول الوقوف على حقائقه وخلفياته وأبعاده في هذا الفصل..

# المبحث الأول

## التحليل التاريخي لظاهرة النفاق

### المطلب الأول: النشأة الأولى لظاهرة النفاق

#### الفرع الأول: النفاق في المرحلة المكية من خلال السيرة

-أولاً: من حقائق المرحلة المكية: إن الذي يتتبع المرحلة المكية يقف على حقيقتين اثنتين: أولاهما: أنه لا يوجد على الإطلاق ذكر لظاهرة النفاق ولا حديث عن النفاق ولا المنافقين، وهو أمر يكاد يجمع عليه كل المؤرخين والمحللين والمحققين.

ثانيتها: أنه لم يوجد أحد من المهاجرين فيه نفاق أو مرض نفاق.

-ثانياً: أسباب خلو المرحلة المكية من مبررات النفاق: إن الذي يقف على واقع الإسلام في هذه المرحلة لا يجد كبير عناء لمعرفة الأسباب التي لم تسمح للنفاق بالبروز؛ فما كان من قريش:

- من اضطهاد جسدي كانت تسلطه على كل من صبأ عن دينه واتبع محمدًا ﷺ.

- و حرب نفسية شرسة كانت تشنها على الإسلام والمسلمين علنا من مركز القوة.

- ومقاطعة كانت تمارسها اجتماعيا واقتصاديا على الذين آمنوا.

كل ذلك كان كافيا لكي يكون الإيمان قاعدة صلبة لا تعرف النفاق ولا الشك.

ولم يكن موقف النبي ﷺ تجاه تلك الممارسات سوى أن يدعو أتباعه إلى التحلي بالصبر ويذكرهم بما لقيه المؤمنون من قبلهم عبر كامل مراحل التاريخ.. وأما مستقبل الإسلام فليس هناك سوى وعود<sup>(1)</sup> أطلقها رسول الإسلام ﷺ: «والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء<sup>(2)</sup> إلى حضرموت<sup>(3)</sup> لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه»<sup>(4)</sup>، وليس في الأفق ما يشير إلى

(1) تحليل ظاهري أطلقته فيما يبدو للناس، ونحن نؤمن أنه ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

(2) صنعاء: مدينة باليمن. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (3/426).

(3) حضرموت: بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم، ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر من اليمن. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (2/269-270).

(4) أخرجه البخاري [كتاب المناقب/باب علامات النبوة في الإسلام]، (ص654)، رقم3612.

وفي [كتاب مناقب الأنصار/باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة]، (ص694)، رقم3852.

وفي [كتاب الإكراه/باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر]، (ص1282)، رقم6943.

ذلك ولو من بعيد، فقد قال هذا الكلام لخبّاب<sup>(1)</sup> الذي جاء يستنصره على واقع قال فيه: «وقد لقينا من المشركين شدة»<sup>(2)</sup>.

إن هذه الظروف كلها صنعت من الإسلام في المرحلة المكية واقعا ليس فيه ما يفتن الناس ويغريهم على اعتناقه فليس ثمت إلا مشاق، وليس هناك من مصلحة أبدا لرجل يتظاهر بالإسلام والعنت يحاصر كل من أسلم، وليس لقريش حاجة في أن تصنع لها عيوننا يتظاهرون بالإسلام تدسهم بين صفوف المؤمنين تستطلع بهم أخبارهم أو تبث بهم الفتنة بينهم:

- فعدد المسلمين قليل.

- ولم يكن لهم بعد شوكة يخافها الناس.

- وأشخاصهم معروفة عند قريش واحدا واحدا.

- وتحركات الرسول ﷺ وأتباعه تتم في محيط ضيق محدود ولا تخرج عن نطاق بيّن معلوم.

وما الذي يلجئ قريشا إلى هذا الأسلوب وهذه المناورة وهي تحاصرهم علنا وتلاحقهم جهرة في كل لحظة وفي كل حين؟ بل وما الذي يجوجها إلى أن تسلك سبيل الفتنة المعنوية وهي تملك أن تفتنهم في أجسادهم؟

وأما المحجرة فقد كانت تعني ترك الأموال والأولاد والعشيرة والأرض والانتقال إلى موطن جديد ليس فيه شيء من ذلك، وإلى مصير مجهول لم تتحدد معالمه بعد، وإلى مستقبل غامض لا أحد يعلم عاقبته، فهي إذن مخاطرة لا يقدر عليها أصحاب الأطماع والمصالح<sup>(3)</sup>.

---

(1) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي يكنى أبا يحيى أو أبا عبد الله من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد الذين عذبهم المشركون للرجوع عن دينهم وكان صابرا إلى أن هاجر، شهد كل المشاهد، توفي بالكوفة وهو ابن ثلاث وستين سنة، روي له اثنان وثلاثون (32) حديثا.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/164-167)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/440-442)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (2/437-439)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (1/674-677)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/5-6)؛ الإصابة، لابن حجر، (2/28)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (2/548).

(2) أخرجه البخاري [كتاب المناقب/باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة]، (ص694)، رقم 3852.

(3) وأما ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه: «هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أمّ قيس وكان يسمّى مهاجر أمّ قيس» فليس فيه ما يعرّك ما قلته لأنّه حالة شاذة لم يرو لها في كتب الحديث أو السيرة مثيل، وليس بين أيدينا رواية واحدة تبيننا عن حال الرجل فإنّه لا يعرف كما صرّح بذلك ابن حجر. انظر: فتح الباري، لابن حجر، (1/17).

والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (9/103)، رقم 8540.

لأجل هذه الأسباب كلها لم تكن المرحلة المكية بيعة مهياًة لنمو النفاق في بعض أفرادها، ناهيك عن أن يصبح ظاهرة منتشرة في المجتمع كما وجدناها في المدينة.

قال ابن كثير: (وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية، لأن مكة لم يكن فيها

نفاق، بل كان خلافه: من الناس من كان يظهر الكفر مستكراً وهو في الباطن مؤمن)<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: حديث القرآن المكي عن النفاق

وأما إذا تتبعنا نصوص القرآن الكريم في المرحلة المكية فإننا نقف على الحقائق الآتية:

**-أولاً: لفظ النفاق في القرآن المكي:** ليس في القرآن المكي كله لفظ صريح للنفاق أو ما اشتق منه، إلا في سورة واحدة هي العنكبوت وقد اختلف فيها هل هي مكية أم مدنية، وقد أسلفت القول أن الراجح في الآيات الأوائل منها والتي ورد فيها لفظ "المنافقين" أنها مدنية.

**-ثانياً: لفظ "الذين في قلوبهم مرض":** لقد استعمل القرآن المكي هذا اللفظ في موضعين اثنين:

**الموضع الأول:** ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾<sup>(2)</sup> من سورة الحج، والراجح من الأقوال في السورة أن فيها المكي والمدني، وأن هذه الآية مكية على ما رجحه ابن القيم<sup>(3)</sup> في زاد المعاد<sup>(4)</sup>، وقد فسر معظم أهل التأويل المرض ههنا بأنه الشرك والكفر والنفاق، ولكن يبدو من تفسيرهم المرض بالنفاق أنه تفسير عام لا يمكن إسقاطه على الواقع الذي تنزلت فيه الآية<sup>(5)</sup>.

**الموضع الثاني:** ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾<sup>(6)</sup>، وقد أسلفت

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص90).

(2) سورة الحج، الآية: 53.

(3) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي الحنبلي الفقيه المفسر النحوي الأصولي الشهير بابن قيم الجوزية أحد الأعلام الكبار، لازم شيخه ابن تيمية وأخذ عنه وتفنن في كافة العلوم، ولد بدمشق سنة 691هـ، وبها توفي سنة (سنة 751هـ). له مؤلفات كثيرة منها: إعلام الموقعين، زاد المعاد وغيرهما.

انظر ترجمته في: شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (6/168)؛ معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (د.ت.ط)، (9/106-107)؛ أصول الفقه: تاريخه ورجاله، د. شعبان محمد إسماعيل، دار المريخ للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1981م، (ص340).

(4) انظر: زاد المعاد، لابن القيم الجوزي، (2/58).

(5) انظر: ص34-36.

(6) سورة المدثر، الآية: 31.

القول أن تفسير المرض ههنا بالنفاق كما جرى عليه معظم أهل التأويل لا يستقيم<sup>(1)</sup>.

**-ثالثاً: وقفة مع سورة الماعون:** وفي القرآن المكي سورة ظاهرها حديث عن المنافقين وبعض أوصافهم وهي سورة الماعون، ولكن العلماء مختلفون في تأويلها اختلافاً كبيراً، والقول بأنها تعني المنافقين -وهي سورة مكية على رأي أكثر العلماء- قول يحتاج إلى نظر<sup>(2)</sup>.

**-رابعاً: خلاصة واستنتاج:** وليس بعد هذا -في القرآن المكي كله- آيات تحدثت في مضمونها عن النفاق والمنافقين ولا كان من أسباب نزولها أحداث تعنيهم أو تشير إليهم.

هذا، وأشار في الأخير إلى أن من ضمن النصوص التي أثبتتها في الفصل الأول نصوصاً ثلاثة<sup>(3)</sup> كنت قد أشرت إلى أن الراجح من أقوال العلماء فيها أنها نزلت في أقوام بمكة أعلنوا إسلامهم فلما فتنهم قريش ارتدوا، أو أنهم كانوا على الارتياح فحبسهم ارتياحهم، أو أنهم كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام ولكنهم ظلوا يظهرون المشركين ويكثرون سوادهم<sup>(4)</sup>، فكيف يستقيم هذا مع ما قلته آنفاً؟ للإجابة عن هذا أقول:

1- إن هذه النصوص الثلاثة نصوص مدنية، ويعني هذا أن الظاهرة لم تكن موجودة قبل الهجرة، ولو كانت موجودة لعالجها القرآن المكي ولم نجد لذلك أثراً.

2- نشأت الظاهرة في بعض أفراد المجتمع المكي بعد هجرة النبي ﷺ، أو كانت الهجرة عامل إنشائها فيهم، فقد تأخر عن الهجرة أقوام لأسباب مختلفة، فلما حاولها بعضهم فتنهم قريش فلم يصبروا على الأذى فارتدوا ولكنهم بقوا يعلنون إسلامهم جرياً على ما كان معهوداً فيهم.

---

(1) انظر: ص 34-36.

(2) راجع هذا المعنى ص 36.

(3) هي: النص الأول من المطلب الأول، ص 40 (العنكبوت، الآيات: 10-11)، النص الثاني من المطلب الثاني، ص 48 (الأنفال، الآية: 49)، النص السادس من المطلب الثالث، ص 96 (النساء، الآيات: 88-91).

(4) انظر: ص 96 وما بعدها. والقول بأن بعض مسلمي مكة كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم قول ثابت في الصحيح، فعن ابن عباس «أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية». أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب: "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها"]، (ص 838)، رقم 4596.

وفي [كتاب الفتن/باب من كره أن يكثروا سواد الفتن والظلم]، (ص 1309)، رقم 7085.

3- إن نفاق هؤلاء كان عرضاً ولم نجده كنفاق عرب يثرب:

- لم ينم فيهم ولم يتشعب.

- سببه عدم تحمل العذاب.

- لم يظهر في أصحابه طعن في الإسلام.

- لم يكن ظاهرة لها رؤوس وأتباع كالذي وجدناه في المدينة.

4- إن نفاقهم كان بعد إيمان أرادوه لأنفسهم ولكنه لم يتمكن من قلوبهم، والقرآن يثبت هذه

الحقيقة في المنافقين عموماً: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾<sup>(1)</sup>، ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثالث: البوادر الأولى لبروز ظاهرة النفاق

- أولاً: محطات الحديث عن النفاق: إن الذي يتصفح كتب السير والمغازي يجد أن أول بروز

واضح المعالم لظاهرة النفاق كان في غزوة أحد التي كانت في شوال من السنة الثالثة من الهجرة.

وقد مرت قبل هذه الغزوة أحداث كبرى على رأسها غزوة بدر العظمى لكننا لم نجد -في تلك

الكتب- أي أثر للنفاق أو أي حديث عن المنافقين فيها، وقد كان في الغزوة حدثان بارزان كان

كل واحد منهما كفيلاً لأن يستفز خبايا المنافقين؛ أولهما: الاختلاف حول تقسيم الغنائم،

وثانيهما: الاختلاف حول الأسارى، وما كان المنافقون ليتخلفوا عن الخوض لو وجدوا، أو لو كان

النفاق قد تحكم فيهم، إلا أنه لا أثر لهم فيهما فيما وقفت عليه.

أما إذا تركنا كتب السيرة وتعاملنا مع القرآن الكريم فإننا نجده تحدث في هذه المرحلة عن

مخطئين اثنتين كان للمنافقين فيهما حضور:

أما المحطة الأولى: فلم يكن الحديث فيها عنهم صريحاً، بل وقد لا يعينهم على الإطلاق:

إنها حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، فقد كانت فرصة ليطلق الناس العنان

لألستهم يقولون في الإسلام وفي رسوله ﷺ ما شاءوا من طعن وغمز ولمز<sup>(3)</sup>.

إن الحادثة لم يصنعها المنافقون، ولئن خاضوا فيها فهم في ذلك كاليهود والمشركين ممن

خاضوا، إلا أن القول بخوضهم في الحادثة لا يعدو أن يكون رواية تفسيرية<sup>(4)</sup> للفظ "السفهاء"

(1) سورة المنافقون، الآية: 03.

(2) سورة التوبة، الآية: 74.

(3) انظر: ص 47.

(4) انظر: جامع البيان، للطبري، (2-1/2).

الوارد في قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾<sup>(1)</sup>، ولفظ "السفهاء"<sup>(2)</sup> لا يعني بالضرورة المنافقين، ولعن عناهم فإن كون حوضهم حدثا يكشف عن وجود تكتل أظهر أصحابه الإسلام واستبطنوا الكفر فذلك ما لا يتحملة النص من جهة، وما لم نجده في كتب السير من جهة أخرى.

وأما المحطة الثانية: فقد وجدنا الحديث عنهم فيها صريحا وكان ذلك قبل غزوة بدر، وقد تكلم عنها القرآن وهو يسرد أحداث الواقعة كاملة، وجاء من فصول هذا السرد: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾<sup>(3)</sup>، ولئن اختلف العلماء في الذين قالوا هذا الكلام: أهم منافقو مكة أم منافقو المدينة -تبعاً للروايات التي سبقت في الموضوع<sup>(4)</sup>- فلن يتصور أنهم يختلفون في أن الذي قال ذلك الكلام منافقون لتصريح القرآن به، فنحن إذن أمام حقيقة وجود منافقين قبل غزوة بدر..

**-ثانياً: بعض الحقائق عن النفاق في مراحل الأولى:** بتأمل مختلف الروايات الواردة وعرضها على الواقع التاريخي بعد ذلك تتضح لنا حقيقتان اثنتان:

**-الحقيقة الأولى:** أن الراجح من الروايات الواردة في الموضوع أن الآية نزلت في (قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا، ثم إن قريشا لما خرجوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قومنا، فإن كان محمد في كثرة خرجنا إليه..)<sup>(5)</sup> فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وارتياب وقالوا: ﴿غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾ وقد قتلوا يومئذ ببدر<sup>(6)</sup>.

**-الحقيقة الثانية:** أن هذا النص لم يؤرخ للنفاق ظاهرة انتشرت في الناس، ولئن صدق

(1) سورة البقرة، الآية: 142.

(2) السفه خفة في النفس لنقصان العقل في الأمور الدينية والدنيوية، ولا شك أن العادل عن الأمر الواضح في أمر دنياه يعد سفيهاً، ومن كان كذلك في أمر دينه كان أولى بهذا الاسم، ولهذا أمكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين. انظر: مختصر تفسير الخازن، (76/1)؛ الفائق في غريب الحديث، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414-1993م، (2/181-182).

(3) سورة الأنفال، الآية: 49.

(4) انظر: ص 48-49.

(5) مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1411هـ-1990م، (15/141).

(6) انظر: فتح الباري، لابن حجر، (8/263).

في أهل مكة فقد قتلوا، أو صح في أهل المدينة فإن قولهم هذا قول معزول -واقعيًا- عن حدث يكون الوعاء الذي يحويه، إذ لم نجد من علماء السير والمغازي من أرخ للنفاق والمنافقين قبل بدر، إلا ما كان حديثًا متقطعًا متناثرًا لمواقف عامة تنسب لأشخاص تذكر المصادر التي أثبتته<sup>(1)</sup> أنهم منافقون، وهو قول لا يعني سوى أن غزوة بدر كانت العامل الأساسي لنشأة النفاق، أو أن الذين كان في قلوبهم شك وكانوا يتربصون مستقبل الإسلام بانتهام ملامحه، فكان لا بد من اتخاذ الموقف المناسب، فكان النفاق منهم موقفًا يحفظون به مصالحهم.

**-ثالثًا: بدايات نشأة ظاهرة النفاق:** إن استعراضًا عامًا سريعًا لأحداث غزوة أحد لاحقًا يطلعنا أن عبد الله بن أبي بن سلول انخدل عن الرسول ﷺ بثلاث الجيش، وكان ذلك مقدرًا بثلاثمائة من شيعته، وهو رقم لا يستهان به ويحتاج منا إلى وقفة تأمل، إذ لم يكن بين بدر التي لم يكن للمنافقين فيها أثر وبين أحد التي انسحب فيها ثلث الجيش إلا سنة واحدة، وسواء قلنا عن هذا العدد إنه كان فيه مرضى القلوب أم المترددون أم الشاكون، فإننا لا نختلف في القول إن قوما عصوا نبي الله وخذلوه في قلب المحنة وأطاعوا عبد الله بن أبي بن سلول لا يمكن أن يكونوا إلا على شاكلته يأترون بأمره وينتهون بنهيه، وعدد مثل هذا في مثل تلك الظروف يكشف عن أن

---

(1) وجدت ذلك -فيما وقفت عليه من مصادر- عند الواقدي من المصادر المتقدمة، قال: (لما قدم الرسول ﷺ بالأسرى أذل له بذلك رقاب المشركين والمنافقين واليهود، ولم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضد عنقه لوقعة بدر). نقلا عن: دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة ودار الفرائس، الطبعة الخامسة: 1401هـ-1981م، (ص365-366).

ووجدته أيضا عند البلاذري، قال: (فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد، وكان رسول الله ﷺ خلفه مع عثمان بالمدينة على رقية: قتل صاحبكم ومن معه. وقال آخر منهم لأبي لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده، وقتل محمد... وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب). جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م، (1/352).

ونقل ذلك صاحب السيرة الحلبية قال عن وقعة بدر قبل أن يتسامع بها الناس: (وقال رجل من المنافقين لأبي لبابة ﷺ: قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا، قد قتل محمد وغالب أصحابه، وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب. قال أسامة: فحئت حتى خلوت بأبي لبابة وسألته عما أسره له الرجل فأخبرني بما أخبره به فقلت أحق ما تقول؟ قال إي والله حق ما أقول يا بني، فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله ﷺ لنقدمناك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم فيضرب عنقك. فقال إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه). إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (2/437).



النفاق أصبح فعلا ظاهرة في المجتمع، ولم يكن وضعية أفراد -قليلين أو كثيرين- ساقتهم ظروفهم الخاصة إلى التظاهر بالإسلام، وتكشف القدرة على تجميع هذا العدد في ظرف وجيز من الزمان عن أن هناك أحداثا ذات شأن عملت على:

-التعجيل بظهور النفاق في أفراد هيأتهم عوامل مشتركة لسلوك هذه السبيل.

-تكتل القوم واجتماعهم على عبد الله بن أبي بن سلول لمواجهة ما يرونه خطرا يهددهم،

ولجلب ما يحفظ لهم -في المقابل- سلامتهم ومصالحهم.

إن الحدث الذي فجر النفاق ظاهرة سرت في المجتمع المدني بهذه الصورة التي رأينا هو النصر الباهر الذي أحرزه المسلمون في غزوة بدر الكبرى، ولم يكن الانتصار انتصار إحدى الطائفتين -والنصر لا بد أن يكون لإحدهما- ولكنه انتصار ﴿فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتَّةً كَثِيرَةً﴾<sup>(1)</sup>.

وهو أمر أحدث مفاجأة كبيرة في الناس وقلب الموازين وبدل المفاهيم، فلقد (شده العرب قاطبة للنصر الحاسم الذي ناله المسلمون في بدر، بل إن أهل مكة استنكروا الخبر أول ما جاءهم وحسبوه هذيان مجنون.. فلما استبان صدقه صعق نفر منهم فهلك لتوه، وماج بعضهم في بعض من هول المصاب لا يدري ما يفعل. وكما استبعد أهل مكة الهزيمة على أنفسهم حتى جوبهوا بعارها، استبعد مشركو المدينة ويهودها ما قرع آذانهم من بشرىات الفوز، وذهب بعضهم إلى حد اتهام المسلمين بأن ما يذاع عن نصرهم محض اختلاق، وظلوا يكابرون حتى رأوا الأسرى مقرنين في الأصفاد فسقط في أيديهم)<sup>(2)</sup>.

ذكر ابن هشام<sup>(3)</sup> في سيرته أن معركة بدر لما انتهت وبانت نتائجها جعل أول من قدم مكة بمصاب قريش يقول قتل فلان وفلان وفلان، وراح يعدد أشرف قريش وكبار القوم فيها،

---

(1) سورة البقرة، الآية: 249.

(2) فقه السيرة، محمد الغزالي، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م، (ص237-238).

(3) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب السدوسي وقيل الحميري البصري نزيل مصر العلامة النحوي الأخباري، كان علامة مصر في العربية والشعر والمغازي، هذب السيرة النبوية وخفف من أشعارها. توفي (سنة 218هـ)، وهو الصحيح.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (3/177)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (9/144-145)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (2/573)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (5/302-303)؛ بغية الوعاة، للسيوطي، (2/115).

وكان عند الحجر صفوان بن أمية<sup>(1)</sup> - ولم يشهد بدرا- جالسا في الحجر، فقال صفوان وقد ظن بالرجل خبلا: سلوه عني، فقالوا وما فعل صفوان بن أمية؟ فقال: ها هو ذا جالس في الحجر، وقد رأيت والله أباه وأخاه حين قتلا<sup>(2)</sup>.

وقال بعضهم في المدينة حينما رأى أسامة بن زيد<sup>(3)</sup> قادما وقد ظن أنه جاء يجر أذيال خيبة الهزيمة: (قتل صاحبكم ومن معه. وقال آخر منهم لأبي لبابة<sup>(4)</sup>): قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده، وقتل محمد؛ وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب)<sup>(5)</sup>.

ولم يدم الأمر طويلا فإن (الحقيقة سرعان ما فرضت نفسها على الجميع، ووجد العرب

---

**(1)** هو أبو وهب وأبو أمية صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي المكي، سيد بني جمح ومن كبراء قريش وأحد أشرافها وأفصحها لسانا، وهو أحد العشرة الذين انتهى إليهم شرف الجاهلية ووصله لهم الإسلام. كان إليه أمر الأزمات في الجاهلية، هرب يوم الفتح فأقبل عمير بن وهب إلى رسول الله فسأله أمانا له فأعطاه إياه فحضر ثم خرج معه بعد ذلك فشهد معه حنينا والطائف كافرا. أعطاه رسول الله ﷺ من الغنائم بجنين فأكثر فقال أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي ثم أسلم وحسن إسلامه بعد ذلك. أقام بمكة إلى أن توفي بها (سنة 41هـ) أو (42هـ).

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، (449/5)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (718/2-722)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (420/2-422)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (165/4-168)؛ الإصابة، لابن حجر، (22/3-24)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (50/4).

**(2)** انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (225/2).

**(3)** هو أسامة بن زيد بن حارثة، كان الصحابة يسمونه حب رسول الله ﷺ، تربى في بيت النبوة، وكان ﷺ يجعله وسبطه الحسن في حجره ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»، ولأه النبي ﷺ جيشا عظيما فيه أبو بكر وعمر، فمات النبي قبل أن يتوجه فأنفذه أبو بكر، وكان أسامة ممن اعتزل الفتنة، توفي آخر أيام معاوية (سنة 60هـ).

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، (61/4-72)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (75/1-77)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (91/1-93)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (119/4-126)؛ الإصابة، لابن حجر، (52/1)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (226/1-227).

**(4)** هو أبو لبابة بشير وقيل رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري المدني، صحابي مشهور، أحد النقباء، عاش إلى خلافة علي، روى عن النبي وعمر ﷺ، وعنه سالم بن عبد الله، وعبد الله بن كعب بن مالك، وابنه عبد الرحمن، ونافع.

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، (457/3)؛ طبقات الرواة، لخليفة بن خياط، (ص84)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (1740/4-1742)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (270/1-271)؛ تهذيب الكمال، للمزي، (232/34-234)؛ الإصابة، لابن حجر، (229/6)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (240/10).

**(5)** أنساب الأشراف، للبلاذري، (352/1).

الوثنيون في المدينة أنفسهم في وضع حرج؛ فهم إما أن يبقوا على كفرهم فيعرضوا أنفسهم للعقاب وإما أن ينتموا للدين الجديد... وسرعان ما وجد زعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول -الذي كان قد رشح لتتويجه ملكا على عرب المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ وبدأ الصنّاع بنسج تاجه- أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هو أن يعلن هو وأتباعه إسلامهم ظاهرا<sup>(1)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير: (فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعلى الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأسا في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام ودخل معه طوائف ممن هم على طريقته ونخلته)<sup>(2)</sup>.

#### الفرع الرابع: حقائق واستنتاجات

ولئن قلت بأن النفاق كان موجودا قبل وقعة بدر لتصريح القرآن الكريم بمقولة المنافقين قبل الوقعة وهم يرون يومئذ قلة المسلمين أمام كثرة أعدائهم فقالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾<sup>(3)</sup> فساقوا أنفسهم إلى حتفهم وهم ينظرون.. لئن قلت هذا فإن أمامي جملة من النتائج أخلص إليها:

**1-** إن المقصود بالمنافقين ههنا من كان على الشك والارتياب من أهل مكة ممن خرجوا مع قريش كما تذكر كثير من الروايات، بل أصحابها.

**2-** إن هؤلاء قتل منهم في بدر من قتل، ومن بقي منهم لم يكن قط قاعدة لنفاق أهل المدينة ولا مصدرا له.

**3-** لئن كان النفاق في المدينة موجودا قبل وقعة بدر الكبرى كما تذكر بعض الروايات في شأن تحويل القبلة، فإما أنه كان ضعيفا أو أنه كان نفاق شك وارتياب وتريص من أمر جديد لم يعرف شأنه، فالموقف النهائي منه لم يحن بعد.

**4-** المعروف أن رأس المنافقين وقائدهم هو عبد الله بن أبي بن سلول، والمؤكد أنه قبل بدر لم يكن قد أعلن إسلامه بعد، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن

---

(1) دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل، (ص366).

(2) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص90).

(3) سورة الأنفال، الآية: 49.

رسول الله ﷺ أردفه وراءه «يعود سعد بن عبادة»<sup>(1)</sup> في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم... فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا فقتل الله به صنائيد كفار قريش قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبد الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا»<sup>(2)</sup>.

**5-** كانت غزوة بدر الكبرى -من غير خلاف- الحادثة التي فجرت النفاق وأذكت فيه جذوة الحقد، وأضرمت فيه نار الحسد فاشتعل في هشيم أصبحت معاملته واضحة بينة في مدة من الزمان لا تتجاوز سنة واحدة، فإذا هو في المجتمع المدني ظاهرة استقطبت عددا معتبرا منه.

### المطلب الثاني: الأسباب التاريخية لظهور النفاق

لا يكاد يخلو حادث من أحداث السيرة التي كان للمنافقين فيها حضور من الحديث عن عبد الله بن أبي بن سلول، وإن كتب السيرة تجمع على أنه رأس المنافقين وكبيرهم لا يختلف في ذلك اثنان. وإن إلقاء نظرة على الرجل حين قدوم النبي ﷺ المدينة تكشف لنا عن بعض الحقائق التي تعيننا في فهم الأسباب الحقيقية التي دفعت الرجل ومن معه إلى سلوك هذه السبيل.

في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة

---

**(1)** هو الصحابي الجليل سعد بن عبادة أبو ثابت الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني النقيب، كان سيدا في الأنصار مقدما وجيها. كان صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان مشهورا بالكرم، وله وأهله في الجود أشياء كثيرة مشهورة. لم يشهد بدرا لعذر أصابه ثم شهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. تخلف عن بيعة أبي بكر الصديق، وخرج من المدينة مهاجرا إلى الشام في أول خلافة عمر بن الخطاب ولم يعد إليها إلى أن مات بجوران من أرض الشام لستين ونصف مضتا من خلافة عمر وذلك (سنة 15هـ) وقيل (سنة 14هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/613-617)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (2/594-599)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (2/221-224)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (1/212-213)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/169-174)؛ الإصابة، لابن حجر، (2/319-320)؛ تهذيب التهذيب، (3/285-286).

**(2)** متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب "ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا"]، (ص830)، رقم4566.

وفي [كتاب الأدب/باب كنية المشرك]، (ص1156)، رقم6207.

وأخرجه مسلم [كتاب الجهاد والسير/باب في دعاء النبي ﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين]، (3/1422)، رقم1798.

فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة<sup>(1)</sup>، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغيروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاعشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ -يريد عبد الله بن أبي- قال: كذا وكذا. قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، لقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله عز وجل ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾<sup>(2)</sup> الآية، وقال الله ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّونَكُمْ مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا كَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(3)</sup> إلى آخر الآية. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ

**(1)** هو الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي البصري الشاعر أخو أبي الدرداء لأمه. كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام. شهد العقبة وهو أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرا والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعدها لأنه قتل يوم مؤتة. كان أحد شعراء الرسول الثلاثة الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله ﷺ والإسلام والمسلمين. كان أحد الأمراء بغزوة مؤتة بأرض الشام وفيها استشهد، وكانت في جمادى الأولى (سنة 8هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/525-529)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/164-167)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/898-901)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/129-133)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (1/265)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/145-151)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/195-197)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (4/296-297).

**(2)** سورة آل عمران، الآية: 186.

**(3)** سورة البقرة، الآية: 109.

بدرا فقتل الله به صنديد كفار قريش قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجّه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا»<sup>(1)</sup>.

روى ابن هشام عن ابن إسحاق قال: (وقدم رسول الله ﷺ المدينة... وسيد أهلها عبد الله بن أبي بن سلول العوفي ثم أحد بني الحبلى لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين - حتى جاء الإسلام - غيره، ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر... فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسول الله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكا، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن..)<sup>(2)</sup>.

انطلاقا من هذين النصين أستطيع أن أقول -استلهاما- لو أن النبي ﷺ قدم المدينة قبل تاريخ مقدمه إليها، أو قدم ولم يكن أهلها قد أجمعوا أمرهم بعد على أن يتوجوا ابن أبي ملكا عليهم ربما كان لابن أبي موقف من النبي ﷺ غير هذا الموقف العدائي الذي وقفه. وأحسب أن موقفه من الإسلام هذا الموقف إنما هو تبع لموقفه من صاحب هذا الدين الذي فرق الناس عنه وجمعهم إليه، واستلبه ملكا كان منه قاب قوسين أو أدنى من ذلك. بعد هذا أقول: إذا عرضنا هذا الأمر على موقع ابن أبي ومكانته، وعلى طبيعة المجتمع الذي بعث فيه النبي ﷺ، وطبيعة تكوين المجتمع المدني آنذاك نستطيع أن نخلص إلى تقرير جملة من النقاط كانت الأسباب التاريخية لظهور النفاق، هذه -فيما أحسب- أهمها:

---

(1) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب "ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا"]، (ص830)، رقم4566.

وفي [كتاب المرضى والطب/باب عيادة المريض راكبا وماشيا وردفا على الحمار]، (ص1072)، رقم5663.

وفي [كتاب الأدب/باب كنية المشرك]، (ص1156)، رقم6207.

وفي [كتاب الاستئذان/باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين]، (ص1165)، رقم6254.

وأخرجه مسلم [كتاب الجهاد والسير/باب في دعاء النبي ﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين]، (3/1422)، رقم1798.

(2) السيرة النبوية، لابن هشام، (2/175-176).

**-أولاً: مكانة ابن أبي في الأوس والخزرج:** وهما قبيلتان ظلتا متناحرتين لمدة من الزمان غير يسيرة، وأن يوجد رجل من إحدى القبيلتين يحظى بالقبول والمكانة فيهما معا -قبل مجيء الإسلام- فذلك ما لم يكن لرجل غير عبد الله بن أبي بن سلول، والحديث ههنا ليس حديثاً عن فرد وإنما هو حديث عن كبير له أتباع ومحبون يرون رأيه ويقطعون بأمره، فإذا رفض هو النزول عن كبريائه وعليائه ولم يشأ أن يضيع من المصالح ما يرجوه في الإسلام إذا ظهر وانتصر فسلك سبيل النفاق، كان لهم هم أيضاً هذا السلوك اقتداءً بالسيد المطاع، فكانت حينئذ ظاهرة النفاق.

إن هذا السلوك هو ذات السلوك الذي ظل القرآن يعبر عنه في مواقف الأمم السالفة، إنه سلوك "الملاء" فهم الذين يتصدرون، وهم الذين يقررون، وهم الذين يقولون نيابة عن العامة من الناس: ﴿قال الملاء﴾<sup>(1)</sup>، وهي عبارة ما أكثر تكرارها في القرآن الكريم عن الأمم السالفة، ومن رحمها خرجت عبارة منافقي يثرب: ﴿أُوْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّهْمَاءُ﴾<sup>(2)</sup>.

**-ثانياً: الانتقام من شخص النبي ﷺ:** فقد كان محمد بن عبد الله (ﷺ) السبب في تفرق قومه عنه بعد أن كادوا يتوجونه عليهم ملكاً مطاعاً يأمر وينهى، ولعله لم يكن يحمل للإسلام من الغل مثل الذي كان يحمله للرسول ﷺ، فقد قال له قبل أن يسلم كما مر معنا في الحديث الذي صدرت به هذا الكلام بعد أن دعاه ومن كان معه إلى الله، ثم «قرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً»<sup>(3)</sup> ولكن الموقف العدائي من صاحب الرسالة لا بد أن يتبعه في النهاية الموقف العدائي ذاته من الرسالة التي يحملها صاحبها، فما كانت محاسن مبدأ أبداً لتقوى على رد غل أو حسد توجهها لحامله.

إن هذا السلوك -أعني الموقف العدائي من شخص النبي ﷺ- قد ترجم عنه عبد الله بن أبي في كثير من مواقف النفاق التي أفصح عنها في المناسبات التي تحدثت عنها، وقد بلغت كما لها يوم قال في غزوة بني المصطلق ﴿لَسْ مَرَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾<sup>(4)</sup>.

فإذا رأى عبد الله بن أبي بعد ذلك أمر هذا النبي قد توجه وتعاظم، وخشي في المقابل أن

---

(1) سورة الأعراف، الآيات: 60، 66، 75، 88، 90، 109، 127؛ سورة هود، الآية: 27؛ سورة المؤمنون، الآيات: 24، 33؛ سورة ص، الآية: 06.

(2) سورة البقرة، الآية: 13.

(3) طرف من حديث سبق تخريجه ص 126.

(4) سورة المنافقون، الآية: 08.

يخسر جملة من المصالح إن هو استمر على عناده، أو حشي أن يلحقه بعض الأذى إن بقي بعيدا عن هذا الدين، فليكن النفاق المخرج الذي ينجيه، والحيلة التي يحفظ بها مقامه ولو بين قوم لا يزال فيهم مطاعا..

وإن نفخ هذا السلوك فيهم كفيل لأن يبعد عنه شبهة الشذوذ من جهة، ويحفظ له لذة الزعامة والكبرياء -التي كان يرجوها- من جهة أخرى، أو لا يزال يرجوها وهو في المراحل الأولى لدعوة الإسلام في المدينة، إذ المؤكد أنه كان (ينظر إلى محمد ﷺ وأصحابه على أنهم فئة طارئة جلبها صراع داخلي بين بيوتات قريش سوف ينتهي بانتصار محمد عليهم أو بانتصارهم عليه، أو بصورة أخرى من صور الحل الذي ينجم عنه انتهاء هذه القوة الطارئة وعودة المياه إلى مجاريها، وعودة ابن أبي إلى رئاسته ومكانته، وربما حصوله على التاج الذي شغل قومه عن إعداد أمر الإسلام والدعوة إليه..)<sup>(1)</sup>.

**-ثالثا: علاقات الولاء:** وهي علاقات كانت تربط عرب يثرب باليهود، وكان لعبد الله بن أبي له منهم مودة وولاء لم يستطع أن يخفيهما حتى بعد أن تظاهر بالإسلام، ولليهود مكر وخداع لا يختلف فيهما اثنان، ولا نشك أبدا أن لليهود ضلعا في نفخ هذا السلوك في عرب يثرب ممن ظل يتوجس الأمر في البداية وعلى رأس أولئك عبد الله بن أبي: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

قال كثير من المفسرين إن شياطينهم اليهود، والآية من أوائل سورة البقرة، ولا أبالغ إذا قلت (إن المنافقين لم يقووا ويثبتوا ولم يكن منهم ذلك الأذى الشديد والاستمرار في الكيد والدس إلا بسبب ما لقوه من اليهود من تعضيد وما انعقد بينهم من تضامن وتوافق، ولم يضعف شأنهم ويخف خطرهم إلا بعد أن مكّن الله للنبي من اليهود وأظهره عليهم وكفاه شرهم)<sup>(3)</sup>.

---

(1) ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية، د. عمرو خليفة النامي، الدار السلفية، الكويت (د.ت.ط)، (ص39).

(2) سورة البقرة، الآية: 14.

(3) تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، لمحمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا لبنان، الطبعة الأولى: 1381هـ-1962م، (6/144).



## المطلب الثالث: تحليل للتطور التاريخي لظاهرة النفاق

إن دراسة النصوص القرآنية التي تناولت ظاهرة النفاق بعد عرضها على الأسباب التي تنزلت لأجلها وربط ملابساتها بعضها ببعض ومعرفة أقوال أهل العلم بالتأويل فيها ودراسة الأحداث التاريخية للظاهرة - يتلو بعضها بعضا - من خلال ما تناولته مختلف كتب السير والمغازي.. إن هذه الدراسة أبانت لي أن ظاهرة النفاق - طيلة المدة التي ظل القرآن الكريم ينزل فيها في العهد المدني - مرت بمراحل خمسة أتناولها من خلال هذه الفروع:

### الفرع الأول: مرحلة التريص والتوجس

- أولا: بداية المرحلة ونهايتها: تبدأ هذه المرحلة بالهجرة وتنتهي بغزوة بدر الكبرى، ومدة هذه المرحلة ثمانية عشر شهرا، وجعلت غزوة بدر نهاية هذه المرحلة لأن الغزوة كانت محطة حاسمة في تاريخ النفاق، فقد أذنت له بمرحلة جديدة كما تبين ذلك كل الدلائل والأحداث.

- ثانيا: حقائق واستنتاجات: إن دراسة هذه المرحلة موصولة بالنصوص الواردة فيها تكشف لنا عن الحقائق الآتية:

**1- طبيعة المرحلة:** إن هذه المرحلة مرحلة تريص وتوجس.. فالدين دين جديد لا عهد للناس به من قبل، وقد آمن به من آمن وكفر به من كفر ممن كانت على قلوبهم غشاوة أو أبوا أن يستبدلوا به دين الآباء والأجداد، وكان في المدينة طائفة من الناس ظلت على وفائها لعبد الله بن أبي، وقد كانت -هي وأهل المدينة من الأوس والخزرج جميعا- قاب قوسين أو أدنى من تنويجه ملكا عليهم، فكان في انتقال الإسلام إليهم تعطيل زمني لهذه العملية، والإسلام لم تتضح معالمه بعد، فلا بد من معرفة موقف اليهود أولا، فهم أهل كتاب وأهل علم بأخبار السماء ولا تخفى عليهم أمور النبوات.. ولموقفهم دلالة لا يستهان بها، ولا بد ثانيا من أمور تضع الإسلام على محك التجربة العملية تترجم هذه الدعوة الجديدة، وقد خلت هذه المرحلة من تلك الأمور إلى أن كانت غزوة بدر التجربة الأولى فأذنت بذلك لمرحلة جديدة، فكان لا بد إذن من التريص، إذ العداوة الصريحة ليست في صالحهم، وإعلان الإسلام كالذين أعلنوه وألزموا أنفسهم بتبعاته لم يكن أوانه بعد، أو ربما كانت المبادرة إلى إعلان الإسلام مخاطرة تحتاج إلى تريص.

**2- لا تأريخ للظاهرة:** أحسب -فيما وقفت عليه- أن أحدا من أهل العلم بالسير لم يؤرخ

لظاهرة النفاق في هذه المرحلة من تاريخ الإسلام، بل ولم يشر أحد منهم إلى حدث من

الأحداث كان للمنافقين دور بارز فيها، اللهم إلا ما ورد حديثا عاما تفسيرا لبعض النصوص.

**3-وقفة عند حادثة تحويل القبلة:** من الأحداث التي تتصدر هذه المرحلة حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، وقد وجدنا من المفسرين<sup>(1)</sup> من قال إن المنافقين تكلموا في هذه الحادثة كما تكلم اليهود ومشركو العرب. فأما اليهود فإن الأمر لم يرقهم -وهو أمر طبيعي- لأن النبي تحول عن قبلتهم وكيف يفعل ذلك وهو يقول إنه على ملة إبراهيم عليه السلام، لذلك قالوا وهم يغمزون النبي ﷺ: (إن محمدا اشتاق إلى بلد أبيه ومولده)<sup>(2)</sup>، وأما المشركون فقالوا: (تحير على محمد دينه)<sup>(3)</sup>.. وتبقى كلمة المنافقين (ما بال محمد يحولنا مرة إلى ههنا ومرة إلى ههنا)<sup>(4)</sup> قولا تفسيريا يحتاج إلى وعاء تاريخي يحويه، والقول بـ (أن ناسا ممن أسلم رجعوا فقالوا مرة ههنا ومرة ههنا)<sup>(5)</sup> قول وجيه يسنده القرآن الكريم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾<sup>(6)</sup>.

ولعل هذا ما يفسر عدم ورود ذكر -فيما أحسب- للمنافقين في كتب السير والمغازي وهي تتناول الحادثة، ولم تعن من أمرها إلا بتاريخ وقوعها والمكان والصلاة التي كانت محله.

**4-تصريح سورة الأنفال بلفظ المنافقين:** تنزلت سورة الأنفال في أعقاب غزوة بدر، وكان من نصوصها قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾<sup>(7)</sup> وهو نص صريح لا يحتمل التأويل يثبت وجود المنافقين يوم كانت الواقعة وقالوا مقولتهم تلك، فهم منافقون لم تصنع نفاقهم حتما غزوة بدر، إنما كان النفاق فيهم موجودا قبلها، وسواء قلنا إنهم من أهل مكة -كما أسلفت القول<sup>(8)</sup> من قبل- أم قلنا إنهم من أهل المدينة ممن لم يتحدث عنهم أحد من

(1) انظر: ص47.

(2) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (12/2).

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه، (ص13).

(6) سورة البقرة، الآية: 143.

(7) سورة الأنفال، الآية: 49.

(8) انظر: ص48-49.

أهل المغازي والسير إلا قولاً تفسيرا فإن الذي يعيننا في هذا المقام؛ أعني تحليل التطور التاريخي للظاهرة أن الحديث عن النفاق في هذه المرحلة كان موجودا، لكن:

أ- كان مقولات أطلقها أصحابها في مواقف محددة.

ب- لم يكن النفاق ظاهرة وإنما كان يمثله أفراد لم تتضح معالمهم بعد، وليس بين أيدينا من نصوص القرآن أو نصوص أهل المغازي والسير ما يعيننا على دراستهم أو فهمهم في هذه المرحلة. وطبعي جدا في تلك المواقف أن تستفز الحديث فيمن لم يؤمن.. فالتحول عن القبلة أثناء الصلاة من وجهة إلى أخرى والناس حديثو عهد بالإسلام.. وثلاثمائة من الناس تجرؤ على قتال ما يقرب من ألف فيها الصناديد الكبار أمر لا تستطيع أن تحضمه نفوس مهزوزة، ولا يمكن أن تستسيغه نفوس مقاييسها مادية لصيقة بالتراب، على خلاف المنافقين الذين ظهروا فيما بعد فقد وجدناهم يتخذون من الموقف البسيط حدثا يصنعون منه قضية كبيرة، بل كان شأنهم عدم تفويت أية فرصة تلوح في المجتمع.

**5- لا مبرر للنفاق في هذه المرحلة:** ليس ثمت -طيلة المرحلة هذه- ما يدعو الناس إلى أن ينافقوا المسلمين فيتظاهروا لهم بالإسلام، فإن رجلا كعبد الله بن أبي الذي أصبح رأس المنافقين وكبيرهم فيما بعد ظل طيلة هذه المرحلة معلنا رفضه للإسلام، فقد قال للنبي ﷺ وذلك قبل بدر: «أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجلسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه»<sup>(1)</sup> ولعل ما فعله بعضهم من إعلان الإسلام في هذه المرحلة لا يعدو أن يكون مجاملة دافعها الضعف التكويني في الشخص، أو إسلاما خالطه الشك والارتياب داخل النفس رجحت أحداث -على رأسها غزوة بدر- كفتهما، لكن إعلان الإسلام سبق فلا بد من الاستمرار فيه ولو ظاهرا.

### الفرع الثاني: مرحلة النشأة الأولى

**-أولا: بداية المرحلة ونهايتها:** وتبدأ هذه المرحلة بغزوة بدر التي كانت في رمضان من السنة الثانية للهجرة وتنتهي بغزوة أحد.. فأما تحديد بدايتها بغزوة بدر فلأن الدلائل كلها تشير إلى ذلك، فقد ثبت في حديث أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ لما غزا بدرا: «فقتل الله به صناديد كفار قريش قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبد الأوثان: هذا أمر قد توجه،

---

(1) طرف من حديث سبق تخرجه ص 126.

فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا»<sup>(1)</sup>، وأما تحديد نهايتها بغزوة أحد فلأن الغزوة كشفت بأن عبد الله بن أبي ومن معه صف غير صف المسلمين، ولأن تعامل المسلمين معه بعد غزوة أحد لم يكن هو ذات التعامل الذي كان يحظى به من قبل وسأشير إلى هذا في موضعه خلال هذا التحليل.

إن مدة هذه المرحلة سنة واحدة (أو ثلاثة عشر شهرا تحديدا) ولكنها كانت مدة كافية ليأخذ النفاق فيها أبعاده كاملة، فقد أعلن عبد الله بن أبي ومن معه إسلامهم ظاهرا واستبطنوا الكفر بعد أن تبخر حلم التتويج وكانت بدر قبل ذلك معقد الأمل، فالدلائل كلها كانت تشير إلى أن الغرور قد بلغ ذروته في أصحاب محمد ﷺ، وأن قريشا ستحصدهم حصدا ولا تبقي منهم أحدا وإن هي إلا أيام معدودات وإن غداً لناظره قريب.. ولكن حدث ما أبهر العقول وأسقط القلوب وأخرس الألسن، وما حدث لم يكن انتصار إحدى الفئتين -والنصر لا بد أن يكون لإحدهما- لكنه انتصار حطم الموازين وقلب المفاهيم رأسا على عقب، فلم يجد عبد الله بن أبي ما يفعله سوى أن قال ومن معه ممن كان على شاكلته: «هذا أمر قد توجه»<sup>(2)</sup>، ولم تأت غزوة أحد حتى كانوا ثلث الجيش الذي خرج إلى الغزوة، وهو ينبئ عن تسارع عجيب.

**-ثانيا: أحداث هذه المرحلة:** أما الأحداث التي وقعت في هذه المرحلة وكان للمنافقين فيها حضور فتتمثل في أحداث أربعة:

**1- غزوة بني قينقاع:** كان بنو قينقاع أول يهود ينقضون العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ولم يتعضوا بما حدث في بدر، فقد قالوا للنبي ﷺ في كامل التبجح: لا يغرنك ما لقيت من قومك فإنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، ولكنك لو قاتلتنا لعلمت أننا نحن الناس، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي وقال: يا محمد أحسن في موالي، ورسول الله ﷺ لا يجيبه فما زال يكررها عليه، ثم أدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ورسول الله يقول له أرسلني وهو يقول: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدتهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى

---

(1) أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب "ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا"]، (ص830)، رقم4566.

وفي [كتاب الأدب/باب كنية المشرك]، (ص1156)، رقم6207.

(2) طرف من الحديث نفسه.

الدوائر، فقال له رسول الله ﷺ وقد غضب غضبا شديدا رئي ملامح ذلك في وجهه: هم لك، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾<sup>(1)</sup> الآيات من سورة المائدة وهو أول حدث من أحداث السيرة على ما يبدو يتدخل فيه عبد الله بن أبي ويكشف فيه عن بعض سريرته التي أخفاها وهو يدافع عن قوم نقضوا عهدهم الذي عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ولكن الآيات تنزل خطابا عاما للمؤمنين جميعا لأن عبد الله بن أبي واحد منهم في الظاهر، ولم تسمه بالنفاق وإنما وسمته بالذي "في قلبه مرض" لأن الأمر لا يعدو أن يكون في بداياته الأولى، ولعله -في ظاهر ما يراه الناس- فلتة من الفلتات، أو لعله شك وارتياب ستزيلهما الأحداث مع الزمن وسيصقل الإيمان غبشهما، أو يكون له من العذر ما يشفع له في صنيعه هذا، ولو قفزنا الأحداث ورأينا وصف القرآن لما فعله ابن أبي في غزوة أحد لرأينا الفرق شاسعا في الدلالات ولأدركنا الحكمة البالغة في تعامل القرآن مع الحدث، فشتان ما بين مرض ليس له إلا إرهاصات أولى وبين مرض استحكم واستفحل.

**2-مجلس الشورى:** وكان ذلك في استشارة النبي ﷺ أصحابه في شأن الخروج إلى أحد لقتال مشركي قريش، وكان حضور عبد الله بن أبي في هذه المشورة بارزا وظهر فيها بمظهر الحكيم المجرب ومظهر الحريص على موافقة أمر النبي ﷺ الذي كان يرى أن يتحصن بالمدينة، فقام رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ وقالوا: (يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا! فقال عبد الله بن أبي بن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فو الله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا)<sup>(2)</sup>.

**3-الانسحاب من الجيش:** وكان ذلك قبيل وقعة أحد، إذ لم يزل الناس بالنبي ﷺ حتى غلبوه الرأي فلبس لأمته وخرج في ألف من أصحابه، حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد على مقربة جدا من العدو انسحب عبد الله بن أبي بثلاث الجيش، ولم يكن انسحابه بعد تفكير أو تقدير للعواقب، ولم يكن (هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ رأيه، وإلا لم يكن

(1) سورة المائدة، الآية: 51.

(2) السيرة النبوية، لابن هشام، (19/3).

لسيره مع الجيش النبوي إلى هذا المكان معنى، بل لو كان هذا هو السبب لانعزل عن الجيش منذ بداية سيره، بل كان هدفه الرئيسي من هذا التمرد - في ذلك الظرف الدقيق - أن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ وتنهار معنويات من يبقى معه، بينما يتشجع العدو وتعلو همته لرؤية هذا المنظر<sup>(1)</sup>، فلقد كان ابن أبي يتصور أن تخليه عن المسلمين سيهز من موقفهم وسيقت في عضدهم<sup>(2)</sup>.

ولما انتهت المعركة وكان من أمرها ما كان أنزل الله الآيات من سورة آل عمران وكان من فصولها النصوص الأربعة التي أثبتتها في الفصل الأول<sup>(3)</sup> وكانت صريحة في الحديث عن المنافقين نقلت أقوالهم وحججهم الواهية، وجابتهم بحقيقة أنفسهم التي يعلمها الله عنهم ويريد - عن طريق تهيئة الأحداث التمحيصية - أن تعلمها الفئة المؤمنة ليميز الخبيث من الطيب، ويعلم الناس الذين آمنوا ويعلموا الذين نافقوا.

**4- محاولة خبيثة لتدارك الموقف:** وأراد عبد الله بن أبي أن يستدرك الموقف ويلطف بعض ما فعله يوم أحد حينما وافته الفرصة في اليوم الموالي حينما نادى النبي ﷺ في الناس ليخرجوا إلى المشركين وقد خشي أن يفكروا في مدهامة المدينة، (قال أهل المغازي ما حاصله: إن النبي ﷺ نادى في الناس وندبهم إلى المسير إلى لقاء العدو - وذلك صباح الغد من معركة أحد، أي يوم الأحد الثامن من شهر شوال سنة 3هـ - وقال: لا يخرج معنا إلا من شهد القتال، فقال له عبد الله بن أبي: أركب معك؟ قال: لا)<sup>(4)</sup>، ونحن نعلم يقينا أن الذي تخلف عنه أمس يوم جد الجد خذلانا وتخاذلا ما كان لينشط في الخروج معه اليوم وهو يرى أن قريشا نالت من النبي ﷺ

---

(1) الرحيق المختوم؛ بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لصفى الرحمن المباركفوري، المكتبة الثقافية، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (ص297).

(2) انظر: ظاهرة النفاق، لخليفة النامي، (ص49).

(3) أ- النص الرابع من المطلب الثاني، ص51-52 (سورة آل عمران، الآيات: 154-158).

ب- النص الخامس من المطلب الثاني، ص53-54 (سورة آل عمران، الآيات: 166-168).

ج- النص السادس من المطلب الثاني، ص54 (سورة آل عمران، الآيات: 176-179).

د- النص السابع من المطلب الثاني، ص55 (سورة آل عمران، الآية: 188).

(4) الرحيق المختوم، لصفى الرحمن المباركفوري، (ص334).

ما نالت وثأرت لمصاحبها وقفلت إلى مكة مزهوة بنشوة النصر، وإنما هي محاولة تدارك خبيثة، ولكن النبي ﷺ فوتها عليه وقد قبل بعض من تخلفوا عن الغزوة ممن كانت لهم أعذار معلومة.

**-ثالثا: مبررات نهاية المرحلة بأحد:** وقد جعلت نهاية هذه المرحلة غزوة أحد لسببين اثنين:

**-السبب الأول:** أن موقف عبد الله بن أبي يوم أحد أبان عن أن النفاق أصبح ظاهرة في عدد من المجتمع لا يستهان به، وأنه أصبح تكتلا له قائد يأتمر بأمره، وأن هذا أمر لم يظهر قبل أحد. **السبب الثاني:** أن غزوة أحد أذنت لتعامل جديد من المسلمين تجاه عبد الله بن أبي رأس المنافقين وقد افتضح أمره وانكشف سره.

روى ابن هشام عن ابن إسحاق قال: (فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبي بن سلول - كما حدثني ابن شهاب الزهري<sup>(1)</sup> - له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له في نفسه وفي قومه وكان فيهم شريفا، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنا قلت بجرا<sup>(2)</sup> أن قمت أشدد أمره<sup>(3)</sup>.)  
أما قبل غزوة أحد فما كان الأمر ليصل بهم إلى هذا الحد من التعنيف، وإن حدثين

---

(1) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، قال حفص بن ربيعة لعراك: (من أعلم من رأيت؟ قال أعلمهم بالحلال والحرام ابن المسيب، وأغزهم حديثا عروة، ولا تشاء أن تقع من عبيد الله بن عتبة على علم لا تسمعه إلا منه إلا وقعت، وأعلم هؤلاء كلهم عندي ابن شهاب لأنه جمع علمهم إلى علمه). وسئل ابن عيينة: أيهما أعلم: إبراهيم النخعي أو الزهري؟ قال: (لا أبا لك، الزهري). توفي (سنة 124هـ) وهو ابن اثنين وسبعين سنة.  
انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (2/388-389)؛ طبقات الفقهاء، للشيرازي، (ص63-64)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (4/177-179)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (6/133-152)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (1/83-85)؛ العبر، للذهبي، (1/121)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (7/420-424).

(2) بجرا: أمرا عظيما، ويروى "هجرا"، والهجر الكلام القبيح. انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (3/54)، هامش المحقق، رقم (2).

(3) المصدر نفسه.

صاحباً انسحابه من الجيش يوحيان -ولو ضمناً- إلى هذه الدلالة التي أتحدّث عنها:

-أولهما ما كان من عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه إذ تبع عبد الله بن أبيّ بعد انسحابه ومن معه يقول (يا قوم أذكركم الله أن لا تحذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم، قالوا: لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكننا لا نرى أن يكون قتال) <sup>(1)</sup>.

-وثانيهما ما كان من بني سلمة من الخزرج وبني حارثة من الأوس، فقد كادت تفشلان (لما رجع عبد الله بن أبيّ بمن معه من المنافقين فحفظ الله قلوبهم فلم يرجعوا) <sup>(2)</sup>.

وفي الحديثين دلالة ضمنيّة على أنّ الصحابة كانوا يعاملون عبد الله بن أبيّ ومن معه من المنافقين -مع ما كان يبدر منهم- على أنّهم جزء منهم: يناشدهم عبد الله بن حرام ألاّ يخذلوا نبيهم وقومهم، وتتأثّر الطائفتان لانسحابهم وكادت تفشلان لولا أن تولاهما الله بالثبوت.. فشتان بين ما كان عليه قبل أحد وبين ما أصبح عليه بعدها، وجعلت هذا التعامل الحدّ الفاصل بين مرحلتين.

### الفرع الثالث: مرحلة النضج والاكتمال

-أولاً: بداية المرحلة ونهايتها: وتبدأ هذه المرحلة بغزوة أحد وتنتهي بغزوة بني المصطلق.. فأما سبب جعل غزوة أحد بداية هذه المرحلة فقد أمنت في الفرع السابق بما فيه الكفاية، وأما تحديد نهايتها بغزوة بني المصطلق فلأنّ عبد الله بن أبيّ -على الرّغم ممّا فعله في غزوة أحد- بقي يحتفظ في قومه بمقام وشرف، وكانوا يغفرون له في كل مرة زلاته وسقطاته ويعذرّونه فيما يأتي من وقاحة لأنّ شرفه ومقامه كانا -من جهة- أكبر من تلك الزّلات، ولأنه كان -من جهة ثانية- يحسن التّلون والتّنصّل والتّفلّت ممّا قد يقع فيه أو يجابه به، وقد يكون ذلك عذراً لا يملك قومه إذ ذاك إلا أن يتجاوزوا عنه ويصفحوا، وهو ما وجدناه حقيقة يوم قال في بني المصطلق ما قال <sup>(3)</sup> قبل أن ينزل الله في شأنه قرآناً يفضحه بالكذب ويقرّ فيه ما نقل عنه.

قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: «لما قال عبد الله بن أبيّ رضي الله عنه ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ <sup>(4)</sup> وقال

(1) تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، (60/2).

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (176/4).

(3) انظر: ص 62 وما بعدها.

(4) سورة المنافقون، الآية: 07.



أيضا: ﴿لَنْ مَرْجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾<sup>(1)</sup> أخبرت به النبي ﷺ فلامني الأنصار وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك»<sup>(2)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير: (وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، وكان في قومه شريفا عظيما، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل، حدبا على ابن أبي ودفعنا عنه)<sup>(3)</sup> فقد وجد له من الأنصار من يدافع عنه ويحذب عليه ويتهم زيد بن أرقم وكان إذ ذاك غلاما حدثا، وكأنهم قالوا: يا رسول الله أتصدّق غلاما وتكذب رجلا شريفا في قومه وهو يحلف بالله ما قال الذي نقله عنه؟ بل وجدنا رجلا كأسيد بن حضير يقول للنبي ﷺ: (يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا)<sup>(4)</sup>.

ولكن حينما تنزل القرآن يصدق زيد بن أرقم ويكذب ابن أبي فيما حلف عليه من كذب سقطت عنه الورقة الأخيرة التي كانت تغطي سوءته، وتكسرت عصى الشرف التي كان يتكئ عليها.

قال ابن جرير الطبري: (وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ويتوعّدونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته)<sup>(5)</sup>.

ولأجل هذه الأسباب جعلت ما بين أحد وبني المصطلق مرحلة من مراحل النفاق.

(1) سورة المنافقون، الآية: 08.

(2) أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب "ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون"]، (ص927)، رقم4902.

(3) البداية والنهاية، لابن كثير، (3/321).

(4) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (28/116).

(5) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (ص116-117).

-ثانياً: أحداث هذه المرحلة: وأما ما كان فيها من أحداث تتصل بموضوع النفاق ونشاط المنافقين فقد وجدت منها أحداثاً ستة:

**1- غمز شهداء غزوة الرجيع:** كانت هذه الغزوة في شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة، وقد غدر حيي من هذيل بنفر من أصحاب النبي ﷺ بعثهم عينا له، فقال ناس من المنافقين: (يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾<sup>(1)</sup> (2).

**2- تمنية يهود بني النضير بالوعود الكاذبة:** وكان ذلك في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة حينما نقض يهود بني النضير عهدهم الذي كان لهم مع النبي ﷺ، فأرسل إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره، فأرسل إليهم ابن أبي يجرئهم على رسول الله ﷺ يعدهم ويمتئهم أن أقيموا في حصونكم واثبتوا فإننا نقاتل معكم وننصركم، وما ذاك إلا ليثبتوا في وجه الرسول ﷺ، فطمع اليهود فيما يقول ابن أبي وأرسلوا إلى النبي ﷺ يقولون له: (إننا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك)<sup>(3)</sup> فأنزل الله سورة الحشر، وفيها ما كان من موقف ابن أبي بن سلول<sup>(4)</sup>.

**3- مواقف خذلان وتخذيل في غزوة الأحزاب:** وكانت غزوة الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة على ما أثبتته في موضعه<sup>(5)</sup>، وكان للمنافقين فيها مواقف مفضوحة كشفت عنها الآيات التي تنزلت في سورة الأحزاب<sup>(6)</sup>، ونزل جزء آخر فيها في سورة النور<sup>(7)</sup>، وكان من تلك المواقف أن:

- كان بعضهم يختلق المعاذير لينسحب من العمل.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 204.

(2) البداية والنهاية لابن كثير، (208/3).

(3) انظر: ص 61.

(4) انظر: النص التاسع من المطلب الثاني، ص 58 (سورة الحشر، الآيات: 11-17).

(5) انظر: ص 68.

(6) انظر: النص الثاني عشر من المطلب الثاني، ص 67-68 (سورة الأحزاب، الآيات: 9-24).

(7) انظر: النص الثالث عشر من المطلب الثاني، ص 70 (سورة النور، الآيات: 62-64).

- كانوا يشبطون غيرهم ويخذلونهم.

- وكان بعضهم الآخر يتسلل خفية وينسحب من حفر الخندق.

- يظهر جنبهم الشديد في ساعات الخوف، وتنطلق ألسنتهم بالسوء في الأمن والرخاء.

#### 4- الطعن في شخص النبي ﷺ بزواجه من زينب: فقد كان امتحانا عسيرا للنبي ﷺ أن يتزوج

- بأمر الله قدرا مقدورا- مطلقة مولاه زيد بن حارثة الذي كان في عرف الناس ابنه ليبطل الله بذلك -عمليا- عرفا من أعراف الجاهلية الفاسدة فيحقق الحق ويبطل الباطل، وطلق زيد زوجته بعد أن ساءت عشرته معها، وحين تزوجها النبي ﷺ انطلقت ألسنة المنافقين والمشركين: إن محمدا يتزوج حليلة ابنه؟! (1).

وجدوها فرصة سانحة وتلك وظيفتهم: تربيص وتصيّد وتحين، فأنزل الله آيات سورة الأحزاب (2) يقطع بها ألسنة المتطاولين ويخرسها.

#### 5- المنافقون يتنفسون في غزوة بني المصطلق: فقد كادت تخنق ضغائن النفاق عبد الله بن

أبيّ ومن معه من أصحابه، ووجدوا في غزوة بني المصطلق يوم أن تشاجر مهاجريّ وأنصاريّ - كما تشاجر العامة من الناس - متنفسا، فتنفس عبد الله بن أبيّ الصعداء، ولكنه أطلق زفيرا سمعه الذين من حوله؛ سمعه الغلام النجيب زيد بن أرقم ووعيه وعيا كاملا ثم نقله إلى النبي ﷺ (3) نقلا أمينا لم يزد فيه ولم ينقص، ولم تكن تلك وشاية يترتب عليها الغلمان، ولكنها منطق التربية الإيمانية تفرض نفسها في الكبار والصغار لتحفظ الصّف المسلم من الدّخلاء والمتسلّلين، بعد أن تكشفهم وتفضحهم:

﴿لَنْ مَرَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيْخُرِجَنَّ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (4)، ﴿لَا تُتَفَقَّؤْا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ (5)

كانت هذه الكلمات التي انطلقت من فم عبد الله بن أبيّ في لحظة من لحظات انسجام الظاهر مع الباطن، وقد أمن -أو ظن أنه في مأمن- من أن يشيها عنه أحد ممن كانوا معه، أقول: كانت هذه الكلمات السيف الذي قطع به ظهره مع قومه، فقد حلف للنبي ﷺ وحلف من معه

(1) انظر: ص 71 وما بعدها.

(2) انظر: النص الرابع عشر، ص 71 (سورة الأحزاب، الآيات: 37-40).

(3) انظر: ص 62 وما بعدها.

(4) سورة المنافقون، الآية: 08.

(5) سورة المنافقون، الآية: 07.

من قومه بالأيمان المغلظة أنه لم يقل شيئاً مما قاله زيد بن أرقم، وصدّقه الأنصار لمقامه الذي لا يزالون يحفظونه له، وكذبوا الغلام ولا موه لعله أن يكون قد أوهم أو اختلط.

ومهما يكن من أمر -صدق أو وهم- فإنّ الخبر ذاع وارتجّ له العسكر، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أمر بالرحيل في ساعة لم يكن يرتحل فيها وظلّ يسير بالقوم يومهم ذاك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذاك حتى آذتهم الشمس، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث والخوض فيما سمعوا.. ولم يتأجل خبر السماء، وأنزل الله سورة "المنافقون"<sup>(1)</sup> فيها هذا الخبر، فبانَت الحقيقة ساطعة وانكشفت حقا سريرة عبد الله بن أبي.

**6- طعن النبي ﷺ في شرفه:** لئن عجز المنافقون عن الطعن في شخص النبي ﷺ -وقد عدموا أسبابه- فإن فرصة كالتى واتتهم وهم آثبون من غزوة بني المصطلق كفيلا لأن تكون المنفذ إلى صلب شخصه، فالطعن في شرفه طعن فيه، وتحطيم شرف صاحب الرسالة إنما هو تحطيم للرسالة ذاتها، إذ لا يمكن لرسالة -مهما كانت عظمتها- أن تبقى قائمة بمعزل عن صاحبها لا تتأثر بما أصابه.

لنتصور هذا المشهد مقتطفا من الحديث الطويل الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تحكي محتتها في قصة الإفك، تقول: «حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل»<sup>(2)</sup> وهذا يعني أن النبي ﷺ ارتحل بالناس ليلا بعد أن بات بعضه كما صرحت بذلك روايات كثيرة<sup>(3)</sup>، أما عائشة رضي الله عنها فقد تخلفت لحاجتها، وجاءها صفوان بن المعطل رضي الله عنه فأركبها راحلته، تقول: «فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة»<sup>(4)</sup>، فالغياب عن الجيش استغرق جزءا من الليل إلى ظهيرة اليوم

(1) انظر: النص العاشر من المطلب الثاني، ص 61 (سورة المنافقون، الآيات: 01-08).

(2) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الشهادات/باب تعديل النساء بعضهن بعضا]، (ص 469)، رقم 2661.

وفي [كتاب المغازي/باب حديث الإفك]، (ص 751)، رقم 4141.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله "لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا"]، (ص 883)، رقم 4750.

وأخرجه مسلم [كتاب التوبة/باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف]، (4/2129)، رقم 2770.

(3) انظر: الحديث نفسه.

(4) الحديث نفسه.

الموالي.. وماذا عسى المنافقون أن يقولوا أمام مشهد قد أسال لعاب نفاقهم؟ إنها فرصة ثمينة ساقها القدر إليهم فلم يترددوا أن قالوا: إن حليمة نبيكم باتت مع رجل! وتلقف الخبر من تلقفه من الصحابة وخاضوا في إفكهم وارتحت المدينة من وقع الصدمة، ولا ينزل شيء من الوحي في ذلك إلا بعد أن ينقضي شهر كامل، فتنزل الآيات من سورة النور تبرئ السيدة عائشة وتكذب أهل الإفك وتتوعد الذي تولى كبره -عبد الله بن أبي- وقد سلّ نفسه من القضية كما تسلّ الشعرة من العجين، وحدّ ثلاثة من الصحابة ولم يحدّ هو مع أنه كان رأس أهل الإفك، فقيل في ذلك إنه (كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه، وقيل: الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو بيينة وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد، فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين..)<sup>(1)</sup> وقيل غير ذلك.

وبهذا الخبر تنتهي أحداث المرحلة الثالثة من مراحل النفاق.

#### الفرع الرابع: مرحلة الافتضاح والتواري

-أولاً: بداية المرحلة ونهايتها: وتبدأ هذه المرحلة بغزوة بني المصطلق وتنتهي بالفترة التي سبقت غزوة تبوك التي كانت في السنة التاسعة من الهجرة.. فأما ابتداءها بغزوة بني المصطلق فقد أمنت عنه في الفرع السابق بما يغني عن إعادته ههنا، وأما إنهاؤها بالمرحلة التي سبقت غزوة تبوك فلأن الغزوة أذنت لبعث جديد لظاهرة النفاق بعد أن كادت تتلاشى، وبما أسوقه من الدراسة والتحليل فيما يلي أستدل لما أقول..

-ثانياً: حقائق تتجلى في هذه المرحلة: إن الذي يتأمل هذه المرحلة -التي دامت ثلاث سنوات- يتتبع فيها ظاهرة النفاق يرصد أحداثها ويحلل مواقفها يقف على الحقائق الآتية:

**1- افتضاح عبد الله بن أبي**: لقد حلف عبد الله بن أبي بن سلول للنبي ﷺ في غزوة بني المصطلق بما استطاع أن يحلف من الأيمان المغلظة يريد أن ينفي بقوة ما قاله خفية، لعلمه أن لكلامه ذاك -لو ثبت في حقه- عاقبة وخيمة ومنقلبا يتردى فيه شرفه ومقامه، حتى إذا صدّقه الناس وكذبوا الغلام الذي كان شؤماً عليه تنزل الوحي يفضح الأيمان الكاذبة، ويجعل ممّا توهمه الناس على الغلام خبر صدق ويقين، ويجعل من الإشاعة التي راجت حقيقة لا يملك أحد أن يشك فيها أو يشكك، وكان هذا الحدث صفة قوية أحنسته وأحنست من معه وأهوته من مقام

(1) زاد المعاد، لابن القيم الجوزي، (115/2).

ظل يحفظه له - إلى ذلك اليوم - كثير من الأنصار<sup>(1)</sup>، وأدرك ذلك جلياً حينما وقف له ابنه عبد الله عند مدخل المدينة ومنعه من الدخول حتى يأذن له رسول الله ﷺ، فإذا فعل ذلك معه ابنه البار فقد علم أن قومه لن يغفروا له بعد اليوم زلة ولن يفوتوا له خطأ، لأجل ذلك وجدناه طيلة هذه المرحلة إلى غاية غزوة تبوك قد ألزم نفسه - وتبعه في ذلك من معه - بالتوجه العام للمسلمين، فكان واحداً من عامتهم لا يستطيع أن يتغيب عن أمر جامع، وإذا حضر لم ينتبه له أحد.

**2- ركود نشاط المنافقين:** فلقد عرفت هذه المرحلة أحداثاً بارزة كان فيها من الفرص ما لم يكن المنافقون قادرين في مثلها قبل بني المصطلق على أن يكتموا فيه أنفاسهم أو يقدرّوا فيه عاقبة أقوالهم أو مواقفهم:

**أ-** فلقد جاء بشر بن سفيان<sup>(2)</sup> إلى النبي ﷺ وهو في طريقه إلى مكة عام الحديبية يلقي الرعب ويخذل ويقول إن قريشاً قد جمعت جموعها ولبست جلود النمر يعاهدون الله لا يدخلها محمد، فاضطر النبي إلى أن يغير الطريق ويسلك مسلكاً وعراً حتى شق على المسلمين.

**ب-** ولما بلغ النبي ﷺ - كذبا - أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قتلته قريش وقد أرسله إليها يبلغ أشرافها أنه إنما جاء معتمراً لا محارباً، دعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان.

**ج-** وكان صلح الحديبية الذي أثار رجلاً كعمر بن الخطاب رضي الله عنه وجعله يراجع النبي ﷺ بتلك اللهجة القوية ويقول له: «علام نعطي الدنيا في ديننا؟!»<sup>(3)</sup>

---

(1) انظر: ص 136-137.

(2) هو بشر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي ويقال أيضاً بسر بن سفيان، كان شريفاً في قومه، أسلم سنة (6هـ)، وشهد الحديبية، بعثه النبي ﷺ عيناً على قريش إلى مكة، وهو المذكور في قصة الحديبية أنه قال لرسول الله ﷺ هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل.. يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (5/458)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (1/166-167)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (1/251)؛ الإصابة، لابن حجر، (1/222-223).

(3) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الشروط/باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط]، (ص 485)، رقم 2731، 2732.

وفي [كتاب الجزية والموادعة]، (ص 575)، رقم 3182.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله "إذ يبايعونك تحت الشجرة"]، (ص 913)، رقم 4844.

وأخرجه مسلم [كتاب الجهاد والسير/باب صلح الحديبية في الحديبية]، (3/1411)، رقم 1785.

د- وكان تقسيم الغنائم يوم حنين «فأعطى رسول الله ﷺ قوما ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال: إني أعطي قوما أخاف هلعهم وجزعهم وأكل قوما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى»<sup>(1)</sup> ولم يفهم الصحابة ﷺ يومئذ سياسة النبي ﷺ في تقسيم الغنائم؛ فقد أعطى عطايا كبيرة أقواما من المهاجرين يتألف قلوبهم وحرم آخرين (وكان الأنصار ممن وقعت عليهم مغارم هذه السياسة. لقد حرموا جميعا أعطية حنين وهم الذين نودوا وقت الشدة فطاروا يقاتلون مع رسول الله ﷺ حتى تبدل الفرار انتصارا، وهاهم أولاء يرون أيدي الفارين تعود ملأى، أما هم فلم يمنحوا شيئا قط)<sup>(2)</sup> ولا يخفى أن المنافقين قوم من الأنصار.

ه- وكانت غزوة مؤتة<sup>(3)</sup> التي أرسل إليها النبي ﷺ ما لا يزيد على ثلاثة آلاف لقتال الروم في جيش قوامه مائتا ألف مقاتل.

و- وكان الذي أقدم عليه حاطب بن أبي بلتعة<sup>(4)</sup> -وهو من مشاهير الصحابة وفضلائهم- يوم أن كتب كتابا إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم فيه بعزم

---

(1) أخرجه البخاري [كتاب الجمعة/باب من قال في الخطبة أما بعد]، (ص162)، رقم923.

وفي [كتاب فرض الخمس/باب ما كان النبي يعطي المؤلفلة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه]، (ص567)، رقم3145. وفي [كتاب التوحيد/باب قول الله تعالى: "إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا"]، (ص1392)، رقم7535.

(2) فقه السيرة، محمد الغزالي، (ص395).

(3) مؤتة: هي بأدنى البلقاء من أرض الشام، وسميت الغزوة بها، وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان. انظر: عيون الأثر، لابن سيد الناس، (2/198).

(4) هو الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد، وهو قديم الإسلام من مشاهير المهاجرين، كان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ. شهد بدرًا والمشاهد كلها. بعثه رسول الله ﷺ سنة ست من الهجرة بكتاب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فأتاه من عنده بمدايا كثيرة منها مارية القبطية التي اتخذها رسول الله لنفسه، وبعثه أبو بكر الصديق أيضا إلى المقوقس بمصر فصالحهم. توفي حاطب بن أبي بلتعة ﷺ في خلافة عثمان بالمدينة (سنة 30هـ) وهو ابن خمس وستين سنة.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/114-115)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (1/312-315)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (1/491-492)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/376-378)؛ الإصابة، لابن حجر، (1/451-450)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (2/140).

رسول الله ﷺ على غزوهم، وأرسله إليهم مع امرأة من المشركين حتى ظن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نافق، واستأذن رسول الله في ضرب عنقه<sup>(1)</sup>.

إن أحداثاً كهذي التي سقتها -وهي جميعها من المرحلة الرابعة- أحداث لا أحسب أن أحداً يختلف معنا في أنها منفذ عريض للمنافقين، وأرضية جاهزة ليدعوا فيها من نسيج أضغانهم ما تطيب له نفوسهم وتقر به أعينهم، وقد مرت بهم قبلها أحداث كانت أقل منها شأنًا وجدانهم صنعوا منها ما وقفت عليه من قبل..

-فما قاله بشر بن سفيان كان فرصة عظيمة للإرباك والتخذيل أو للتخاذل في أبسط الصور التي عهدناها فيهم..

-و(إن الصورة الواقعية في عالم الأسباب تقول أن لا يستجيب للبيعة على الموت والمواجهة إلا أفراد قلائل لأن القوم لم يخرجوا للقتال، وقائدهم أكد لهم أن خروجه للعمرة،

---

(1) عن علي رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وكلنا فارس، قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه، فقال النبي ﷺ ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الجهاد والسير/باب الجاسوس]، (ص539)، رقم 3007.

وفي [كتاب الجهاد والسير/باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة]، (ص553)، رقم 3081.

وفي [كتاب المغازي/باب فضل من شهد بدرًا]، (ص720)، رقم 3983.

وفي [كتاب المغازي/باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ]، (ص773)، رقم 4274.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء"]، (ص924)، رقم 4890.

وفي [كتاب الاستئذان/باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره]، (ص1166)، رقم 6259.

وفي [كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/باب ما جاء في المتأولين]، (ص1281)، رقم 6939.

وأخرجه مسلم [كتاب فضائل الصحابة/باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة]، (4/1942)، رقم 2494.



ولم يعدوا سلاحا لذلك<sup>(1)</sup> ومن ثم سيجد المنافقون فرصة عظيمة للتسلل، إلا أننا وجدنا الجيش كله يبايع، ويكون عبد الله بن أبي من المبايعين دون أدنى غمز أو تردد، ولا يتخلف إلا رجل واحد<sup>(2)</sup> من جيش قوامه ألف وأربع مائة..

- وإن صلحا كالذي أبرم، كانت ظروفه كلها موالية للمنافقين لو أنهم أرادوا أن يخلطوا فيه بعض أوراقه أو يشوشوا على مجرياته.

- وإن كلمة كالي قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا يعلمون لو أنهم نفخوا فيها من روح إرجافهم لفعلت في الجيش الأفاعيل..

- وإن قسمة قال فيها الأنصار الخلص: «إذا كانت شديدة فنحن ندعى، وتعطى الغنائم غيرنا»<sup>(3)</sup> حسب المنافقين - لو أرادوا أن يرجفوا - أن يرددوا تلك المقولة وهم جزء من الأنصار، ولو رددوها لكفاهم ذلك تنفيسا عما يختلج في صدورهم.

- وإن قوما قالوا عن عشرة من الصحابة قتلوا يوم الرجيع: يا ويح هؤلاء المفتونين لا هم بقوا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم<sup>(4)</sup>، لا شك أن مؤتة طعم سائغ لإرجاف لو أرادوه.

- وإن المنافقين يعلمون أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ليس منهم حتى يستروا عليه خطيئته، وإنها لخطيئة كبيرة (فهي بمثابة الخيانة العظمى)<sup>(5)</sup> التي لا يجوز السكوت عنها، وإن استغلال الحدث للمطالبة بالعقاب الفوري - على سبيل المثال - يستجيب لسياستهم التي انتهجوها في كل مواقفهم، ولو كان ظاهر هذه المطالبة مطلبا شرعيا..

ولكن الحقيقة التي نلمسها من خلال دراسة أحداث هذه المرحلة - ما بين بني المصطلق

---

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.ط)، (23/3).

(2) هو الجند بن قيس. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (335/3).

(3) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان]، (ص784)، رقم4337.

وأخرجه مسلم [كتاب الزكاة/باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه]، (733/2)، رقم1059.

(4) انظر: ص57.

(5) المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير الغضبان، (119/3).

وتبوك- أن المنافقين لم يظهر لهم وجود، ولا كان لهم حدث، ولا كان عنهم حديث في كتب السير في هذه الأحداث التي سقتها أو في أحداث هذه السنوات الثلاثة كلها، بل تذكر بعض المصادر أن قريشا - بعد إبرام صلح الحديبية- قد (بعثت إلى عبد الله بن أبي بن سلول إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل... فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ، وفي لفظ قال: إن لي في رسول الله أسوة حسنة..)<sup>(1)</sup> وهو تصرف غير معهود في عبد الله بن أبي من قبل، و يكاد يخيل للدارس (أن النفاق في هذه المرحلة قد ولى كأمس الدابر)<sup>(2)</sup>..

ولعل هذا يدعم بقوة هذا التقسيم الذي نحوته؛ يصدقني في هذا ما نقلته عن ابن جرير الطبري (وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعتقونه ويتوعدونه)<sup>(3)</sup> ويصدق في ذلك ما سردته آنفا في تحليل أحداث هذه المرحلة.

**3-آيات النفاق في هذه المرحلة:** لم ينزل في هذه المرحلة قبل غزوة تبوك من القرآن عن المنافقين إلا الآيات الأوائل من سورة الفتح وقد نزلت عقب رجوعه ﷺ من صلح الحديبية<sup>(4)</sup>، ولي في ذلك جملة من الملاحظات:

أ- إن هذه الآيات تحدثت عن طائفة جديدة من طوائف أهل النفاق وهي طائفة منافقي الأعراب ممن يسكنون البادية أو ينتشرون في أطراف المدينة، وقد صرح القرآن بذلك ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾<sup>(5)</sup>، ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾<sup>(6)</sup> فنحن إذن أمام طائفة جديدة من المنافقين غير الطائفة التي كانت ملازمة للنبي ﷺ في المدينة والتي وجدنا أن معظم حديث القرآن كان عنها.

ب- ورد في هذه الآيات ذكر للمخلفين على إطلاقه من غير تقييد بالأعراب ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ﴾<sup>(7)</sup> ولكن الذي يظهر -والله أعلم- أنه في سياق الحديث العام عن الأعراب..

(1) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لبرهان الدين الحلبي، (703/2).

(2) المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير الغضبان، (23/3).

(3) انظر: ص 137.

(4) انظر: ص 76.

(5) سورة الفتح، الآية: 11.

(6) سورة الفتح، الآية: 16.

(7) سورة الفتح، الآية: 15.

فقد توسط ذكرهم الآيتين اللتين تحدثتا عنهما، وقد شغل المفسرين عن التدقيق فيه ما جاء في عقبه ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>، ومن الذين أحقوه بالسياق العام لهذه الطائفة ابن كثير<sup>(2)</sup>.

**ج-** إن هذه الآيات نزلت في أعقاب صلح الحديبية كما أسلفت آنفا في طريقه ﷺ من مكة إلى المدينة، ويعنى ذلك أن حديثها عن منافقي الأعراب حديث عن أمر قبل وقوعه، وإخبار من الله تعالى عن غيب نؤمن أنه يقع -حقا- كما أخبر.

**د-** الذي عليه عامة أهل التأويل<sup>(3)</sup> أن المغامم التي وعدها الله أهل الحديبية والتي يطمع المخلفون من منافقي الأعراب أن يتبعوهم فيها ليغنموا من خيراتها كما أخبر الله بذلك هي مغامم خيبر، إلا أننا لم نجد لأهل السير والمغازي حديثا -من قريب أو من بعيد- عن هذه المسألة وهم يؤرخون لوقائع هذه الغزوة وأحداثها، وليس لي أمام هذا الغفول ما أقوله بعدهم.

**هـ-** لم نجد للقرآن الكريم حديثا عن هذه الطائفة من المنافقين -منافقي الأعراب- إلا في موضعين اثنين: أحدهما هذا الذي أتحدث عنه، وثانيهما في سورة التوبة<sup>(4)</sup>.

**4- خلاصة واستنتاج:** إن الذي يتتبع التطور التاريخي لظاهرة النفاق بعد غزوة بني المصطلق التي (أحدثت البلبله والاضطراب في المجتمع الإسلامي وتمخضت عن افتضاح المنافقين)<sup>(5)</sup>، ويقف على ركود المنافقين عن نشاطهم المعهود، وظل يتابع ذلك الركود وأمامه أحداث تحمل عوامل إثارة فلا يتحرك، سيقول من غير تردد إن النفاق قد ولى الأدبار، وإن المنافقين جرفتهم الأحداث وهمشتهم، وما هو إلا زمن يسير حتى يصبح الحديث عنهم حديثا عن أمس غابر، سيما وأن هناك أحداثا عظيمة وصفحات أمجاد أخذت تترى في هذه المرحلة على رأسها:

- دخول الناس في الإسلام أضعافا مضاعفة عما كانوا عليه من قبل.

- إنهاء الوجود اليهودي في الجزيرة العربية بعد فتح خيبر<sup>(6)</sup>.

---

(1) سورة الفتح، الآية: 15.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 1729).

(3) انظر: ص 77، هامش رقم (4).

(4) النص التاسع عشر من المطلب الثاني، ص 85-86 (سورة التوبة، الآيات: 97-106).

(5) الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، (ص 385).

(6) "إنهاء الوجود اليهودي في جزيرة العرب" هو عنوان السمة التاسعة من كتاب: المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير

الغضبان، (61/3).

-الانتصار الباهر الذي حققه المسلمون في غزوة مؤتة: ثلاثة آلاف مقاتل يهزمون جيش الروم وقوامه مائتا ألف، وكان من نتائجه أن وجدنا (القبائل اللدودة التي كانت لا تزال تثور على المسلمين جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام، فأسلمت بنو سليم وأشجع وغطفان وذيان وفزارة وغيرها)<sup>(1)</sup>.

-فتح مكة، وكان من أعظم نتائجه (إسلام كثير من القرشيين خاصة كبرائهم أمثال أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل<sup>(2)</sup> وصفوان بن أمية... وانتشار الإسلام في الجزيرة كلها)<sup>(3)</sup>.

وتظل هذه القناعة لدى متتبع حركة النفاق قائمة بصورة قوية إلى غاية نهاية جمادى الثانية من السنة التاسعة من الهجرة، فإذا حل شهر رجب من ذات السنة ونادى رسول الله ﷺ في الناس إلى غزوة تبوك وجدنا الأمر ينقلب رأساً على عقب؛ فقد أطلت رؤوس النفاق وخرجت من جحورها وانتشرت في المدينة وفي أطرافها، وعاد الحديث عن النفاق والمنافقين من جديد في الثلاثي الأول من النصف الثاني من السنة التاسعة بصورة واضحة جعلت من أجلها غزوة تبوك نهاية مرحلة وبداية مرحلة.

### الفرع الخامس: مرحلة إعادة بعث النشاط

-أولاً: بداية المرحلة ونهايتها: وهي مرحلة قصيرة العمر، وهي آخر مراحل النفاق، مسرحها

(1) الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، (ص465-466).

(2) هو عكرمة بن أبي جهل واسم أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي، كان فارساً مشهوراً، لما قتل أبوه يوم بدر تحولت رئاسة بني مخزوم إليه. كان أحد الذين أهدر النبي ﷺ دماءهم يوم الفتح لكنه هرب وجاءته امرأته بأمان من رسول الله ﷺ فأسلم وأقام بمكة وحسن إسلامه، وكان له في قتال أهل الردة أثر عظيم. استعمله رسول الله ﷺ على هوازن، ثم وجهه أبو بكر إلى قتال أهل الردة فظهر عليهم، ولما فرغ من قتالهم لزم الشام مجاهداً مع عساكر المسلمين. قتل يوم أجنادين في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ (سنة 13هـ) وهو ابن اثنتين وستين سنة.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (5/444-445)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/1082-1085)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/566-569)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (1/338-340)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/201-202)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/476-477)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (5/624-625).

(3) حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، محمد بن بكر، (2/564).

الزماني غزوة تبوك، تبدأ قبلها بيسير وتنتهي بعدها بيسير، وقد أعادت هذه الغزوة للمنافقين نشاطهم الذي كاد يتوارى - كما أسلفت القول من قبل - إلى واجهة الأحداث، وأطلت رؤوس كان يظن أنها اختفت.. وجعلت غزوة تبوك نهاية مراحل النفاق، لأن سورة التوبة التي نزلت في شأنها كانت آخر سورة تنزل من القرآن الكريم ولم ينزل بعدها إلا سورة النصر، فناسب أن تكون هذه الغزوة خاتمة مراحل ظاهرة النفاق لمن أراد أن يتتبعها في القرآن الكريم.

-ثانياً: أحداث هذه المرحلة: تجسد حضور المنافقين ميدانياً في هذه المرحلة في حدثين اثنين:

**1-أحداث تتصل بغزوة تبوك:** وقد اتصلت أحداثها بالغزوة عبر مرحلتين اثنتين:

\*-المرحلة الأولى: ما قبل الغزوة

-التخاذل والاستئذان بمختلف الأعذار<sup>(1)</sup>:

﴿وَسِيخِلْفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾<sup>(2)</sup>

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآمَنَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾<sup>(3)</sup>

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذِنْ لِي وَكَأ تَفْتَنِي﴾<sup>(4)</sup>

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾<sup>(5)</sup>

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذِنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(6)</sup>

-التخذيل والتثبيط: وهو أمر طبيعي من قوم يظهرن الإيمان ولا يجبون أن توجه لهم

أصابع الاتهام، إذ كلما كثر المخلفون بعدوا عن واجهة الأحداث:

\* فقد مر بنا أنهم لمزوا المؤمنين في الصدقات التي كانوا يقدمونها للغزوة<sup>(7)</sup>.

\* وأنهم كانوا يجتمعون في بيت يهودي يثبطون الناس<sup>(8)</sup>.

(1) انظر: ص 81 وما بعدها.

(2) سورة التوبة، الآية: 42.

(3) سورة التوبة، الآية: 45.

(4) سورة التوبة، الآية: 49.

(5) سورة التوبة، الآية: 81.

(6) سورة التوبة، الآية: 90.

(7) انظر: ص 82.

(8) انظر: ص 83.

## \*-المرحلة الثانية: أثناء المسير إلى تبوك

-الانسحاب من الجيش، وتلك عادة قديمة لعبد الله بن أبيّ، فقد فعلها يوم أحد.. يسير مع الجيش سير مخادع حتى إذا اطمأن إليه الناس تحيّن اللحظة المناسبة ورجع بجزء من الجيش ممن يكونون على شاكلته، وإنما يريد بذلك الإرباك من جهة، والتخذيل والتشبيط من جهة ثانية<sup>(1)</sup>.  
-استمرار العمل على التخذيل والتشبيط ممن بقي في الجيش من المنافقين.

**2-مسجد الضرار:** وأما الحدث الثاني فقد تمثل في (افتتاح مركز خاص لهم يأوي إليه كل المنافقين وهو مسجد الضرار الذي وعد رسول الله ﷺ بافتتاحه<sup>(2)</sup> والصلاة فيه بعد العودة من تبوك)<sup>(3)</sup> ولكن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على الحقيقة وهي أن الذي بناه جماعة من المنافقين، وما أرادوا من بنائه (إلا الإضرار بالمسلمين، وإلا الكفر بالله، وإلا ستر المتآمرين على الجماعة المسلمة الكائدين لها في الظلام، وإلا التعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت ستار الدين)<sup>(4)</sup>، ولقد كان مسجد الضرار حقا كما وصفه الحافظ ابن كثير صورة مسجد في الظاهر، وهو دار حرب في الباطن<sup>(5)</sup>، فأمر النبي ﷺ بحرقه فحرق<sup>(6)</sup>.

ونزل من القرآن الكريم في الحديث عن أحداث هذا المنعرج الجديد من ظاهرة النفاق سورة التوبة، وهي آخر سورة تنزل من القرآن كاملة تامة<sup>(7)</sup>، ويجد الدارس لآياتها التي نزلت في المنافقين -وهي قرابة تسعين آية- أنها كانت (أعنف حرب إعلامية عليهم، كشفت جميع

(1) انظر: ص 133-134.

(2) وهو ما يعبر عنه اليوم بالتدشين الرسمي.

(3) المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير الغضبان، (3/191).

(4) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3/1710-1711).

(5) البداية والنهاية، لابن كثير، (3/618).

(6) انظر: المصدر نفسه.

(7) قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «آخر سورة نزلت كاملة براءة..». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب حج أبي بكر بالناس سنة تسع]، (ص790)، رقم 4364.

وأخرجه مسلم [كتاب الفرائض/باب آخر آية أنزلت آية الكلاله]، (ص1236)، رقم 1618.

مخططاتهم وعرتهم تعرية كاملة في المجتمع الإسلامي، حتى كان الصحابة يطلقون عليها أسماء عديدة منها المخزية والفاضحة والمبعثرة<sup>(1)</sup>، واستطاعت هذه الحملة الناجحة أن تهزم معسكر النفاق<sup>(2)</sup>.

وإذا قررنا أن النفاق عاد في هذه المرحلة بعد ضمور أو ركود، فإنما نقرر فيه عودة الانتشار والظهور خالية من مظاهر القوة والعزة التي كانت له قبل بني المصطلق، ونلمس ذلك جليا في عرض آيات سورة التوبة ونحن نستلهم معانيها ونستوحي إشاراتها، وحينذاك نقف على مقاطع احتوت (صورة لما وصل إليه شأنهم من خوف وضعف وقلة وتزلف)<sup>(3)</sup> ونقف على مقاطع أخرى احتوت (صورة من صور تزلفهم للمخلصين وحلفهم الأيمان على إخلاصهم بقصد إرضائهم، وينطوي في هذا صورة الضعف والخوف والتزلف أيضا كما هو واضح)<sup>(4)</sup>.

ولنقارن على سبيل المثال بين مرحلة قال فيها أهل النفاق: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾<sup>(5)</sup> وقالوا فيها: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾<sup>(6)</sup> وبين مرحلة وصفها الله لنا بقوله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ﴾<sup>(7)</sup>، ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا مَرَجْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُونَ لَنَا نُوْمِنُ بِكُمْ قَدْ بَانَ اللَّهُ مِنْ أَحْبَابِكُمْ﴾<sup>(8)</sup>، ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾<sup>(9)</sup>.

---

(1) جمع السيوطي روايات متعددة تذكر لسورة التوبة أسماء عديدة كانت تسمى بها زمان النبي ﷺ هي: سورة براءة، والفاضحة، وسورة العذاب، والمقشقة، والمنقرة، والبحوث، والحافرة، والمثيرة، والمبعثرة، والمخزية، والمنكلة، والمشردة، والمدممة. انظر: الإتيان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1418هـ-1997م، (1/156)؛ مدارك التنزيل، للنسفي، (1/661)؛ روح المعاني، للألوسي، (6/59-60).

(2) المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير الغضبان، (3/191).

(3) سيرة الرسول ﷺ، لعزة دروزة، (2/88).

(4) المصدر نفسه.

(5) سورة المنافقون، الآية: 08.

(6) سورة المنافقون، الآية: 07.

(7) سورة التوبة، الآية: 62.

(8) سورة التوبة، الآية: 94.

(9) سورة التوبة، الآية: 96.

## المبحث الثاني

### التحليل النفسي لظاهرة النفاق

#### المطلب الأول: الأسباب النفسية لنشأة النفاق

سأحاول أن أقف في هذا المطلب على الخلفيات النفسية التي أفترض -من خلال الاستقراء المتبوع بالدراسة والتحليل- أن تكون جميعها أو بعضها الدوافع الأساسية التي تكمن وراء سلوك أفراد من المجتمع فرادى أو جماعات سبيل النفاق.. وقد بان لي من تلك الأسباب:

#### -أولاً: مرض القلب

لقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن القلوب وصنّفها تصنيفاً حسب الحالات التي تعترها<sup>(1)</sup>، فالقلب له وضعه الصحي الذي يفترض أن يكون عليه كل إنسان:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(2)</sup>

وهناك حالات تعترى القلب فيصاب بشتى الأمراض والأدواء منها:

الغفلة: ﴿وَمَا تَطَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾<sup>(3)</sup>

العمى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَكَانَ نَعْمَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(4)</sup>

القسوة: ﴿وَكَانَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(5)</sup>

وإن القلب يمتحن بين هذه وبين حالات الصحة:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾<sup>(6)</sup>

﴿وَلِيَسْتَلِيَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(7)</sup>

(1) راجع هذا الموضوع في: تربيتنا الروحية، لسعيد حوى، مكتبة رحاب، الجزائر، (د.ت.ط)، (ص 49-50).

(2) سورة الشعراء، الآيتان: 88-89.

(3) سورة الكهف، الآية: 28.

(4) سورة الحج، الآية: 46.

(5) سورة الأنعام، الآية: 43.

(6) سورة الحجرات، الآية: 03.

(7) سورة آل عمران، الآية: 154.



والذي يبغى ويحصص قد ينجح، وقد يفشل منذ الوهلة الأولى لهذا الابتلاء والتحميص، وقد يمر بفترة شك وريب تعتبر مرحلة انتقالية لحالة يستقر عليها فيما بعد:

﴿وَأَمْرٌ تَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾<sup>(1)</sup>

﴿لَا يَنْزِلُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(2)</sup>

وقد يقدم الإنسان بين يدي هذا الريب من الأعمال ما يطبع بسببه على قلبه:

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾<sup>(3)</sup>

﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(4)</sup>

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(5)</sup>

﴿فَلَمَّا نَرَاغُوا نَرَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(6)</sup>

فإذا حصل هذا فقد أصبح القلب مريضاً، وإلى هذا عزا القرآن الكريم أسباب نشوء النفاق في بعض الناس، فهو حينما تحدّث في سورة البقرة<sup>(7)</sup> عن طائفة من الناس تدّعي الإيمان مخادعة وتضليلاً قال في حقها: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾<sup>(8)</sup>، ولفظ "فَزَادَهُمُ" يوحي إلى هذا المعنى، وحينما تحدّث عن المنافقين في سورة النور<sup>(9)</sup> كان صريحاً في ذكر مرض القلب سبباً من الأسباب التي تلجئ بعض الناس إلى اتخاذ موقف النفاق: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ امْرُرَتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(10)</sup> ولأجل هذا وجدنا بعض الآيات يقترن فيها لفظ المنافقين

(1) سورة التوبة، الآية: 45.

(2) سورة التوبة، الآية: 110.

(3) سورة غافر، الآية: 35.

(4) سورة يونس، الآية: 74.

(5) سورة الروم، الآية: 59.

(6) سورة الصف، الآية: 05.

(7) النص الثاني من المطلب الأول، ص42 (سورة البقرة، الآيات: 08-20).

(8) سورة البقرة، الآية: 10.

(9) النص السادس من المطلب الرابع، ص107 (سورة النور، الآيات: 47-54).

(10) سورة النور، الآية: 50.

بلفظ "الذين في قلوبهم مرض":

- ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾<sup>(1)</sup>  
﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(2)</sup>  
﴿لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾<sup>(3)</sup>

بل قد وجدنا آيات أخر اكتفت في الإشارة للمنافقين بلفظ "الذين في قلوبهم مرض":

- ﴿قَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾<sup>(4)</sup>  
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ مَرَجَسًا إِلَى مَرَجِسِهِمْ﴾<sup>(5)</sup>  
﴿لَرَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>(6)</sup>  
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾<sup>(7)</sup>

وسواء قلت هذا - من أنهم على معنى واحد- أو قلت (إن هذه الفئة كانت فريقين أو طبقتين: واحدة كافرة كل الكفر، عدوة كل العداوة، ماكرة كل المكر، وأخرى ضعيفة النفس مريضة القلب تميل مع المنفعة وترغب بنفسها عن ما تسميه مخاطر ومجازفات ومشاكل، ويأخذها شيء من الشك والتردد في طاعة الله ورسوله طاعة تامة، وتنجر أحيانا إلى الفئة الأولى فتحذو حذوها أو تقع في شباكها وتندمج معها)<sup>(8)</sup>..

سواء قلت هذا أو ذاك فإن الذي يبدو واضحا جليا (أن القرآن الكريم حين تحدث عن المنافقين وعزى مساوئهم وفضح نياتهم وأفعالهم وكشف كذبهم وخداعهم، لم يهتم بإبراز الفرق بين الفئتين لأن النتيجة في النهاية واحدة، ولا فرق بينهما من حيث ما تؤديه كل واحدة منهما

(1) سورة الأنفال، الآية: 49.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 12.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 60.

(4) سورة المائدة، الآية: 52.

(5) سورة التوبة، الآية: 125.

(6) سورة محمد، الآية: 20.

(7) سورة محمد، الآية: 29.

(8) سيرة الرسول ﷺ، لعزة دروزة، (76/2).

من دور في هدم وتخريب الكيان الاجتماعي للأمة<sup>(1)</sup> وهذا الذي يعينني تقريره.

وقد أورد ابن القيم رحمه الله جملة من الشواهد أثبت فيها أن المرض يدور على أربعة أشياء: فساد وضعف ونقصان وظلمة، ثم ذكر أن سائر أمراض القلب تعود إلى هذه الأربعة، فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض فيعاقبه الله بزيادة المرض لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: التردد وضعف التكوين الشخصي

إن صفة التردد حينما تكون جزءاً من التكوين النفسي للإنسان تقود إلى كثير من النتائج يظهر بعضها -عملياً- في سلوك الإنسان، وقد يكون التردد بسيطاً لا يتناول إلا مظاهر الحياة البسيطة، وقد يتجاوزها إلى مجالات تتصل بمختلف القضايا والمسائل المصيرية في حياة الإنسان، ومن ذلك القناعات الشخصية، مسألة القيم والمبادئ، قضايا الاعتقاد.. ولئن كانت هذه محل تردد عند الإنسان وانضافت إليها معطيات آخر من ضغوط اجتماعية في شتى صورها أو طمع أو حالات من الرعب والخوف أو الجبن.. فإن ذلك كله كثيراً ما يقود بعض الناس (إلى اتخاذ موقفين إزاء القضية الواحدة؛ أحدهما ظاهر والآخر باطن، فيعلنون غير ما يكتُمون ويقولون غير ما يفعلون)<sup>(3)</sup>، أو يعلنون مع أقوام أو في حالات معينة غير ما يعلنونه مع أقوام آخرين في حالات أخرى، ويكتُمون عن هؤلاء غير ما يكتُمونه عن أولئك، وقد تكون لهم حقيقة مستورة يكشفون عنها إذا ما اطمأنوا، وقد لا تكون لهم هذه الحقيقة فيظلون على ترددهم.. وقد يحسمونه في يوم من الأيام، وقد يستمر معهم في مراحل حياتهم كلها.. (ويبدأ هذا الازدواج والقلق والثائية في اتخاذ المواقف بسيطاً غير معقد هدفه تحقيق مصلحة فردية أو جماعية أو دفع أذى، إلا أن ممارسته طويلاً تقود إلى استمرائه واعتياده، وسرعان ما يغدو جزءاً أصيلاً من التكوين النفسي للإنسان، ويتطرف الازدواج لدى البعض أحياناً حتى يغدو ظاهرة مرضية يسميها علماء النفس "انقسام الشخصية" حيث تنقطع الخيوط كلية بين الظاهر والباطن، وتنزول عوامل الارتباط في كيان

---

(1) شخصية المنافق في القرآن الكريم: محاولة في التفسير الموضوعي، محفوظ فلوسي، مجلة الإحياء، العدد الأول: 1419هـ-1998م، (ص80).

(2) انظر: التفسير القيم، للإمام ابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار العلوم الحديثة، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (ص114).

(3) دراسة في السيرة، لعمااد الدين خليل، (ص363).

الإنسان، وتتفكك الذات المتوحدة إلى شخصيتين<sup>(1)</sup>.

وينشأ هذا المرض عموماً عن ضعف في التكوين الشخصي لدى الإنسان بحيث يكون غير قادر على التوفيق بين أمرين متعارضين، وهو ما وجدناه حقيقة في طائفة من المنافقين التي تحدث عنها القرآن في أوائل العهد المدني: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ<sup>(2)</sup>﴾، فهؤلاء اختاروا لأنفسهم الإيمان.. ولكن تبعاته كانت أكبر من طاقتهم الجسدية والمعنوية فارتدوا على أدمجهم وانتكسوا، وجاروا الكفار بعد ذلك حتى يسلموا من أذاهم ويتقوا بطشهم، وجاروا المسلمين أيضاً إبقاء على ما كان معهوداً فيهم، فلا هم كفروا كفرة صريحاً ولا هم أدوا حق الإيمان الذي أعلنوه أداء كاملاً، وإنما للحقيقة التي يثبتها القرآن الكريم للمنافقين عموماً:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَأَمَّنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ<sup>(3)</sup>﴾

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ<sup>(4)</sup>﴾

بل إن هذا التردد بلغ مداه عند بعضهم وتجلى وكأنه لعب صبيان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَأَمَّنُوا ثُمَّ

كَفَرُوا ثُمَّ ءَأَمَّنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَأَمَّنُوا ثُمَّ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ<sup>(5)</sup>﴾.

وهؤلاء حسموا في النهاية موقفهم الأخير، ولكن البعض منهم ظل على ذلك التردد:

﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ<sup>(6)</sup>﴾، وتنصرف أذهاننا ونحن نقرأ هذه الآية إلى ذلك الوصف

الوضيع الذي وصفهم به النبي ﷺ وهو يرى فيهم هذه الحقيقة: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة

(1) المصدر نفسه، (ص363-364).

(2) سورة العنكبوت، الآية: 10.

(3) سورة المنافقون، الآية: 03.

(4) سورة التوبة، الآية: 74.

(5) سورة النساء، الآية: 137.

ولم أورد هذه الآية ضمن نصوص النفاق التي أثبتها في المبحث الثاني من الفصل الأول لما حولها من خلاف قوي، والآية هذه تتصدر آيات النفاق التي في النص الخامس من المطلب الرابع (ص105)، والقول بأنها تعني المنافقين هو إحدى المرويات التي أثبتها ابن جرير الطبري في تفسيره. انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (327/5).

(6) سورة النساء، الآية: 143.

بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة»<sup>(1)</sup>، «لا تدري أهذه تتبع أم هذه»<sup>(2)</sup> وهي الحقيقة التي كشفها الله عنهم في أوضح صورة: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾<sup>(3)</sup>.

إن تكوينهم النفسي الضعيف الذي أبى عليهم إلا الخلود إلى أهوائهم، والتفلت من قيود الالتزامات والواجبات، والبحث عن أسباب الأمن والدعة والرخاء، كان - في بعض مناحيه - وراء هذا السلوك في المنافقين: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾<sup>(4)</sup> لكنه عرض دونه مشاق وسفر بعيد، و«السفر قطعة من العذاب»<sup>(5)</sup>، لا يقوى عليه الضعيف والعاجز والعليل، أو من عدم فيه هدفا ومقصدا: ﴿وَلَكِنَّ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾<sup>(6)</sup>.

### ثالثا: الأناية والحرص على المصلحة الذاتية

وهو أمر يبدو جليًا لمن تتبع ظاهرة النفاق في القرآن الكريم وفي مختلف النصوص التي وردت إلينا من أحاديث ومن كتب السير والمغازي، فإن كلمة كالتى قالها عبد الله بن أبي ومن معه يوم أن رأى انتصار بدر ولم يكن قد أعلن الإسلام بعد: «هذا أمر قد توجه»<sup>(7)</sup> إن كلمة كهذه قد ترجمت الخلفية النفسية لزعيم النفاق وحامل لواء المنافقين ترجمة كاملة من غير أن

(1) سبق تخريجه ص107، هامش رقم (2).

(2) أخرجه أحمد [كتاب مسند المكثرين من الصحابة/باب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب]، (47/2)، رقم5079؛ (102/2)، رقم5790؛ (143/2)، رقم6298.

وأخرجه النسائي [كتاب الإيمان وشرائعه/باب مثل المنافق]، (128/8)، رقم5047.

(3) سورة المجادلة، الآية: 14.

(4) سورة التوبة، الآية: 42.

(5) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الحج/باب السفر قطعة من العذاب]، (ص315)، رقم1804.

وفي [كتاب الجهاد والسير/باب السرعة في السير]، (ص538)، رقم3001.

وفي [كتاب الأطعمة/باب ذكر الطعام]، (ص1035)، رقم5429.

وأخرجه مسلم [كتاب الإمارة/باب السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله]، (1526/3)، رقم1927.

(6) سورة التوبة، الآية: 42.

(7) طرف من حديث سبق تخريجه ص124.

تدع منها مثقال ذرّة، وهي توحى إلى:

- أن الصراع النفسي في أعماق الذات بشأن الإسلام كان قائمًا، وأن اتخاذ موقف منه بقبوله أو رفضه كان يختلج فيها منذ أن وطئ الإسلام المدينة وأصبح فيها حقيقة لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يتجاوزها، فالكلمة لم تنطلق من فراغ.

- أن الإسلام مركب صالح كما يبدو، وهو يحقق هذا الانتصار الباهر، وأن انتصارًا كهذا كفيلاً لأن يجزّ انتصارات أخرى.

- أن التخلف عن الإسلام وقد بان أمره، تخلف عن سبب من أسباب المنعة التي قد تنقلب عليه في يوم من الأيام لو أنه بقي بعيدًا عنه.

ولم أثقل كلمة ابن أبي بهذه الإيحاءات ولم ألوها لتحمل لي هذه الدلالات، فإن مواقف المنافقين التي حكاها عنهم القرآن الكريم تحكي في وضوح كامل هذه المعاني:

أ- فقد كانت الأنانية يوم أحد الدافع الرئيسي للانسحاب من الجيش: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾<sup>(1)</sup> لا غير، ولم يكن يعينهم من أمر الإسلام الذي اختاروه -علنا- شيء.

ب- وكان ابن أبي صريحًا مع النبي ﷺ يوم بني قينقاع وقد أحرجه أيما إحراج وهو يقول له: أحسن في موالي، فإني امرؤ أخشى الدوائر: ﴿قَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَامِرُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾<sup>(2)</sup>، لأن إعلان الإسلام إنما كان بحثًا عن مركز للقوة والمنعة من جهة، وعن مصدر للمنفعة والغنيمة من جهة ثانية، وقد لا يدومان له فكان لابد من التوسل لصاحب الأمر للحفاظ على اليهود لأنهم بالنسبة إليه القاعدة الخلفية التي يلجأ إليها ومن معه لو تدور الدائرة وتنقلب الأيام على هذا الدين الجديد (فتكون لهم أيد عند اليهود)<sup>(3)</sup> يحفظون بها دوما مصالحهم.

ج- وقد أبان الله أن دفاعهم عن اليهود إنما هو في باطن نفوسهم بحث عن مصالحهم الضائعة، فلو تأكد لهم أن هؤلاء الذين ﴿يُسَامِرُونَ فِيهِمْ﴾ قد أصابتهم الدوائر وكان للإسلام شوكتة ومنعته، لندموا على هذه الموالاتة وهذا الدفاع: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا

(1) سورة آل عمران، الآية: 154.

(2) سورة المائدة، الآية: 52.

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص628).

عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ»<sup>(1)</sup> لأن موالاتهم لم تكن مبنية على العقيدة والمبادئ، وإنما كانت بحثًا عن مركز قوي يحفظ لهم بتلك الموالاتة مصالحهم: «أَيْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ»<sup>(2)</sup> وجاءت الآية هذه في سياق يوضح السبب الحقيقي الذي ألبأ المنافقين إلى موالاتة الكافرين عمومًا: «بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَن لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا \* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»<sup>(3)</sup>.

وإن هذه الحقيقة تجلت بصورة واضحة يوم أن بعث عبد الله بن أبيّ إلى يهود بني النضير يجرتهم على رسول الله ﷺ ويعددهم بالعون والمدد والنصرة، فوثق اليهود بوعدة وتجرؤوا على النبي ﷺ وقالوا له: إنا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، وفي هذا يقول الله تعالى: «الْمُتَرَلِّبِينَ الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ»<sup>(4)</sup>.

ولكن حينما جدّ الجدّ بان أن القوم ليسوا أصحاب مبادئ يدافعون عنها، وإنما أصحاب مصالح يطمعون في الحفاظ عليها..

وما كانت موالاتهم لهم إلا أمرًا صوريًا، فكان الواقع كما صورته القرآن: «لَئِن أُخْرِجُوا لَيَخْرُجُنَّ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَيَنْصُرُنَّهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا لَهُمُ الْوَسْطَىٰ وَالْأُولَىٰ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ لَئِنَّهُمْ لَنُغْلِبَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ لَئِنَّهُمْ لَنُغْلِبَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ لَئِنَّهُمْ لَنُغْلِبَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ لَئِنَّهُمْ لَنُغْلِبَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ»<sup>(5)</sup>، وكان مثلهم معهم «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرُوا فَلَمَّا كَفَرُوا قَالُوا إِنَّا بَرِيءٌ مِّنْكَ»<sup>(6)</sup>.

فالأناية والمصلحة الذاتية محركهم الدائم في مختلف مواقفهم وتحركاتهم وأقوالهم.

د- إن هذه النفسية تبدو منهم واضحة جلية في جميع جولات الإسلام في العهد المدني، وقد تنزل القرآن يغوص في أعماق نفوسهم يستجلي خباياها ويرفع الحجاب عن خفاياها، فإذا هي بادية للعيان وكأن الأيدي تتلمسها:

(1) سورة المائدة، الآية: 52.

(2) سورة النساء، الآية: 139.

(3) سورة النساء، الآيتان: 138-139.

(4) سورة الحشر، الآية: 11.

(5) سورة الحشر، الآية: 12.

(6) سورة الحشر، الآية: 16.

﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ \* وَلَكِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿1﴾  
 ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْبِبُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ فِتْنَةٌ فَكَانَ اللَّهُ خَالِقُ الْإِنْسَانِ الْكَافِرِينَ﴾  
 قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِمْ عَلَيْكُمْ وَمَنْعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿2﴾ .

إن هذه النفسية لم تغب عن بالهم لحظة من اللحظات، بل ولن ينسوها وهم في جهنم يصلونها وقد حاولوا أن يروّجوها على المؤمنين كما كانوا يفعلون في الدنيا: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ امْرِجُوا وَمَا كُمْ فَالتَمَسُوا نَوْراً فاضرب بيّتهم بسومر له باب باطنه فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ﴿3﴾ كنتم معنا ظاهراً وكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وقرتكم الأمانى ﴿4﴾ ..

وفي هذا تقرير لجملة من الأسباب منها قوله: ﴿وَتَرَبَّصُّمُ﴾ أي تربصتم تربص الأنابي الذي لا يبحث إلا عن مصلحته، وحيثما وجدها هرع إليها.  
 هـ- وهي النفسية التي تمسكهم على الإسلام عموماً:

- مكسب يرجونه: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ \* وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَبِينَ ﴿5﴾  
 - أو مصيبة يدفعونها: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتُمُ مُصِيبَةً بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لِيُنْزِلَ أَمْرًا دُونََ الْإِحْسَانِ وَتَوْفِيقًا﴾ ﴿6﴾

وتمثل هذه المعاني أبرز (سمات المنافقين: يريدون أن يأخذوا ما في الإسلام من مغام، وبيتعدوا عما فيه من مغارم وأتعاب، وإنما الذي يمسكهم على الإسلام أحد شيئين: غنيمة

(1) سورة النساء، الآيتان: 72-73.

(2) سورة النساء، الآية: 141.

(3) سورة الحديد، الآية: 13.

(4) سورة الحديد، الآية: 13.

(5) سورة النور، الآيتان: 48-49.

(6) سورة النساء، الآية: 62.



يتوقعونها أو مصائب ومحن يتوقعونها)<sup>(1)</sup>.

و- وإن هذه النفسية -الحرص على المصلحة- جعلتهم يجتاطون وهم يتبعون الإسلام لكل سوء قد يلحق به أو بالمسلمين: ﴿وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَكَّلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

#### -رابعاً: الجبن يتبعه الكذب

ولا أتحدث عن الجبن ههنا على أنه من أوصاف المنافقين التي تحدث عنها القرآن الكريم وكانت لصيقة بهم، ولكنني أتحدث عنه على أنه واحد من أسباب التكوين الشخصي التي تقود بعض الناس إلى أسلوب النفاق، وذلك أن هؤلاء لا يملكون الجرأة الكاملة للإفصاح عن قناعاتهم أو عن بعضها لسبب من الأسباب، وقد يكون ذلك مؤقتاً بظروف يمر بها الإنسان أو المجتمع، وقد يكون دائماً، ويعني الأمر حينذاك أن في الشخص طبيعة غالبية تعيقه عن الإعلان الصريح، وقد يقع صاحبها في بعض المرات -أو في كثير منها- في حرج مع الناس فيلجأ إلى الالتواء في الحديث، وقد يكون الكذب -فيما يعتقد- مخرجاً يحاول أن ينجي به نفسه أو يبعد به ما لا يستطيع البوح به، ولئن تكررت المرات واعتاد الكذب أسلوباً وصار ملازماً له بالصورة التي حدثت عنها النبي ﷺ: «وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب»<sup>(3)</sup> فإن الكذب حينئذ يصبح صورة من صور النفاق الحقيقية، وما النفاق الذي تحدث عنه القرآن الكريم إلا صورة من هذه الحقيقة: ﴿ثُمَّ جَاءُواكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾<sup>(4)</sup>، ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾<sup>(5)</sup>، فقد كان السلف يقولون: أس النفاق الذي يبني عليه النفاق الكذب<sup>(6)</sup>، وما ذلك إلا لأنهم جبناء لا

(1) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الجزائر - دار الفكر، دمشق سورية، الطبعة الحادية عشرة: 1412هـ-1991م، (ص178).

(2) سورة التوبة، الآية: 50.

(3) متفق عليه واللفظ لمسلم:

أخرجه البخاري [كتاب الأدب/باب قول الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" وما ينهى عن الكذب]، (ص1138)، رقم6094.

وأخرجه مسلم [كتاب البر والصلة والآداب/باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله]، (4/2012)، رقم2607.

(4) سورة النساء، الآية: 62.

(5) سورة التوبة، الآية: 74.

(6) صفة المنافق، للفريابي، (ص61).

يستطيعون أن يواجهوا الناس بحقيقة أقوالهم أو حقيقة معتقداتهم، فيسترون ذلك الضعف بهذا الكذب، ويتظاهرون بالقوة والشجاعة في أوقات الرخاء: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾<sup>(1)</sup> للقتال ومقارعة الأعداء، لكن إذا جدَّ الجدَّ ونودي للجهاد جاءوكم واعتذروا: ﴿وَسَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾<sup>(2)</sup> .. إنهم جناء يخشون البأس والقتال أشد خشية، ولا يجروون على التصريح بهذا فيلجؤون إلى الكذب يخلتقون به التعلات والمعاذير: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(3)</sup> لأنهم جناء فرّ المearك لا يقدرّون على أن يرضوكم بالإقدام والشجاعة، فيلتمسون رضاكم بالحلف كذبًا: ﴿يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾<sup>(4)</sup>.

لقد صور القرآن الكريم - في أبداع صورة - حالتهم النفسية التي يكونون عليها حينما تنزل السورة فيها الحديث عن القتال والجهاد: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَذَكَرْتُمْ فِيهَا الْقِتَالَ مَرَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>(5)</sup> ..

وإنه لتعبير (لا تمكن محاكاته ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى، وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حدّ الرعشة، والتخاذل إلى حدّ الغشية، وهي صورة خالدة لكل نفس خوارة لا تعتصم بإيمان ولا بفطرة صادقة ولا بجيأ تتجمل به أمام الخطر، وهي هي طبيعة المرض والنفاق)<sup>(6)</sup> يتمنى أصحابها في حالات الشدة والخوف التي تلمّ بالإسلام والمسلمين - وهم إنما حبسهم على الإسلام مغانم يرجونها ومخاوف يتقونها - أن لو كانوا يعيشون بالبادية بعيدًا عن دائرة الصراع: ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يُوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ آبَائِكُمْ﴾<sup>(7)</sup> ويتقصّون أخباركم من بعيد خوفًا وجبنًا..

(1) سورة النور، الآية: 53.

(2) سورة التوبة، الآية: 42.

(3) سورة المنافقون، الآية: 02.

(4) سورة التوبة، الآية: 62.

(5) سورة محمد، الآية: 20.

(6) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (6/3296).

(7) سورة الأحزاب، الآية: 20.

أما وأنهم لا يقدرّون على ذلك وقد كتب عليهم أن يعيشوا مع المسلمين لحظات الشدّة التي تنزل بهم فإنهم حينئذ: ﴿لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ \* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مَرَأَتْهُمُ ابْنُ مَرْثَى يُنظِرُونَ إِلَيْكَ تَدُومُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴿١﴾ .

إنها أيضاً (صورة شاخصة واضحة الملامح متحركة الجوارح، وهي في الوقت ذاته مضحكة تثير السخرية من هذا الصنف الجبان الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجن المرتعش الخوار. وأشدّ إثارة للسخرية صورتهم بعد أن يذهب الخوف ويحيى الأمن: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾<sup>(2)</sup> فخرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء، وادّعوا في غير حياء ما شاء لهم الادّعاء: من البلاء في القتال، والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال)<sup>(3)</sup> أو غير ذلك من ألوان الادعاء..

وهكذا يبدأ النفاق في الأفراد.. (سلوك مرّكب يرجع إلى عناصر خلقية متعددة، فإذا جمعنا الجبن والطمع بالمنافع الدنيوية وجحود الحق وخلق الكذب تولّد عنها ما نسميه بالنفاق، ثم يظهر نظير ذلك في سلوك الجماعة حينما تكون فيها هذه العناصر الخلقية المنحرفة عن السبيل الأقوم، فلولا أن يكون المنافق جباناً أو صاحب طمع شديد بالمنافع الدنيوية التي يترقبها إذا هو تظاهر بالإسلام لما سلك مسلك النفاق ولما كان له وجهان: وجه مع الكافرين ووجه يخادع به المؤمنين، ولو وجد الجرأة الكافية على أن يعلن جحوده للمؤمنين لوقف صراحة في صف الكافرين، لكن جنبه الشديد يمنعه من ذلك)<sup>(4)</sup> فالجبن يتبعه الكذب.. والأناية المفرطة والحرص على المصلحة الذاتية، عناصر إذا أضيفت إلى ضعف التكوين الشخصي والتردد الواضح -وهي كلها من أمراض القلوب- كان ذلك كله من العوامل الرئيسية التي يتولد عنها النفاق.

(1) سورة الأحزاب، الآيتان: 18-19.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 19.

(3) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/2840).

(4) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة: 1420هـ-1999م، (1/561-562).

## المطلب الثاني: وصف تحليلي لشخصية المنافق

لقد عني القرآن الكريم منذ اللحظات الأولى لتناوله ظاهرة النفاق بالغوص في أعماق نفوس المنافقين يتتبع مكنوناتها ويحلل خباياها ويكشف سرائرها ويرفع الحجاب عن حقيقة المرض الذي اعتلت به هذه النفوس، ويجلو طبيعة الدوافع التي أنشأت هذا السلوك العليل في فئة من الناس ظنت في نفسها الفطنة والذكاء، فإذا الآيات ترسم نسيجاً متكاملًا لشخصية أسفر الوضوح فيها عن ملامح بينة أحكيها في النقاط الآتية:

### -أولاً: القلق النفسي

القلق النفسي سمة بارزة في نفسية المنافقين لا تكاد تفارقهم، بل لقد أصبح جزءاً من تركيبهم النفسي، وبالنظر إلى طبيعة النهج الذي سلكوه في التعامل مع الدين الجديد الذي ألزموا أنفسهم ظاهراً بالإذعان له والتسليم لرسوله ﷺ نجد أن هذا القلق النفسي نتاج طبيعي لشخصية أعلن صاحبها جملة من المبادئ والمواقف هو لها في قرارة نفسه رافض وجاحد، وإنما يفعل ذلك ليتقرب من أصحاب تلك المبادئ لطمع يرجوه أو خوف يدفعه، ويخشى بعد ذلك أن يكشف الذين من حوله هذه الحقيقة التي يسعى بكل ما أوتي من جهد لإخفائها عنهم خوفاً من أن يفتضح في فلتة من لسانه، أو يتعثر في موقف لا تطاوعه نفسه في قبوله، وطبيعي جداً أن ينشأ في الإنسان بعد ذلك -والحال هذه- صراع نفسي عنيف يسعى صاحبه:

- لإخفاء الحقيقة عن فئة من الناس فرضت طبيعة الإعلان الذي أعلنه الحضور الدائم معها، وفي الاحتكاك المستمر بها حرج كبير ومظنة افتضاح.

- لكبت جماح النفس في المواقف المثيرة إبعادا لكل شبهة، وما أشد وقع كبت ليس له من دافع إلا الجبن أو الخوف.

- للظهور بكامل الالتزام بمقتضى ما أعلنه وهو لذلك مبغض وكاره.

إن هذا الصراع النفسي إن طال أمده أو بقيت أسبابه قائمة سيتولد منه حتما قلق نفسي يسبغ على صاحبه ملامح ظاهرة وباطنة تتراءى لكل ناظر عند كل حدث أو موقف أو مقال، بل تتجلى صورة دائمة بينة المعالم ينشئها الخوف القائم المتوقع فلا تخفى على كل لاحظ.

إن هذه الحقيقة تبدو واضحة في كثير من نصوص القرآن التي تحدثت عن النفاق والمنافقين، وأحسب أن تحليلاً لهذه النصوص يوحى إلى أن مرد هذا القلق النفسي في المنافقين

إلى أمور أهمها:

**1- التوجس العام خوفا من الافتضاح:** وهو (حالة من التوجس الدائم والفرع الدائم والاهتزاز الدائم: ﴿يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(1)</sup>، فهم يعرفون أنهم منافقون مستترون بستار رقيق من التظاهر والحلف والملق والالتواء، وهم يخشون في كل لحظة أن يكون أمرهم قد افتضح، وستهم قد انكشف. والتعبير يرسمهم أبدا متلفتين حواليتهم، يتوجسون من كل حركة ومن كل صوت ومن كل هاتف، يحسبونهم يطلبهم وقد عرف حقيقة أمرهم)<sup>(2)</sup>.

قال القرطبي: (أي إذا نادى مناد في العسكر أن انفلتت دابة أو أنشدت ضالة، ظنوا أنهم المرادون لما في قلوبهم من الرعب)<sup>(3)</sup>.

إنها حالة من القلق النفسي لا تكاد تفارقهم أبدا ما داموا يحملون وجهين:

-وجها يطلونه بتظاهر قد لا يفلحون دوما في نسج خيوطه، وبأيمان كاذبة يعلمون أن عمرها قصير، وقد ظهر لمن يخلفون لهم كذبهم من قبل مرات ومرات، وبالتواء لا يستطيعون أن يخفوا كثيرا من اعوجاجه.

-ووجها آخر هو حقيقتهم التي يسعون لإخفائها وسترها ويخشون دوما أن تنكشف.. لأجل ذلك وجدناهم يعيشون حالة من القلق النفسي الدائم، يرون في كل كلمة تطلق أنها تعنيهم، وفي كل إشارة أنها تومئ إليهم، وفي كل همسة أنها تقصدهم، وفي كل لحظة أنها خرقت خباياهم فقرأت نفاقهم: ﴿يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

ولما كانت لديهم القدرة العجيبة على الالتواء والتفلت كان ذلك مصدرا من المصادر التي تزيد من قلقهم، فهم لا يستطيعون أن يجزموا هل تظن لهم النبي ﷺ والمسلمون أم لا؟ وهل علموا بنفاقهم أم استطاعوا أن يتفلتوا لهم بما قدموه من تظاهر خبيث أو التواء ماهر أو أيمان كاذبة أو تعالآت يحسبون أنها مقنعة؟! لذلك تظل حيرتهم قائمة ويظل القلق النفسي ملازما لهم لا يفارقهم أبدا، ومن ثم ﴿يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

(1) سورة المنافقون، الآية: 04.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (6/3574-3575).

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (18/116).

**2- حالات الشدة والخوف:** إن المنافقين قوم جبنا، وتلك حقيقة لا تكاد تخفى على كل من تعامل مع نصوص القرآن الكريم التي تحدث عنهم، ومن الجبن يتولد خوف دائم مستمر ما دام الجبن خصلة لصيقة بالإنسان ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنَّكُمْ وَمَا هُمْ بِمَنَّكُمْ وَكَفَّهِمْ قَوْمٌ يُفْرُقُونَ﴾<sup>(1)</sup>، ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

إنهم قوم جبنا جبنا كبيرا، وقد جدنا القرآن الكريم (يرسم لهذا الجبن مشهدا ويجسمه في حركة؛ حركة النفس والقلب، يبرزها في حركة جسد وعيان: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ فهم متطلعون أبدا إلى مخبأ يهتمون به ويأمنون فيه: حصنا أو مغارة أو نفقا.. إنهم مدعورون مطاردون، يطاردهم الفرع الداخلي والجبن الروحي، ومن هنا: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنَّكُمْ﴾ بكل أدوات التوكيد، ليداروا ما في نفوسهم، وليتقوا انكشاف طويتهم، وليأمنوا على ذواتهم<sup>(3)</sup>.

وطبيعي جدا أن يتولد من هذا الخوف الداخلي القائم على التركيب النفسي لشخصية المنافقين قلق نفسي دائم لا يكاد يفارقهم، وقد ترجم القرآن الكريم هذا القلق النفسي بأسلوب بياني عجيب في حالة من حالات الخوف التي يخشاها المنافقون: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>(4)</sup>.

إنه الجهاد الذي يخشاه المنافقون أشد خشية، قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين<sup>(5)</sup>، لأن الجهاد عندهم موت مجهز في سبيل مبدأ لا يؤمنون به، وهم إنما حبسهم على الإسلام مغنم أرادوه خالصا من كل مغرم.

وفي الإسلام أحكام كثيرة تنزل بها القرآن الكريم تعامل معها المنافقون بهذا المنطق: فالصلاة التي تجمع المسلمين خمس مرات في اليوم والليله وجدوا في مراعاة الناس بها لذة

(1) سورة التوبة، الآية: 56.

(2) سورة التوبة، الآية: 57.

(3) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3/1666).

(4) سورة محمد، الآية: 20.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (16/222).

تحفف عنهم بعض مشاقها، وإذا جاؤوها لم يحملوا أنفسهم عبء عزيمتها: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾<sup>(1)</sup> وحتى لو ألزموا أنفسهم بها كاملة غير منقوصة، فإن أقصى ما تكلفهم به جهد لا مانع من أن يتحملوا تبعاته للحظات يعلمون أنها ستنتهي بعد حين..

والزكاة كان هدي النبي ﷺ فيها أن (يبعث المصدقين وهم السعاة فيقبضون الواجب)<sup>(2)</sup> فلم يكن لهم من حيلة حينئذ في ردهم أو التماطل عنهم، ولعل متنفسهم في ذلك أن أولئك السعاة لم يثبت عنهم (أنهم استكروها أحدا على صدقة الصامت ولا طالبوه بها، إلا أن يأتي بها طوعا)<sup>(3)</sup>، وإذا حدث أن أنفقوا فإنهم ﴿لَا يُتَفَقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾<sup>(4)</sup> ما داموا لا يستطيعون رد السعاة، ومن أنفق منهم فإنه ﴿يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾<sup>(5)</sup> يلزم نفسه بالصبر عليه.

وسائر الأحكام بعد ذلك - عدا الصلاة والزكاة - تبقى عبادات بين العبد وربيه لا تكلفهم في الغالب عناء النفاق ولا مشقة التظاهر، ولا توجههم إلى معاذير أو تعلات.

أما إذا تعلق الأمر بنزول آيات محكمات تستنفر المسلمين إلى القتال، فقد تغيرت الأوضاع وشعروا أن الأرض زلزلت زلزالها من تحت أقدامهم، ولئن خفف عنهم الرياء في الصلاة بعض مشاقها وصبروا للذة وجدوها فيه وهم يشهدونها على مرأى من الناس، فلا لذة في رياء يسوقهم إلى حتفهم، ولئن قاموا إلى الصلاة كسالى ينقرونها نقرأ يتخلصون به منها، فإن الخروج إلى القتال سواء أكان في كامل النشاط أو كسلا فإنه يفضي إلى نتيجة واحدة هي موت يحوم فوق رؤوسهم ويحقد بهم من كل جانب.

ينضاف إلى هذا أن اختلاق المعاذير في كل مرة فيه من الحرج ما لا يخفى، وأشد منه التخلف عن الجيش بغير عذر، لذلك يبقى الحديث عن الجهاد مأزقا حقيقيا، كلما نزلت في شأنه آيات صعقت نفوس المنافقين وأصيبت بذعر شديد: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذُكِّرَ فِيهَا

(1) سورة النساء، الآية: 142.

(2) الخلى بالآثار، لأبي محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1421هـ-2001م، (4/210).

(3) المغني، لابن قدامة المقدسي، بيت الأفكار الدولية، بيروت لبنان، 2004م، (573/1).

(4) سورة التوبة، الآية: 54.

(5) سورة التوبة، الآية: 98.

الْقِتَالُ مَرَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ<sup>(1)</sup> أي (نظر مغموصين معتاضين بتحديد وتحديق، كمن يشخص بصره عند الموت، وذلك لجنبهم عن القتال جزعا وهلعا)<sup>(2)</sup>.

إن تعبير الآية ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةً﴾ يوحي إلى نزول متكرر، وهو ما نلمسه حقيقة في استعراض القرآن الكريم وهو يتحدث في كثير من فصوله عن الجهاد، ومعنى ذلك أننا أمام قلق نفسي للمنافقين متكرر بتكرر نزول آيات الجهاد، بل إننا أمام قلق نفسي دائم لهم يصاحب كل نزول يخشون أن تنزل فيه آية تدعو إلى الجهاد.

إن هذه الحالة من القلق النفسي صورها لهم القرآن وقت نزول آيات الجهاد، وهي ذات الحال التي صورها لهم إذا تجمعت جموع المقاتلين وتقابلت: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مَرَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>(3)</sup> أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت، وهو الذي دنا موته وغشيته أسبابه فإنه يخاف ويذهل عقله ويشخص بصره فلا يطرف<sup>(4)</sup>، وما ذلك إلا لأن المنافقين (قوم جنباء جنبنا عظيما، وحريصون على الحياة حرصا شديدا، لأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر، فهم إذا جاءت الأسباب المخيفة من الموت أثارت خوفهم الشديد وذعرهم البالغ مداه، وظنوا أن الموت نازل بهم لا محالة، فأخذت سحابات من الوهم تشبه غشاوات الموت تجلجل نفوسهم، فيكون من مظاهرها أن يصابوا بالوجوم والسكون الآخذ بهم إلى الغيبوبة، فتراهم ينظرون إليك)<sup>(5)</sup> كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولوذا بك<sup>(6)</sup>.

وقد يجد بعض المنافقين أثناء الجهاد فرصة للتسلل فلا يفوتونها، وليس هذا الذي يعيننا، إنما يعيننا منه الحالة النفسية التي يكونون عليها وهم يتسللون من ساح المعركة وقد وجدوا إلى

(1) سورة محمد، الآية: 20.

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (222/16).

(3) سورة الأحزاب، الآية: 19.

(4) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (197/6).

(5) ظاهرة النفاق، لحنكة الميداني، (405/1).

(6) انظر: الكشف، للزمخشري، (ص851).



ذلك سبيلا: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا﴾<sup>(1)</sup>.

لا شك أن الفرد في المعسكر لا يمكن أن يكون إلا في أخلاط من أفراد الجيش وقلما يكون منعزلا عنهم، فإذا أراد الانسحاب والفرار من القتال فلا بد من خطوات يتلو بعضها بعضها: إذا استقر تنفيذ فكرة الانسحاب أمام هذه الجموع خفق لها القلب خفقانا يقوى كلما كانت فرص الانسحاب قائمة، ويظل يلتفت ذات اليمين وذات الشمال يراقب أعين الناس وحركاتهم، ويختلس بين الحين والآخر غفلتهم وانشغالهم، ثم يأخذ في الانسحاب رويدا رويدا إلى أطراف المعسكر يتخفى ويتستر بأي شيء يجده أمامه.. إلى أن يتمكن من الانسحاب ثم الفرار، والغالب أن مرحلة الفرار هذه تأخذ من صاحبها وقتا طويلا لما يجده أمامه من عقبات في أشخاص يحسبهم جميعا ليس لهم من شغل إلا مراقبته، وحتى بعد أن يفر ويتوارى عن أعين الناس يظل يلتفت وراءه يتلمس هل يراه من أحد.

لنتصور الحالة النفسية التي يكون عليها أفراد هذا ديدنهم.. ولئن علمنا أن مناسبات القتال في المرحلة المدنية كانت كثيرة فإن هذا يعني أن حالة القلق كانت سمة غالبية على نفسية المنافقين:

- إما آيات تنزل فيها ذكر القتال، وحينئذ ترى ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ

عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>(2)</sup>

- وإما أن يؤذن في الناس مؤذن الجهاد، وتراهم أيضا ﴿يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدْوِيرًا أَغْيَبُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ

عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>(3)</sup>.

- وإما فرار من المعركة وانسحاب فإذا هم ﴿يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا﴾، واللواذ من الملاوذة، وهي

أن تستتر بشيء مخافة من يراك، وكانوا ههنا يستتر بعضهم ببعض<sup>(4)</sup>.

وفي كل هذا حالات من الخوف الدائم تفضي إلى القلق النفسي الدائم.

### 3- الحذر من نزول قرآن يفضح: لقد أصبح هذا الحذر ملازما للمنافقين عند سماعهم

(1) سورة النور، الآية: 63.

(2) سورة محمد، الآية: 20.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 19.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (12/299)؛ الكشاف، للزمخشري، (ص738).

النبي ﷺ وهو يتلو على المسلمين قرآنا حديث عهد بالنزول يقرؤه عليهم لأول مرة، وقد جربوا من قبل أن نزلت آيات هتكت الستر الذي ظنوه كثيفا وهم متأكدون أن ما دار بينهم من حديث لم يطلع عليه أحد ممن لم يكن على شاكلتهم، لأجل ذلك كانت هذه النقطة - أعني نزول القرآن وتلاوته لأول مرة - مصدر إزعاج كبير وقلق نفسي بالغ الأثر في نفسية المنافقين.

ولما كانت فترات نزول القرآن متلاحقة لا يكاد ينفصل بعضها عن بعض، كان الحذر قائما في كل نزول أو تلاوة، ومن ثم كان القلق الداخلي الصفة التي طبعت نفسية المنافقين فجعلتهم يعيشون في اضطراب دائم وخوف مستمر: ﴿يُحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(1)</sup>، وما ذاك إلا لأنهم كانوا شاكين في صحة نبوة محمد ﷺ ولم يكونوا قاطعين بفسادها، والشاك مترقب خائف، ولهذا ظلوا خائفين من أن ينزل على النبي ﷺ في أمرهم ما يفضحهم، سيما وأنهم شاهدوا من قبل أن الرسول كان يخبرهم بما يضمرونه ويكتمونه مما لم يطلع عليه أحد غيرهم، وعاشوا ذلك الفضح مرات ومرات.. فلهذه التجربة وقع الحذر والخوف في قلوبهم، لا يدرون أيصدقون معها نبوته، أم يحتملون نقل الخبر إليه وهم متأكدون استحالتة؟!<sup>(2)</sup>.

إنهم يعلمون عن أنفسهم أنهم إذا خلا بعضهم إلى بعض أو خلوا إلى شياطينهم استهزؤوا وتنفسوا، ويعلمون عن أنفسهم أنهم إذا خرجوا من عند النبي ﷺ بيتوا غير الذي يقولون له مما لا يرضى من القول، وكانوا يعلمون أن لكلامهم ذاك وقعا شديدا لو علمه عنهم النبي ﷺ أو أحد من المسلمين.. لذلك كانوا حريصين كل الحرص على أن لا يتنفسوا به إلا وهم في مأمن من أن يطلع عليهم أحد: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾<sup>(3)</sup>.

ومع ذلك يجدون أنفسهم بين الحين والآخر في مواجهة آيات حفرت<sup>(4)</sup> ما في قلوبهم فأظهرته، فإذا هو عورة قد هتكت أstarها وتكشفت.

لذلك صاروا يخشون كل نزول للقرآن، وصار أي نزول للقرآن مصدرا لقلقهم الدائم،

(1) سورة التوبة، الآية: 64.

(2) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (97/16).

(3) سورة النساء، الآية: 108.

(4) قال الحسن: كان المسلمون يسمون سورة التوبة الحفارة لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته.

انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (121/8).

خشية أن يكون حديثا عنهم يفضحهم، أو أن يكون في ثناياه ما يشير إليهم بأصابع توجه أنظار المسلمين إليهم: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(1)</sup>.

إن المنافقين عاشوا في حذر دائم وقلق مستمر يخشون نزول مثل تلك السور أو آيات منها، فإذا نزلت حقا في شأنهم: ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾<sup>(2)</sup> أي (إذا حضروا الرسول وهو يتلو قرآنا أنزل فيه فضيحتهم أو فضيحة أحدهم جعل ينظر بعضهم إلى بعض نظر الرعب على جهة التقرير، يقول: هل يراكم من أحد إذا تكلمتم بهذا فينقله إلى محمد)<sup>(3)</sup> ويكون جوابهم حتما بالنفي، ويعني ذلك أن مصدر القلق يبقى قائما ما داموا غير قادرين على كتم أنفاسهم، وما دام الاحتياط لا معنى له، وما دامت الآيات تنزل بين الحين والآخر تشير إليهم أو تفضحهم، وهم لا يعلمون -تحديدا- متى تنزل؟ وهل الذي يتنزل الآن يعينهم أو لا يعينهم؟ وإذا عناهم فمن منهم يا ترى يكون موضوع حديثه؟! لذلك وجدناهم يعيشون قلقا نفسيا دائما لا ينفك عنهم ولا يفارقهم ولا تهدأ أنفسهم أبدا عن التوجس والترقب وتتبع نظرات الناس والبحث عن فرص الانسلاخ والهروب ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾<sup>(4)</sup>.

#### 4-التريص بالمسلمين: إن التريص بالمسلمين مسألة نابعة من الإطار الفكري الذي يتحرك فيه

المنافقون، إذ الحقيقة التي كشفها عنهم القرآن الكريم أنهم جاحدون كافرون بالإسلام:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(5)</sup>

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(6)</sup>

﴿هُمُ الْكُفْرِيُّونَ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾<sup>(7)</sup>

(1) سورة التوبة، الآية: 64.

(2) سورة التوبة، الآية: 127.

(3) انظر: ص 89.

(4) سورة التوبة، الآية: 127.

(5) سورة البقرة، الآية: 08.

(6) سورة البقرة، الآية: 16.

(7) سورة آل عمران، الآية: 167.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

ولكنهم لجنهم لم يكن بمقدورهم أن يصدعوا بهذه الحقيقة كما صدع بها الكفار وقد أعلنوها كفرا صريحا من غير التواء، وفي الوقت ذاته ظنوا في أنفسهم فطنة وذكاء أرادوا بهما ألا يفوتوا مصلحة ترجى في الإسلام وقد كشفت غزوة بدر أنه «أمر قد توجه»<sup>(2)</sup>، وإن هذا المعنى يقودني إلى تقرير حقيقتين اثنتين:

- ليس لهم من ارتباط بالإسلام سوى أنه التزام ظاهري حبسهم عليه ما يرجونه فيه من مغام.

- حقيقة مشاعرهم متجهة نحو الكافرين، فهم يتمنون في قرارة أنفسهم وفيما يجري بينهم من حديث لو أن الكافرين دمغوا المسلمين فإذا هم زهق، فأزاحوا عنهم بذلك كابوسا يجثم على صدورهم لا يستطيعون أن يردوه ولا أن يواجهوه.

إن هذه المعاني عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ﴾<sup>(3)</sup> ولئن كان أصل التربص الانتظار عموما، يقال تربص به: انتظر به خيرا أو شرا<sup>(4)</sup> إلا أنه منصرف ههنا لانتظار الشر خصوصا، قال الإمام القرطبي: (أي ينتظرون بكم الدوائر)<sup>(5)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير: (يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء، بمعنى ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفر عليهم وذهاب ملتهم)<sup>(6)</sup>.

ولا يقابل هذا بما ورد صريحا في منافقي الأعراب: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرِ﴾<sup>(7)</sup> فإن في الآية ذاتها ما يصرف المعنى إلى تربص الشر خصوصا: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا الْمَنَکُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ

(1) سورة المنافقون، الآية: 03.

(2) طرف من حديث سبق تخريجه ص124.

(3) سورة النساء، الآية: 141.

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص192)؛ لسان العرب، لابن منظور، (7/39).

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (5/357).

(6) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص543).

(7) سورة التوبة، الآية: 98.

قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(1)</sup>.

ولو قوبلت هذه الآية بآية قبلها من نفس السورة: ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ \* وَلَكِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا<sup>(2)</sup> أقول: لو قوبلت هذه بتلك لبدا الفرق واضحا جليا.

إن الآية الأخيرة تحدد للمنافقين ابتغاءهم الغنيمة خالصة من كل مغرم وهو ما حبسهم على الإسلام عموما، ولكن الآية التي سبقتها تقر هذا المعنى وتضيف معنى آخر جديدا هو تربص نهاية المسلمين أو هزيمتهم، وما ذاك إلا (لميلهم في السر إلى الكفار)<sup>(3)</sup>، وتلك حقيقتهم التي يحاولون إخفاءها عن المسلمين.

ووجه دلالة ذلك أنه كان يكفيهم أن يقولوا -عند انهزام المسلمين- ما حكته الآية التي سبقت عن الواحد منهم: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾..

ولكنهم قالوا للكفار وقد كشفوا بذلك عن حقيقتهم وعبروا في وضوح كامل عن خلجات أنفسهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم لا يريدون بذلك غنيمة من الكفار كالتى ينتظرونها من المؤمنين وهم يقولون: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾<sup>(4)</sup> أي (اعطونا من الغنيمة)<sup>(5)</sup> التي غنمتم.

وتقرير هذا المعنى يحيلنا إلى الحالة النفسية التي يكون عليها المنافقون، ولا شك أنها حالة نفسية متسمة بالقلق والاضطراب الدائمين اللذين لا يكادان يفارقانهم، لأن:

- لأصحابها التزاما -ولو ظاهريا وشكليًا- مع المسلمين وهم له كارهون، ويتمنون في كل حين عاملا خارجيا -لجنبهم عن المواجهة والجهر بالحقيقة- يزيح عنهم هذا العناء النفسي الذي نتج عن التربص والانتظار.

-فرص قضاء المشركين على المسلمين كانت قائمة ولم تنقطع، فغزوة أحد حطمت -في

(1) سورة النساء، الآية: 141.

(2) سورة النساء، الآيتان: 72-73.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (16/223).

(4) سورة النساء، الآية: 141.

(5) المصدر نفسه، (5/358).

نظرهم - المبدأ الذي صنعتها غزوة بدر<sup>(1)</sup>، وكانت الدلائل كلها تشير إلى أن غزوة الأحزاب كانت الغزوة التي ستتأصل شأفة المسلمين، ورأى كثير منهم أن خروجه ﷺ إلى مكة عام الحديبية لن يتبعه رجوع إلى المدينة وأن قريشا ستييده هو وأصحابه، وكيف له أن يتجاسر عليها في حماها وقد نالت منه في عقر داره، وكانت خاتمتها غزوة تبوك التي رأوا فيها أن جرأة النبي ﷺ بلغت مداها وغايتها، فلقد قال قائلهم: (والله لكأني بكم غدا مقرنين في الجبال)<sup>(2)</sup> وقال آخر (لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير)<sup>(3)</sup>.

ومعنى هذا أن الأمل في انهزام المسلمين لم ينقطع، بل إن كثيرا من تلك المناسبات كان يوحى إليهم بقرب نهاية الإسلام والمسلمين، فكان الأمل القائم مصدر التربص والانتظار، ومنهما تولد القلق الدائم الذي طبع نفسيتهم المتربصة.. ولئن لم تكن أسباب نهاية المسلمين قائمة، فإن التربص القائم فيهم يتحول من هذا الشعور إلى شعور آخر نقيض له هو انتظار النصر الذي يجر للمسلمين من الغنائم ما يرجون أن يغنموه معهم: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾<sup>(4)</sup>.

قال القرطبي: (والمراد بالحسنين الغنيمة والشهادة؛ عن ابن عباس ومجاهد<sup>(5)</sup> وغيرهما)<sup>(6)</sup>

(1) أعني المبدأ الذي قرره القرآن: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سورة البقرة، الآية: 249.

(2) تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، (184/2).

(3) لباب النقول، للسيوطي، (ص143)

(4) سورة التوبة، الآية: 52.

(5) هو العالم الحبر شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج مجاهد بن جبر مولى عبد الله بن السائب القارئ المخزومي، كان فقيها عالما ثقة كثير الحديث متقنا وكان عابدا ورعا، وكان أحد أوعية العلم وأحد الأعلام الأثبات، أجمعت الأمة على إمامته. ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. أخذ القرآن والتفسير والفقهاء عن ابن عباس وعرض عليه القرآن ثلاثين عرضة يقف على كل آية، وأخذ عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أبو هريرة وعائشة وابن عمر.. توفي بمكة (سنة 102هـ) أو (103هـ) وهو ساجد عن ثلاث وثمانين سنة.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (466/5-467)؛ الثقات، لابن حبان، (419/5)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (319/3-355)؛ صفة الصفوة، لابن الجوزي، (1/457-459)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (377/5-382)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (8/48-50)؛ لسان الميزان، لابن حجر، (7/355)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص42-43)؛ طبقات المفسرين، للأندلسي، (ص11).

(6) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/89).

أي هل تتربصون بنا إلا شهادة تفرحون فيها لموتنا أو غنيمة تغنمونها معنا، ويعني ذلك أن التربص يبقى قائما في كلتا الحالتين - وإن اختلفت أسبابه ودواعيه - ويبقى القلق النفسي بعد ذلك الصفة التي لا تفارقهم ولا تنفك عنهم، ما دامت فرص الإجهاز على المسلمين أو الفرص التي تأتي بالغنائم قائمة لا تنقطع، وتمني ذلك كفيل لأن يسيطر على مشاعر النفس فتتعلق الآمال كلها بانتظار ذلك اليوم، ويتحول الانتظار إلى تخوف يخشون معه أن تتبخر تلك الآمال، ويتحول التخوف - حينئذ - إلى قلق دائم يطبع شخصية المنافقين، وقريب من هذا التخوف خوف أبداه كبير المنافقين وزعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول يوم أن نقض بنو قينقاع العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ فحاصروهم حتى نزلوا على حكمه، وهنا بعج ابن أبي الخوف القائم في نفسه فقيأه حقيقته القلقة المضطربة: ﴿قَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (1).

فالخوف من استدارة الزمان وتقلباته، والخوف من انتقال موازين القوى من المسلمين إلى غيرهم من مشركي العرب أو اليهود، ومن ثم السعي إلى تأمين المستقبل تأمينا يضمن المصلحة الدائمة بمد الجسور مع كل الجهات - علنا أو خفية أو نفاقا، حسبما يقتضيه المقام - كل ذلك تخوف من شأنه أن يطبع نفسية المنافقين بالقلق الدائم.

### ثانيا: حب إشاعة الفتنة

يبدو حب الفتنة عند المنافقين أمرا صنعته النفسية المريضة التي حملتهم - أصلا - على سلوك سبيل النفاق:

- فإعلان الإسلام إنما هو لعبة استهزاء بالمسلمين وتغريب بهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (2).

- والمسلمون الذين ألزموا أنفسهم بدينهم وتظاهروا لهم بما يقومون به إنما هم سفهاء ﴿أَنُؤْمِنُ

كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ (3).

- وموقفهم من هؤلاء المسلمين أجلاه القرآن بوضوح كامل: تربص نهايتهم على أيدي

المشركين، أو تربص غنيمة يغنمونها معهم في نصر لا يفرحون به: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِيَّانَا

(1) سورة المائدة، الآية: 52.

(2) سورة البقرة، الآية: 14.

(3) سورة البقرة، الآية: 13.

إِخْدَى الْحُسَيْنِ ﴿١﴾.

- وولاؤهم للكفار قائم لم ينقطع أبدا: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (2)

ومن ثم كان حب الفتنة للمسلمين والسعي لبثها في صفوفهم سلوكهم الذي كانوا يجدون فيه متنفسا من الكبت الذي ضاقت صدورهم بحمله، وكانت مناسبات الجهاد الفرص الأكثر ملاءمة لبث هذه الفتنة، لأن المنافقين قوم جنباء فطرة وخلقه، والجهاد طرق لأبواب الموت.. وإذا عدموا أعدارا يتحججون بها للعودة خلاف رسول الله ﷺ خرجوا وهم كارهون، ولا تواتيهم - حينئذ - فرصة من فرص الإرجاف أو التثبيط أو زرع الفتنة في صفوف المسلمين إلا اهتبلوها: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ (3) والخبال: الشر والفساد في كل شيء والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف.. ﴿وَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: لأسرعوا فيما بينكم بالنمائم والإفساد، والإيضاع سرعة السير (4).

قال الحافظ ابن كثير: (قال محمد بن إسحاق: كان فيما بلغني من استأذن من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي بن سلول والجد بن قيس، وكانوا أشرفا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم) (5).

**1- فقد خرجوا يوم أحد وهم لا يريدون إلا فتنة المسلمين، إذ كان لانسحابهم الأثر الذي ذكره القرآن الكريم: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَا﴾ (6).**

**2- وكانت غزوة الأحزاب فرصة لهم أطلقوا فيها ما شاءوا من فتنة:**

(1) سورة التوبة، الآية: 52.

(2) سورة البقرة، الآية: 14.

(3) سورة التوبة، الآية: 47.

(4) يقال: وضعت الدابة تضع في سيرها أسرع، وأوضعتها حملتها على الإسراع، والوضع في السير استعارة. انظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص187)؛ الكشاف، للزحشري، (ص436)؛ المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص541)؛ التفسير الكبير، للرازي، (16/65-66)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/86).

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص885).

(6) سورة آل عمران، الآية: 122.



﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَمَسْئُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(1)</sup>

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾<sup>(2)</sup>

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِمَّنْ كُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(3)</sup>

**3-** وكانت غزوة بني المصطلق مناسبة أطلق فيها المنافقون ما شاءوا من فتنة وإرجاف:

أ- وصف النبي ﷺ بأنه "الأذل": ﴿يَقُولُونَ لِنَنْ مَّرْجَعًا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيْخْرًا حِنَّ الْأَعْرُ مِمَّهَا الْأَذْلُ﴾<sup>(4)</sup>.

ب- الدعوة إلى الإمساك عن الإنفاق على أصحاب النبي ﷺ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ

رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾<sup>(5)</sup>.

ج- حادثة الإفك التي طعن فيها عرض النبي ﷺ بقذف زوجته الطاهرة<sup>(6)</sup>.

وقد أشار إلى هذه المعاني -ومعانٍ أخرى غير هذه- قوله تعالى بمناسبة غزوة تبوك آخر غزوة

غزاها النبي ﷺ، وقد كان للمنافقين فيها نشاط كبير في الفتنة والإرجاف: ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا

لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ﴾<sup>(7)</sup>.

إن ابتغاء المنافقين الفتنة وسعيهم بها في صفوف المسلمين كلما وجدوا مدخلا أو منفذا

ليس أمرا جديدا، فلقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في الكيد للنبي ﷺ والكيد لأصحابه وخذلانه

وخذلان دينه مدة طويلة وذلك أول مقدم النبي ﷺ المدينة<sup>(8)</sup>، ولم تمر مناسبة إلا وأعلموا فيها سهام

ضغائنهم وأضرموا نيران أحقادهم، وتلك طبيعة لم تنفك عنهم أبدا: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ

وَهُم كَارِهُونَ﴾<sup>(9)</sup>.

(1) سورة الأحزاب، الآية: 12.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 13.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 18.

(4) سورة المنافقون، الآية: 08.

(5) سورة المنافقون، الآية: 07.

(6) انظر: ص 65 وما بعدها.

(7) سورة التوبة، الآية: 48.

(8) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 885).

(9) سورة التوبة، الآية: 48.

### -ثالثا: ادعاء الفطنة واستغفال الغير-

لا أحسبني أجنب الصواب إن قلت إن من أكبر العوامل المساعدة على سلوك سبيل النفاق عند المنافقين اعتقادهم القدرة في أنفسهم على إخفاء حقيقتهم الكاذبة عن الناس أو عن بعضهم، والقدرة على امتلاك حيل المصانعة والتظاهر بما يتلاءم مع حقيقة الإعلان الذي أطلقوه، والقدرة الكاملة على التلون بحسب ما تقتضيه الظروف والأحوال: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

إن (المخادعة هي إظهار ما يوهم الصدق والسلامة والسداد وإبطان ما فيه خلاف ذلك، والمخادعة تتضمن استغفال من يراد خدعه لإيقاعه فيما يكره بأن يظهر المخادع له ما يجب ويخفي عنه ما يكره تغيرا به، وأصل مادة "خدع" فيها معنى الاستخفاء والتواري، ومنها المخدع. وفعل "يخدع" بهذه الصيغة يدل في الأصل على المشاركة، ويدل أيضا على المبالغة والاجتهاد الزائد في العمل ولو كان من طرف واحد، لأن من يغالب غيره في عمل ما يبالغ من طرفه ببذل غاية الجهد الذي يستطيع بذله، والمنافقون يبالغون جدا في استخدام الخداع، ويمعنون فيه ببذل غاية جهدهم حتى كأنهم في معركة مخادعة بينهم وبين المؤمنين، ويدل الفعل المضارع في ﴿يَخَادِعُونَ﴾ على تجديد الخدع وتكريره مع مرور الزمن، وهو ما يحتاج إليه المنافقون باستمرار)<sup>(2)</sup>.

ولكي ينجحوا في هذا الخداع الذي يمارسونه مع النبي ﷺ وأصحابه كانوا يسلكون شتى السبل والأساليب:

#### 1-المبادرة إلى إعلان الإيمان:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾<sup>(3)</sup>

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾<sup>(4)</sup>

وتتحدث الآية الأولى عن عرب المدينة من الأوس والخزرج، وتتحدث الثانية عن

(1) سورة البقرة، الآية: 09.

(2) ظاهرة النفاق، لحبنة الميداني، (1/157-158).

(3) سورة البقرة، الآية: 14.

(4) سورة البقرة، الآية: 76.

منافقي اليهود.. ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>.

## 2- تزيين القول وحسن الإبانة:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾<sup>(2)</sup>، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾<sup>(3)</sup>

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: كان عبد الله بن أبي وسيما جسيما صحيحا صبيحا ذلق<sup>(4)</sup> اللسان، فإن قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم مقالته. وصفه الله بتمام الصورة وحسن الإبانة<sup>(5)</sup>.

إن المنافقين يعلمون عن أنفسهم أنهم عدموا فصاحة القلوب، وأن ليس لهم من صدق الأفعال ما تقوم به الحجة على صدق إيمانهم الذي ادعوه، فلم يبق لهم حينئذ إلا فصاحة لسان يخادعون بها الناس ويوارون بها نفاقهم، وللصراحة أثر لا يخفى في شد الناس وتوجيههم، فإذا جمع الرجل بين النفاق والفصاحة كان ذلك من أعظم ما تخوفه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخوف ما أخاف على أمي كل منافق عليم اللسان»<sup>(6)</sup>

## 3- التستر وراء الأيمان الكاذبة:

وتجدهم يلجؤون إلى الحلف بالله كلما فلتت منهم أفعال يدركون أنها تناقض حقيقة الادعاء الذي أعلنوه، وليس لهم فيها من مبرر أمام النبي صلى الله عليه وسلم سوى أن يخلفوا ليدفعوا عن أنفسهم الشك الذي يحوم حولهم، قال قتادة: كلما ظهر منهم شيء يعلمون أنه يوجب مؤاخذتهم حلفوا كاذبين عصمة لأموالهم ودمائهم<sup>(7)</sup>.. أو تجدهم يلجؤون إلى الحلف كلما لم تقو

(1) سورة المنافقون، الآية: 01.

(2) سورة البقرة، الآية: 204.

(3) سورة المنافقون، الآية: 04.

(4) ذلق أي بليغ فصيح، ويقال للسنان إذا حدد حتى يصير ماضيا نافذا مذلقا. انظر: القاموس المحيط، للفيروزبادي، (ص796)؛ الفائق، للزمخشري، (13/2).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (115/18).

(6) أخرجه أحمد [كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة/باب أول مسند عمر بن الخطاب]، (22/1)، رقم 143؛ (44/1)، رقم 310.

وأخرجه ابن حبان [كتاب الاعتصام بالسنة/باب ذكر ما يتخوف على أمته جدال المنافق]، (281/1)، رقم 80. وأخرجه البزار، (13/9)، رقم 3514.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (237/18)، رقم 593.

(7) انظر: روح المعاني، للألوسي، (161/15).

عزائمهم الضعيفة على تحمل ما يجهدهم أو تحمل ما لا تطاوعهم فيه أنفسهم المريضة:  
﴿وَسِيخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾<sup>(1)</sup> ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾<sup>(2)</sup>  
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَنِ أَمَرْتَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ﴾<sup>(3)</sup>.

وقد يلجؤون إلى هذا الحلف بغير مناسبة في أحيان أخرى يريدون أن يبادروا بذلك إلى دفع كل شبهة أو تهمة يعلمون أن لها في أقوالهم وأفعالهم ما يبرر قيامها، وما ذاك إلا لأنهم جمعوا في حياتهم بين المتناقضات فوقعوا في صراع مستمر مع أنفسهم مما جعلهم يضعون أنفسهم دائما في موضع التهمة، ومن ثم يحاولون تبرئتها من هذه التهمة، وقد بما قالوا: يكاد المرئيب يقول خذوني<sup>(4)</sup>:

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمَتَكُمْ﴾<sup>(5)</sup>  
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(6)</sup>  
﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَابَ﴾<sup>(7)</sup>

وكما كانوا يخلفون للمؤمنين في هذه الدنيا يغالطونهم، كذلك سيفعلون مع الله يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾<sup>(8)</sup>؛ فقد ظنوا أن حيلهم انطلت على المؤمنين بما قدموه لهم من أيمان كاذبة، وكذلك ظنوا أنهم قادرون على مغالطة رب العالمين يوم القيامة فشرعوا يخلفون له كما كانوا يخلفون في هذه الحياة، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»<sup>(9)</sup> فمن مات على النفاق والمخادعة بعث عليهما.

(1) سورة التوبة، الآية: 42.

(2) سورة التوبة، الآية: 62.

(3) سورة النور، الآية: 53.

(4) انظر: دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة، للدكتور عادل بن علي الشدي، دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م، (ص95).

(5) سورة التوبة، الآية: 56.

(6) سورة التوبة، الآية: 75.

(7) سورة الأحزاب: الآية 15.

(8) سورة المجادلة، الآية: 18.

(9) أخرجه مسلم [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت]، (4/2206)، رقم2878.

#### 4- إظهار الحرص على المصلحة العامة:

وذلك أن في هذا الإظهار تغطية للبواطن الحقيقية ومدعاة إلى التصديق وترجمة للنوايا الطيبة التي يحرصون على أن يعرفوا بها فيدفعوا بها ما يخشون أن يظهر: ﴿وَكَيْخَلْفِنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا الْحُسْنَىٰ﴾<sup>(1)</sup>.

ولئن نزلت الآية في قصة مسجد الضرار، إلا أن معناها صالح لأن يكون توجهها عاما لدى المنافقين يحاولون به أن يوهمو النبي ﷺ والذين آمنوا ويخادعوه.

#### 5- شهود بعض صلوات الجماعة:

لا شك أن المنافقين حينما يشهدون بعض الصلوات في المسجد إنما يشهدونها مخادعة ليراهم الناس، ولا شك أنهم إذا شهدوها لا يقبلون لأنفسهم أن ينزروا في مكان لا يراهم فيه أحد، وهم يحسبون أن حضورهم هذا كاف لأن يوهم المسلمين بصدق إيمانهم ويخدعهم: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾<sup>(2)</sup>.

#### خلاصة واستنتاج:

ويبدو من خلال الدراسة والتحليل أن هذه السبل والأساليب التي يسلكها المنافقون لإيهام المسلمين وخداعهم، أقول: يبدو أن هناك جملة من المعطيات النفسية تكتنفها وتحيط بها تقف لنا على خيوط من نسيج شخصية المنافقين أخصها في النقاط الآتية:

أ- إن المنافقين وهم يسلكون تلك السبل والأساليب يزعمون لأنفسهم الفطنة والذكاء، فهم يرون في أنفسهم القدرة على:

✳- إخفاء الحقيقة الكامنة في أعماقهم عن الذين يخادعونهم.

✳- التصنع الكامل للذين يخادعونهم بما يتفق لهم مع حقيقة الادعاء الذي ادعوه لهم.

✳- امتلاك أدوات الإقناع التي يبددون بها شكوك الذين يخادعونهم.

ب- وهم في الوقت ذاته يزعمون -بتلك السبل والأساليب- أن هؤلاء الذين يخادعونهم قليلو الفطنة ناقصو الذكاء، وإلا لما انطلت عليهم حيلهم ومعاذيرهم ولما انخدعوا لهم، وذلك ظنهم الذي ظنوه وقد رأوا المسلمين سكتوا وأعرضوا عنهم يحسبون أنهم حقا خدعوه.

(1) سورة التوبة، الآية: 107.

(2) سورة النساء، الآية: 142.

وأحسب أن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(1)</sup> يوحى إلى هذه المعاني ويترجم لها، فهم حينما أحسوا في أنفسهم أنهم أحسنوا فن تمثيل الإيمان الحقيقي وأن الذين آمنوا انخدعوا - كما بدا لهم - بما رأوه منهم خشوا أن يحسب شياطينهم أنهم حقا آمنوا وتنكروا لهم فبادروا إليهم يقولون: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(2)</sup>. وقد بلغ استغفال الغير مداه لدى المنافقين حينما وصفوا به النبي ﷺ وظنوا في قوله - ظاهرا - معاذيرهم وتصديقه لما يقولون غفلة تنطلي بها عليه حيلهم وادعاءاتهم: ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَعْمَىٰ﴾<sup>(3)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى: ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام فيه ويقولون ﴿هُوَ أَعْمَىٰ﴾ أي: من قال له شيئا صدقه، ومن حدثه فينا صدقه، فإذا جئنا وحلفنا له صدقنا. روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة)<sup>(4)</sup>.

وقال الإمام القرطبي: (بين تعالى أن في المنافقين من كان يبسط لسانه بالوقعة في أذية النبي ﷺ ويقول: إن عاتبي حلفت له بأبي ما قلت هذا فيقبله؛ فإنه أذن سامعة. قال الجوهري: يقال رجل أذن إذا كان يسمع مقال كل أحد)<sup>(5)</sup>.

هكذا يقولون عن النبي ﷺ: (سماع لكل قول، يجوز عليه الكذب والخداع والبراعة، ولا يفتن إلى غش القول وزوره، من حلف له صدقه، ومن دس عليه قولاً قبله.. يقولون هذا بعضهم لبعض تطمينا لأنفسهم أن يكشف النبي ﷺ حقيقة أمرهم أو يفتن إلى نفاقهم، أو يقولونه طعنا على النبي في تصديقه للمؤمنين الخالص الذين ينقلون له ما يطلعون عليه من شؤون المنافقين وأعمالهم وأقوالهم عن الرسول وعن المسلمين. وقد وردت الروايات بهذا وذاك

(1) سورة البقرة، الآية: 14.

(2) سورة البقرة، الآية: 14.

(3) سورة التوبة، الآية: 61.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 889).

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (118/8).

في سبب نزول الآية، وكلامها يدخل في عمومها، وكلاهما يقع من المنافقين<sup>(1)</sup> وكلاهما يعني عندهم أن في النبي ﷺ غفلة إن استغلها أصحابه في تصديق ما ينقلونه إليه من أخبارهم وأقوالهم وما يحكيونه بعيدا عنه، كان لهم منها أيضا ما يضمنون به تصديقه لهم فيما يخلفون أو يدسون أو ينفون: ﴿قُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾<sup>(2)</sup> فحاشاه ﷺ أن يكون كما يقولون، ولكنه (أذن خير لا أذن شر)<sup>(3)</sup>، (أذن خير يعرف الصادق من الكاذب)<sup>(4)</sup> والكاذب من الصادق.

#### -رابعاً: الاستعلاء-

سبق أن قلت من قبل (إن حركة النفاق إنما قام بها وتولى كبرها أفراد من البارزين في قومهم وعشائرتهم قليلا أو كثيرا... وأنه إذا كان اندمج فيها أناس من طبقة السواد أو العامة فإنهم لم يكونوا كثيرين وإنما انساقوا فيها بتأثير أولئك من ناحية زعامتهم وعصبية الأرحام التي تربط بينهم أو من ناحية الإغراء والمنفعة. وهذا طبيعي كما هو المتبادر، لأنه ليس لأفراد من السواد مصلحة في مناوأة حركة اندمج فيها غالب قومهم إيمانا وتصديقا وإخلاصا وجهادا ثم مصلحة وكيانا، كما أنه قلما يكون في هؤلاء من يظن أنه أعقل من أن يندمج في حركة اندمجت فيها الكثرة الكبرى، وإن الذين اندفعوا في مناوأتها واغتاضوا منها وحقدوا عليها لا يمكن أن يكونوا إلا أفرادا من البارزين)<sup>(5)</sup> توهموا -فيما توهموه- أن كرامتهم تأبى لهم أن ينزلوا من مقامهم إلى مقام السفهاء، وأن شيئا اختاره السفهاء ينبغي أن ينزهوا أنفسهم عن اختياره أو الاقتناع به: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾<sup>(6)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير: (يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (1670/3-1671).

(2) سورة التوبة، الآية: 61.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (118/8).

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص889).

(5) سيرة الرسول ﷺ، لعزة دروزة، (2/79-80).

(6) سورة البقرة، الآية: 13.

وهم سفهاء؟ والسفهاء جمع سفية... والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع  
المصالح والمضار<sup>(1)</sup>، وتلك أوصاف لا يكادون يصرفونها إلا للعامة من الناس وسوقتهم، ودين  
يأمر الناس بالاستسلام والخضوع لنيبه لا يليق بذوي المقام، إنما هو لأولئك السفهاء.

وتبدو صفة الاستعلاء جليا في مثل قوله تعالى وهو يتحدث عن بعض المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ  
لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾<sup>(2)</sup>.

قال الإمام القرطبي: (هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا، ويكره للمؤمن أن  
يوقعه الحرج في بعض هذا. وقال عبد الله<sup>(3)</sup>: كفى بالمرء إثما أن يقول له أخوه: اتق الله فيقول:  
عليك بنفسك؛ مثلك يوصيني؟!)<sup>(4)</sup>.

هكذا وجدنا المنافق إذا فعل ما يستوجب أن يذكر فيه بالله.. (أنكر أن يقال له هذا  
القول، واستكبر أن يوجه إلى التقوى، وتعاضم أن يؤخذ عليه خطأ وأن يوجه إلى صواب. وأخذته  
العزة لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير ولكن "بالإثم"، فاستعز بالإجرام والذنب والخطيئة، ورفع رأسه  
في وجه الحق الذي يذكر به وأمام الله بلا حياء منه، وهو الذي كان يشهد الله على ما في قلبه،  
ويتظاهر بالخير والبر والإخلاص والتجرد والاستحياء!)<sup>(5)</sup>..

إنها لمسة تكمل ملامح الصورة الحقيقية لشخصية لها ظاهر يطليه صاحبها بحلاوة اللسان:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(6)</sup>  
﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾<sup>(7)</sup>

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص93).

(2) سورة البقرة، الآية: 206.

(3) لعله عبد الله بن مسعود، فقد أخرج الطبراني قريبا من قوله هذا. انظر: المعجم الكبير، (9/114)، رقم 8588.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (3/19).

(5) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (1/205).

(6) سورة البقرة، الآية: 204.

(7) سورة المنافقون، الآية: 04.



ولها باطن يخفيه عن الناس ويواريه بشتى أنواع الكذب والتمويه والخداع (حتى إذا جاء دور العمل ظهر المخبوء وانكشف المستور وفضح بما فيه من حقيقة الشر والبغي والحقد والفساد)<sup>(1)</sup>: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾<sup>(2)</sup>.

وكانوا في كثير من الأحيان يرتكبون حماقات - أو تتفلت منهم - تفضح خباياهم وتكشف نواياهم، ولا يملك الرسول ﷺ إلا أن يعاملهم بظاهرهم حسبما تقتضيه أصول الشريعة التي جاء بها، ويلتفت إليهم بعض المقربين منهم من الصحابة يرشدونهم إلى ما يكفر عنهم زلاتهم ضمن القاعدة الكبرى التي أنزلها القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾<sup>(3)</sup>، ولكن موقفهم واضح وصريح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّامًا مَرُوسًا وَمَرَأَيْتُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(4)</sup> صدود واستكبار.. صدودٌ من عدم الإيمان بالله فلا يرى فيما فعل ذنباً أو خطأ، واستكبارٌ من يرى في الإيمان سفها أعدى المدينة من مرضه جلايب قريش الذين نافروهم وكاثروهم في بلادهم<sup>(5)</sup> يتزعمهم -خابوا وخسروا فيما ظنوا- "الأذل" الذي ليس له من المقام ما لهم، فكيف يخضعون له ويقرون بين يديه بخطئهم ويرجونه أن يستغفر الله لهم وهم الأعزاء؟ إنها ليست عزة الكرام ولا عزة الكبار، ولكنها عزة الاستكبار الذي طبع شخصية المنافقين فأعمى أبصارهم وبصائرهم.

### المطلب الثالث: تحليل نفسي لتعلات المنافقين ومعاذيرهم

كان العهد المدني يموج بالحركة والحيوية الدائمة، وكانت الأحداث فيه لا يكاد يفصل بعضها عن بعض زمن ولو يسير، وكان للمنافقين في كثير من هذه الأحداث مقال أو موقف أو حدث، يصدر ذلك منهم في حضرة النبي ﷺ أحياناً، وقد يقولونه فيما بينهم ولا ينتبهون أن بينهم من يترصد مكائدهم ودسائسهم فإذا هم في موقف بالغ الحرج، أو يقولونه إذا خلا بعضهم إلى

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (1/205).

(2) سورة البقرة، الآية: 205.

(3) سورة النساء، الآية: 64.

(4) سورة المنافقون، الآية: 05.

(5) انظر: ص 63.

بعض وقد آمنوا واطمأنوا، فإذا هم يتنفسون عن حقد وغلّ وضغائن تخنقهم كل وقت وكل حين، ولكن الوحي سرعان ما يهتك عنهم الأستار فإذا هم عورة بادية، وكان لا بد بعد ذلك -تبعًا للإعلان الكاذب الذي ألزموا به أنفسهم أمام المؤمنين- أن يقدموا من العذر ما يشفع لهم فيما قالوا أو فيما عملوا ليدفعوا بذلك عن أنفسهم الشبهة التي يخافون أن تنكشف أو تفضح. ولقد تتبعت جميع النصوص التي أثبتتها في الفصل الأول، وتتبع في مختلف مواقف المنافقين فوفقت فيها على جملة من التعلات والمعاذير أصوغها في الفروع الآتية:

### الفرع الأول: تعلات تتصل بقضايا الإيمان

وكان ذلك حينما يجابه المؤمنون المخلصون أولئك المنافقين وقد بدر منهم تصرفات وأقوال ليست من معدن الادّعاء الذي ما انفكوا يعلنونه في كل مرة وفي كل حين، بمناسبة وبغير مناسبة:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ﴾ (1)

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ (2)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ (3)

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ (4)

﴿وَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ (5)

إن المؤمنين تلقوا عن النبي ﷺ في الإيمان حقيقة كبرى هي أن للإيمان مقتضيات ومستلزمات تقيم ظاهر من أعلن الإسلام وباطنه على حقيقة واحدة ينسجم بعضها مع بعض، وهاهم أولاء يرون في صنف من الناس خللاً ونشازاً واضحاً بين الحقيقة التي يعرفونها هم في أنفسهم وبين الادّعاء الذي يرونه في أولئك، وإذ لم يستسيغوا ذلك التناقض والتنافر وتوجهوا إليهم بما تمليه عليهم طبيعة الإيمان أن ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ (6) إيماناً خالصاً مخلصاً ليس فيه

(1) سورة البقرة، الآية: 08.

(2) سورة البقرة، الآية: 14.

(3) سورة البقرة، الآية: 204.

(4) سورة المنافقون، الآية: 01.

(5) سورة التوبة، الآية: 56.

(6) سورة البقرة، الآية: 13.

هذا التناقض، كانت النتيجة غير متوقعة: ﴿أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾<sup>(1)</sup>.

إن هذه التعللة تكشف عن جانب كبير من نفسية المنافقين تنبئ (أن حركة النفاق إنما قام بها وتولى كبرها أفراد من البارزين في قومهم وعشائرتهم قليلاً أو كثيراً، بل إننا لنكاد نقول استلهاما من روح الآيات ومضمونها إن معظم أفراد هذه الفئة من تلك الطبقة، وإنه إذا كان اندمج فيها أناس من طبقة السواد أو العامة فإنهم لم يكونوا كثيرين، وإنما انساقوا فيها بتأثير أولئك من ناحية زعامتهم وعصبية الأرحام التي تربط بينهم، أو من ناحية الإغراء والمنفعة... وإن الذين اندفعوا في مناوأتها واغتاظوا منها وحققوا عليها لا يمكن أن يكونوا إلا أفراداً من البارزين الذين يمكن أن يتوهموا فيها ضرراً وخطراً على مركزهم ومصالحهم، وأن يأنفوا لكرامتهم ولما يتوهمونه في أنفسهم من عقل من الاندماج فيها)<sup>(2)</sup>.

وأحسب أن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾<sup>(3)</sup> مما يقوي هذا المعنى، إذ الغالب أن الأغنياء هم من الطبقة الرفيعة أو العلية في المجتمع، وهو معنى أسوقه في تقرير هذه الحقيقة على وجه الاستئناس..

إن هذه النفسية تعتبر في الحقيقة قاعدة كبرى يفسر على ضوءها كثير من تصرفات المنافقين وعلى رأسهم كبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول: ترفع واستعلاء جعلاه يرى في المؤمنين "سفهاء"، ويرى في المهاجرين "جلايب قريش"<sup>(4)</sup>، ويرى في الرسول الأعظم ﷺ "الأذل" الذي ينبغي أن يخرج من المدينة وتغلق أبوابها في وجهه، لأن المدينة لا يصلح أن يكون صاحب المقام والشرف فيها إلا "الأعز" مثله، ولكن يأبي الله غير ذلك: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

### الفرع الثاني: تعللات تتصل بالولاء والبراء

إن قضية الولاء والبراء من مسائل العقيدة الكبرى التي حسم فيها القرآن الكريم حسماً

(1) سورة البقرة، الآية: 13.

(2) سيرة الرسول ﷺ، لعزة دروزة، (2/79-80).

(3) سورة التوبة، الآية: 93.

(4) انظر: ص 63.

(5) سورة المنافقون، الآية: 08.

قاطعاً لم يدع فيه مجالاً للتردد أو التساهل أو التنازل، وقد جاء الرسول ﷺ المدينة وبين الناس أحلاف ومواثيق وعقود كانت مبنية في مجملها على الجوار والمصالح يتبادلونها فيما بينهم، كان منها ما كان قائماً بين عرب الأوس والخزرج وبين اليهود، ولما جاء الإسلام أقام بين المسلمين موثيق جديدة مبنية على أساس الدين والعقيدة، وكتب رسول الله ﷺ مع اليهود -بحكم الجوار- كتاباً (شرط لهم فيه وشرط عليهم، وأمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم)<sup>(1)</sup> إلا أن اليهود بطبيعة الجبلّة التي جبلوا عليها لا يستطيعون أبداً أن يحفظوا عهودهم ومواثيقهم: ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَاهِدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾<sup>(2)</sup> فكانوا كلما وجدوا فرصة أو غفلة نقضوا ما بينهم وبين الرسول ﷺ، وكانت بنو قينقاع أول يهود ينقضون عهدهم..

فأما عبادة بن الصامت<sup>(3)</sup> وهو ينوب في هذا عن كل المؤمنين المخلصين الذين كان لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله عزّ وجل وإلى رسوله ﷺ من حلفهم وقال: أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم<sup>(4)</sup>..

وأما ابن أبي فلم يكتف بالتمسك بحلفه معهم بل وجدناه قد جادل النبي ﷺ فيهم جدالاً عنيفاً فأنزل الله في شأنه: ﴿قَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَامِرُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾<sup>(5)</sup> فقد أبان من غير حرج عن الحقيقة المستكنة في نفسه: ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ إنه الخوف من

(1) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي، دار الفكر، بيروت لبنان، 1409هـ-1989م، (250/2).

(2) سورة البقرة، الآية: 100.

(3) هو الصحابي الجليل أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، شهد بدرًا وما بعدها، كان من أعلام الصحابة وقضاتهم، شهد فتح مصر، وكان ممن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، وهو أول من تولى القضاء بفلسطين، روى أحاديث كثيرة تعدت المائة، وسمع منه أبو أمامة وأنس وجابر وغيرهم من الصحابة وكبار التابعين، توفي (سنة 34هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/546)؛ طبقات الرواة، لخليفة بن خياط، (ص99)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (2/807-809)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/55-56)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/353-356)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/142-143)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (4/201-202).

(4) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (3/7-8).

(5) سورة المائدة، الآية: 52.

تقلبات الزمان -والدهر قلب كما يقولون- ولأن الإسلام لا يزال يعيش جولاته الأولى، والانتصار الذي حققه في بدر لا يعدو أن يكون إلا انتصارا واحدا ليس له نظير يتقوى به ولم يكسر بعد شوكة قريش، والعرب لا تزال تتربص، وبنو النضير وخيبر من اليهود يتمتعان بكامل البأس والعزة والمنعة، فقد تبدل الأوضاع وتتغير، وبصير الإسلام إلى ضيق وعنت.. فكان لا بد من اتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لمثل هذا التنظر المحتمل والتوقع القائم: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾<sup>(1)</sup>، إنها الحقيقة التي جعلت للمنافقين أكثر من وجه: وجه حقيقي يخفونه ولا يظهرونه إلا لمن كان على شاكلتهم، ووجه يقضون به مصالحهم وهي حيث تكون الغلبة والمغانم.

وإنها لجرأة -من جهة أخرى- واضحة صريحة في البوح عن خلجات النفس وكشف مكنوناتها، مردّها إلى أن عبد الله بن أبيّ كان حديث عهد بإعلان الإسلام إذ لم يكن بين هذه الوقعة وبين وقعة بدر التي أعلن إسلامه بعدها - كما هو الثابت في الصحيحين<sup>(2)</sup> - أزيد من شهرين ونصف<sup>(3)</sup>، وهي فترة لم يكن قد ارتكب فيها شيئا من حماقاته التي عودناها فيما بعد، فإسلامه لم يكن محل شبهة أو محل فضيحة تلزمانه أن يتلوّن في الكلام أو أن يداري أو أن يقوله خفية يتنفس بها عن كبت يضايقه.

إن هذه النفسية -نفسية الطمع والتلون مع المصلحة حيثما كانت- هي النفسية التي ظلت تحرك المنافقين طيلة العهد المدني، وأما البوح فقد كانت له مقامات وظروف وأحوال.

### الفرع الثالث: تعلّات تتصل بالغزو والجهاد

يكاد يكون الجهاد المحطة الكبرى التي لم يستطع المنافقون أن يخفوا فيها حقيقتهم، لذلك وجدناهم في كثير من الأحيان يتخلفون ويقدمون لذلك جملة من المعاذير هذه أهمها:

**1- ترك الأخذ برأيهم في المشورة:** وقد حدث ذلك في غزوة أحد يوم أن رجع عبد الله بن أبيّ بثلاث الجيش: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(4)</sup> فقد جعلوا من أنفسهم محل رأي ومشورة، وقال ابن أبيّ يومئذ -يوم أن كان النبي ﷺ يستشير أصحابه- رأيه بالبقاء في المدينة وعدم الخروج، ولم يخرج في هذا عن القاعدة العامة للشورى، فقد كان يدلي برأيه وكان رأيه

(1) سورة المائدة، الآية: 52.

(2) سبقت الإشارة إلى الحديث ص126.

(3) انظر: تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، (2/48-49).

(4) سورة آل عمران، الآية: 154.

واحدًا من الرأيين المتداولين في المجلس، ولكننا لو تصورنا الحيشيات التي صاحبت هذا الإدلاء لبانت لنا بعض المعالم:

- رسول الله ﷺ يجمع أصحابه للشورى في أمر قريش التي جاءت تنتقم لهزيمتها في بدر.
- كانت الشورى مجلسًا عامًا حضره عموم المسلمين ولم تكن مقصورة على مجموعة منهم ممن يسمون مثلًا أهل الحل والعقد.
- يرى الرسول ﷺ التحصن بالمدينة وعدم الخروج إلى العدو لرؤيا رآها<sup>(1)</sup>، ورؤيا الأنبياء حق.
- وقال رجال من المسلمين ممن كان فاتته بدر وحضورها: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جنبنا عنهم وضعفنا<sup>(2)</sup>.

- ويغتنم ابن أبيّ الفرصة فيقول: (يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله.. فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا)<sup>(3)</sup>.

إن معرفة هذه الحيشيات التي سردتها، ومعرفة صاحب الرأي فيها -عبد الله بن أبيّ- تقودنا إلى استلهاهم الحقائق الآتية في هذه النفسية وفي مثيلاتها من نفوس المنافقين<sup>(4)</sup>:

- إن ابن أبيّ كان حريصًا على أن يظهر بمظهر الحكيم المجرب الذي خبر أمور الحرب والسلم، وأنه ما كان ينطق من فراغ كأولئك الطائشين المندفعين الذين أظهرت النتائج تهور رأيهم.

---

(1) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد فقال: رأيت في سيفي ذي الفقار فلا فأولته فلا يكون فيكم، ورأيت أبي مردف كبشًا فأولته كبش الكتيبة، ورأيت أبي في درع حصينة فأولتها المدينة، ورأيت بقرا تذبح فبقر والله خير...».

أخرجه أحمد [كتاب ومن مسند بني هاشم/باب بداية مسند عبد الله بن عباس]، (271/1)، رقم 2445.

قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد، للهيثمي، (153/6).

(2) انظر: ص 133.

(3) انظر: ص 133.

(4) أخذت بعض هذه المعاني من كتاب: دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل، وتصرفت فيها بما يتفق مع مضمون البحث، وأضفت إليها من التحليل ما ليس فيه. انظر: دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل، (ص 374).

-ظهر ابن أبيّ -زعيم المنافقين وكبيرهم- بمظهر الحريص على تنفيذ رأي رسول الله ﷺ المتحمس لما مال إليه الرسول القائد، وربما زاده حرصا وحماسة رؤيته أكثر المسلمين كأنما أكرهوا رسول الله ﷺ على أمر لم يكن يرغب فيه.

-إن حرص عبد الله بن أبي على التمسك برأي يخالف رأي الغالبية من الناس سيما وأنه رأي رسول الله ﷺ كفيل في ظنه أن يوسع من رقعة الخلاف في صف المسلمين من جهة، وأن يضعف العلاقة التي تربط المسلمين برسولهم ﷺ من جهة أخرى، ولئن حدث ذلك -وهو ما كان يرجوه في كل مرة- فقد تحقق شطر كبير مما كان يأمله المنافقون في دين ألزموا به أنفسهم وهم له كارهون، ينتظرون اللحظة التي يتهاوى فيها بنيانه على أيديهم أو أيدي غيرهم: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِذَا إِيحْدَىٰ الْحُسَيْنِ﴾<sup>(1)</sup>: نصر فتغنمون معنا كما نغنم، أو شهادة تفرحون فيها لموتنا.

-إن حرص عبد الله بن أبيّ بن سلول على البقاء في المدينة سيضمن له -في ظنه وتخمينه- أمرين اثنين: إما أن لا يكون قتال وذلك أغلب الظن إذا هم تحصنوا فيها، أو أن ذلك سيمكنهم من الاختباء و(التسلل من سوح)<sup>(2)</sup> القتال وطلب النجاة بأنفسهم دون أن تلحظهم عين.. وهم في مخابئهم تلك سيعرفون لمن سترجح الكفة فيتسللون ثانياة إلى معسكرات المنتصرين، فإن كانوا من المسلمين ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾؟<sup>(3)</sup> أولم تكن فكرتنا في القتال داخل المدينة أصوب وأحسن؟ وإن كانوا من المشركين بينوا لهم أنهم هم الذين ألقوا المسلمين إلى انتظار أعدائهم لكي يقضى عليهم في المدينة، وأنهم انسحبوا من القتال وفتوا في عضد أتباع محمد ﷺ، ومن ثم ستكون لهم الحظوة على أي حال سيؤول إليها القتال)<sup>(4)</sup>.

وتشاء الإرادة الإلهية أن تسوق النبي ﷺ إلى الأخذ برأي الأكثرية المتحمسة للخروج إلى القتال، فخرج عبد الله بن أبيّ مع الجيش ولكنه انسحب بثلاثمائة معه في نصف الطريق، وعلل ذلك بأن النبي ﷺ لم يأخذ برأيه السديد، وأخذ برأي الشباب ممن لا رأي لهم: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ

(1) سورة التوبة، الآية: 52.

(2) سوح: بوزن روح، جمع ساحة. انظر: مختار الصحاح، للرازي، (ص134)؛ لسان العرب، لابن منظور، (492/2).

(3) سورة النساء، الآية: 141.

(4) دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل، (ص374).

الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ»<sup>(1)</sup> وهم إنما أرادوا بها تعلقة يدفعون بها عن أنفسهم تهمة التخاذل والتخذيل.

**2- التظاهر بالخبرة والمعرفة:** وقد ظهر ذلك أيضاً في غزوة أحد حينما لحقهم عبد الله بن حرام يناشدهم الله أن لا يخذلوا نبيهم وقومهم ويذكّرهم أن بقاءهم في الجيش -ولو تكثرنا للسواد- يكون كافياً للنصرة<sup>(2)</sup>، ولكنهم أجابوا وهم الجبناء المخذّلون: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾<sup>(3)</sup> أي إننا لم ننسحب عنكم تخاذلاً ولا تخذيلًا، ولكننا نعلم -من خلال ما عندنا من خبرة وتجربة بقضايا الحرب- أنه لن يكون هناك قتال، فلا معنى لبقائنا معكم، وتحت هذا الغطاء خذّلوا وانسحبوا. لقد كان هذا عذرهم في التخلف قبل أن تنشب الحرب، وقد يكون عذراً مقبولاً، وكان يفترض -أمام ما حدث لو كانوا صادقين- أن يظهروا ندمهم وأسفهم على سفاهة رأيهم وتخليهم عن رسول الله ﷺ وعن قومهم، أما وأن الحرب قد وقعت وكان من نتائجها ما كان فإنهم -لكذبهم ونفاقهم وامتلاء قلوبهم غيظاً وحقدًا- ازدادوا استعلاءً وتبجحاً، وكان لا بد حينئذ من البحث عن عذر آخر بعد أن لم يعد للعذر الأول معنى وأثر يحتجون بهما: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِيَا خَوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قَتَلُوا﴾<sup>(4)</sup> ولم يكن هذا العذر الذي قدموه مقتصرًا على غزوة أحد، بل وجدناهم يقدمونه في كل مرة يستشهد فيها المسلمون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِيَا خَوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قَتَلُوا﴾<sup>(5)</sup>.

وهي صورة من صور مواقفهم الخبيثة قد بلغت كمالها في الغلّ والحقد والتشيط، فقولهم: ﴿لَوْ أِطَاعُونَا مَا قَتَلُوا﴾ قول إذا غمزوا به الذين قضوا نجبتهم إلى ربهم شهداء لم يكن له -عندهم فيه- معنى وأثر، وإنما يريدون به أموراً أربعة:

-غمز الرسول على أنه أخطأ في تقدير الموقف إذ غلب على أمره حينما ترك رأي

(1) سورة آل عمران، الآية: 154.

(2) انظر: ص 53.

(3) سورة آل عمران، الآية: 167.

(4) سورة آل عمران، الآية: 168.

(5) سورة آل عمران، الآية: 156.

قال المفسرون: في الآية محذوف تقديره إذا ضربوا في الأرض فماتوا، أو غزوا فقتلوا. انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (388/1).



العقلاء وأخذ برأي الشباب المتحمس المتهور، وفي ذلك غمز كبير للوحي الذي يأتيه ويخبره بالأمر قبل وقوعه.

- تهيئة المؤمنين مستقبلاً للالتفات إلى آرائهم، فقد بينت التجربة أن فيها من الصواب ما لا يخفى.

- زرع القابلية في نفوس المؤمنين لنشاط التشييط الذي يمارسونه عليهم فيما يستقبل من أيام.

- العمل على (إثارة شجون أهل الشهداء)<sup>(1)</sup>، فإن في حزنهم وعويلهم أعذب الألحان التي يتلذذون بسماعها.

وهكذا كانت نهاية أحد، وهكذا كانت تعلاّتهم، ولو كانت نهايتها كنهاية بدر لكان لهم -حتمًا- تعلاّات أخرى ومعاذير تجود بها عليهم قريحة نفاقهم التي ما بخلت عليهم أبدًا أن تصنع لهم لكل سؤال جوابًا ولكل حدث حديثًا: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

**3- التعلل بالعجز وعدم القدرة:** إن تعلل المنافقين بالعجز وعدم القدرة إذا دعوا إلى النفير تعلل بالحقيقة الكامنة في أعماقهم.. إنه ليس عجز البدن أو عجز المال، ولكنه عجز النفوس الخور المريضة لا تقوى على أن تنهض من الأرض ولا أن تظهر بالحقيقة فتلجأ إلى هذه التعلاّات: ﴿وَسَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾<sup>(3)</sup> وجاء هذا بعد سياق وضع هذه التعللة في أرضها الطبيعية التي أنبتتها: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾<sup>(4)</sup>.

إنها نفسية متناقضة: نفسية تحمل القدرة والحيوية والنشاط ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، وتصاب بالضعف والعجز والخور إذا ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾، وحينئذ ﴿سَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ وهو عذرهم الذي يقدمونه بين يدي رسول الله عليهم يفتكون به إذنًا في القعود خلافه، فيستريحوا من عناء السفر والمشقة والأخطار التي تحرق بهم في هذه المعركة.

(1) سيرة الرسول ﷺ، لعزة دروزه، (114/2).

(2) سورة البقرة، الآية: 09.

(3) سورة التوبة، الآية: 42.

(4) سورة التوبة، الآية: 42.

#### 4- التعلل بالظروف الطبيعية القاسية: وذلك نتاج طبيعي لما سبق ذكره:

- فالعجز وعدم القدرة حقيقة مستقرة في نفوسهم في جميع الظروف والأحوال.

- وقد تطرأ عوامل خارجية تكون عصى يتكوّنون عليها ويعللون بها هروبهم وفرارهم: ﴿وَقَالُوا

تَفَرُّوا فِي الْحَرِّ﴾<sup>(1)</sup>.

وقد صادفت غزوة تبوك حرّ الصيف وقيظه فقالوا مقولتهم هذه، ولو عدموها لوجدوا لهم

تعلات أخرى لا يضعف خيالهم أبداً عن نسجها وحبكها.

#### 5- الاعتذار بأشغال الأهل والأموال: وهو عذر تعلل به منافقو أعراب البادية يوم أن دعاهم

النبي ﷺ للخروج معه إلى الحديبية فاعتلّوا له بهذا العذر، وهو عذر النفاق يتخذ لنفسه أشكالا

متعددة تتلون حسب الظروف والأحوال، فقد ظنوا أن النبي ﷺ وأصحابه ذاهبون إلى حتفهم، وأن

قريشا ستستأصل شأفتهم: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَتَقَلَّبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي

قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

وقد دغدغ هذا الشعور الآثم في قلوبهم ونفوسهم نشوة ولذة سرت في كيانهم أعمتهم عن

رؤية العذر القبيح قبيحا، وما دام الأمر كذلك فليقدموا له عذرا - أي عذر - ما داموا مستيقنين

أن النبي ﷺ لن يرجع هو ولا أصحابه من غزوتهم تلك التي خرجوا فيها إلى حتفهم، فلا محاسبة

إذن بعد ولا لوم ولا عتاب.

وقريب من هذا العذر القبيح عذر منافقي المدينة يوم حفر الخندق في غزوة الأحزاب:

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾<sup>(3)</sup>، فلقد كان حفر الخندق أشغالا شاقة<sup>(4)</sup> لرجال

(1) سورة التوبة، الآية: 81.

(2) سورة الفتح، الآية: 12.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 13.

(4) أقاموا في حفر الخندق شهرا كما في رواية ابن القيم في الهدى، ووقع عند الواقدي أربعين ليلة، وعند

موسى بن عقبة قريبا من عشرين ليلة، وعند النووي في الروضة خمسة عشر يوما، وذهب ابن سعد إلى أنهم فرغوا من حفره في ستة أيام. وقطع رسول الله ﷺ لكل عشرة أربعين ذراعا، وكان عرض الخندق قريبا من ثلاثة أمتار.

انظر: فتح الباري، لابن حجر، (394/7)؛ المواهب اللدنية المحمدية، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت.ط.)، (112/1)؛ غزوة الأحزاب، لمحمد أحمد باشميل، دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة: 1397هـ، (ص177).

عدموا الإيمان بالمبدأ، فلم يعد يعينهم من أمر الناس إلا أمر أنفسهم وقد اطمأنوا أن حظوتهم مع الغالب قائمة، ولولا ذلك لكفاهم الخطر الذي يجثم على صدر المدينة ويحرق أهلها شعورا بضرورة الوقوف إلى جانب قومهم والعمل معهم بتفان وإخلاص، فلئن عدموا مبدأ يتقاسمونه فإن المحنة كفيلا لأن تجمع وتوحد، ولكن هؤلاء قوم لا إحساس لهم ولا شعور.. تحركهم المصالح والمغام، وإنهم يريدونها خالصة من كل مغرم ومن كل ما يكلفهم جهدًا أو يجلب لهم مشقة.

## 6- الاعتذار بالخوف من الوقوع في الفتنة: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾<sup>(1)</sup>

يا لها من نفسية يظهر صاحبها بمظهر التقى الذي يخاف على نفسه أن يجرّها إلى موقع الفتنة فيفتتن، فكان لا بد إذن من اتخاذ الحيطة الكاملة والحذر الواجب حتى لا يسعى إلى أمر يريد به خيرا فتقع له فيه الفتنة فيضيع دينه، وإذن خاب وخسر.. (يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجل بأشدّ عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر)<sup>(2)</sup>.

أتى لرجل عاقل أن يتصور رجلا في قلب معركة -وأية معركة- تتهاطل فيها النبال من كل جانب، ويتملك الرعب القلوب.. ونفسه -والحال هذه- تخشى أن تفتتن بنساء هن في صف العدو، إن سلمنا جدلا أن نفسه ذهلت بهن عن هول المعركة فأنى من سبيل إليهن تخشى معها الفتنة؟!!

إنه نموذج لرجل غسلت الوقاحة ماء وجهه فلم يكثرث لأن يستعفي النبي ﷺ من الخروج معه إلى غزوة تبوك بهذه الحساسة التي كتى عنها القرآن الكريم ولم يصرح بها، ولم يعد يعنيه -إذا افتك من النبي ﷺ إعفاء رسميًا من مشاق السير في هذه الغزوة إلى بلاد بعيدة ومخاطر أكيدة- أن يكون حديث الناس وفاكهة مجالسهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾.

## الفرع الرابع: تعلات فيها التظاهر بالحرص على المصلحة العامة

وقد تجلّى هذا الشعور النبيل من المنافقين في المسجد الذي اتخذوه ضرارًا يقصدون من بنائه:

(1) سورة التوبة، الآية: 49.

(2) انظر: ص 83.

- أن يتخذوه معقلاً لأبي عامر إذا رجع من عند هرقل ﴿وَأَمْرٌ صَادِقٌ لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(1)</sup>.  
 - أن يكون مركز تجمع للمنافقين يتنفسون فيه من ضغط الكبت الذي يعانونه.  
 - أن يكون مركز دعاية ضد الإسلام والمسلمين: ﴿وَنَفَرِقَابَيْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(2)</sup> أي (يفرقون به جماعتهم ليتخلف أقوام عن النبي ﷺ)<sup>(3)</sup>.

ولكن العذر الذي قدموه للنبي ﷺ عذر يبدو فيه الحرص على المصلحة العامة للمسلمين فهم (إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية)<sup>(4)</sup> الذين يصعب عليهم في مثل تلك الظروف القاسية أن يتنقلوا للمسجد الموجود في ناحية بعيدة عنهم، فرفعوا للخرج عن الناس وبخثا عما يزيل عنهم المشقة بنوا هذا المسجد، وطلبوا من النبي ﷺ في خبث كامل ودهاء:  
 - أن يصلي في مسجدهم هذا.

- ويدعو لهم فيه بالبركة.

ولئن وافقهم النبي ﷺ على ذلك واستجاب لهم فيما يطلبون فقد ختم لهم على صنيعهم هذا بطابع يشهرونه - من جهة - في وجه كل متطاول عليهم، ويسمح لهم من جهة أخرى أن يكيدوا - بعيداً عن الأعين - في مكان افتتحه الرسول القائد - رسمياً - بل ودعا لهم فيه بالبركة والتوفيق والسداد. وكادت الحيلة تنطلي على النبي ﷺ، وأحسب أن مرد ذلك إلى أسباب منها:

- أن هؤلاء من المنافقين الذين ينتشرون حول المدينة ولا يعلمهم النبي ﷺ لأنهم مردوا على النفاق: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(5)</sup>.

- العذر الذي اعتلوا به: وهو الالتفات إلى فئة من المجتمع تحتاج إلى نوع من العناية الخاصة بتوفير أسباب الراحة لها، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَخْلِفْنَ إِنَّ أَمْرَنَا إِلَّا الْخُسْنَى﴾<sup>(6)</sup>،

(1) سورة التوبة، الآية: 107.

(2) سورة التوبة، الآية: 107.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (177/8).

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص907).

(5) سورة التوبة، الآية: 101.

(6) سورة التوبة، الآية: 107.

وهو شعار بَرّاق يترجم معاني الحرص على المصلحة العامة للمسلمين، ولافتة قد تنطلي برفعها الحقيقة التي تختفي وراءها.

ولكن الله فضحهم وفضح صنيعهم هذا، فأرسل رسول الله ﷺ إلى المسجد من أحرقه.. وانتهى بذلك فصل من فصول التآمر الخبيث.

ونظير هذا - كما أشار الإمام القرطبي<sup>(1)</sup> - قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتُم مَّصِيبَةً بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَنَوْفِقًا﴾<sup>(2)</sup>.

### الفرع الخامس: تعالّات تتصل بقضايا عامة

وقد تجلّى عذرهم فيها بجواب عام: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾<sup>(3)</sup> ولئن كان للآية سبب نزول ذكره بعض أهل التأويل<sup>(4)</sup>، إلا أنّها نحت نحو العموم بحيث صارت عذرا عاما يتقدم به المنافقون إذا لم يجدوا ما يقولونه بين يدي ما قالوا أو ما فعلوا وقد فوجئوا بالحقيقة التي لم يستطيعوا أن يتصلوا منها أو ينكروها، فيقولون من غير خجل: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾..

إنّما فترات لهو وهزل، وما قلناه إنّما كان على سبيل اللعب والمزاح، فلا تأخذوه مأخذ الجد ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

هذه محطات من تعالّات المنافقين ومعاذيرهم التي كانوا يقدمونها عذرا يتعلّلون به في كل مناسبة وفي كل موقف وقفوه نفاقا خلال العهد المدني كله، أحصاها عليهم القرآن الكريم وعدّها عدّا، ووضعها في سياق بياني أوحى فيه كل كلمة منها إلى معنى بل إلى معان كان ما أثبتته في هذا المطلب قلامه ظفر، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يحيط بالزخم الذي جهلته أو أصبت بالغفول عنه.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (228/5).

(2) سورة النساء، الآية: 62.

(3) سورة التوبة، الآية: 65.

(4) انظر: ص 84.

## الفصل الثالث: قدر ظاهرة النفاق

وجعلت هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب المناقصة وأثار ظاهرة النفاق

المبحث الثاني: منهج القراءة الكريم في عرض ظاهرة النفاق

المبحث الثالث: تقويم ظاهرة النفاق

## تمهيد

لقد أصبح المنافقون جزءا من المجتمع المسلم وقد أعلنوا ظاهرا إسلامهم، وظلوا يخلفون في كل وقت وفي كل مناسبة ومن غير مناسبة أنهم مؤمنون، علم النبي ﷺ نفاقهم ولكنه عاشرهم كما عاشر أصحابه ولم يقتل منهم أحدا بسبب نفاق، ولم يجبس ولم يعاقب ولم يمنع سهم أحد منهم إذا حضر القتال، ولا منع المؤمنين مناكحتهم أو معاملتهم أو موارثتهم..

وكان عمر بن الخطاب يستأذن النبي ﷺ في الكثير من المرات في قتل أحدهم إذا أظهر ما يناقض حقيقة الإيمان، أو ارتكب حماقة تؤكد نفاق صاحبها بما لا يحتمل مجالا للتأويل، فكان النبي ﷺ في كل مرة يقول له: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»..

ولقد استفاد المنافقون كثيرا من هذه المعاملة التي كان النبي ﷺ يعاملهم بها، وكانت معاملة خاضعة لمقتضى أصول الشريعة التي جاء بها، وهي شريعة تعامل الناس بما أظهروه وتكل سرائرهم إلى الله تعالى..

لقد استفادوا من هذه المعاملة واطمأنوا فراحوا ينفثون من سمومهم ما يشفي غيظ صدورهم ويطفى ناراً تأججت في قلوبهم، فلا تمر حادثة إلا تلقفوها وصنعوا منها في المجتمع قضية يتلذذون بشغل النبي ﷺ والمؤمنين بها.

إن مجتمع الصحابة الذي عاش فيه المنافقون هو مجتمع بشري يسري في حقه -على جلاله- قدر الصحابة وأفضليتهم جميعا- ما يسري في حق كل المجتمعات البشرية -من غير إغفال التفاوت بطبيعة الحال- لذلك كان للمنافقين فيه من الآثار ما سآبينه، وكان لنزول القرآن -كلما اقتضت الظروف والأحوال- ما يكون عوناً على معرفة الحقائق، وعوناً على معرفة التوجيهات الربانية التي تحتاج إليها الفئة المؤمنة في كل عصر وفي كل حين وفي كل مكان، فقد يكون للقضية شبه، وقد تتكرر الحادثة، وتبقى تعليمات القرآن وتوجيهات الخالق الحكيم وسيرة رسوله الكريم الدستور والمرجع والحجة، وقانون السماء لهداية الأرض.. وذلك جزء مما يحويه هذا الفصل فيما أضمنه من معان وأحكام.

# المبحث الأول

## أساليب المنافقين وأثار ظاهرة النفاق

### المطلب الأول: عرض ودراسة لأساليب المنافقين

إن الدراسة التي تناولتها في الفصل الثاني تسوقني إلى تقرير جملة من الحقائق من أهمها أن المنافقين:

- كانوا - في الظاهر - جزءا من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.  
- وأنهم كانوا في قرارة أنفسهم مبغضين للإسلام حاقدين عليه.  
- وأن ولاءهم الحقيقي - الذي كشفه القرآن وكانوا يمارسونه حقيقة - كان لليهود ومشركي العرب.

واستفاد المنافقون كثيرا من المعاملة التي كان النبي ﷺ يعاملهم بها، وكانت معاملة خاضعة لمقتضى أصول الشريعة التي جاء بها، وهي شريعة تعامل الناس بما أظهروه وتكل سرائرهم إلى الله تعالى، أقول: لقد استفادوا من هذه المعاملة واطمأنوا فراحوا ينفثون من سمومهم ما يشفي غيظ صدورهم ويطفئ نارا تأججت في قلوبهم وهم يرون:  
- نيبا مطاعا لا يصدر إلا عن رأيه، ولا يقطع أمر دونه.

- قوما جمعتهم كلمة واحدة فصاروا جسدا واحدا «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(1)</sup>.

- انتصارات يتلو بعضها بعضا تنكسر فيها - كل يوم - شوكة من يجوبهم ويوالونهم.  
ولقد نظرت في حديث القرآن الكريم عن المنافقين أتبع خيوط المؤامرة التي كان المنافقون يبيكون فصولها تباعا كلما واتتهم الفرص، فبان لي أن القرآن الكريم عرض في ثنايا هذا الحديث جملة من الأساليب سلكها المنافقون لخصتها - فيما بدا لي - في نقاط ستة أحسب أنها جماع تلك الأساليب:

(1) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الأدب/باب رحمة الناس والبهائم]، (ص1125)، رقم6011.  
وأخرجه مسلم [كتاب البر والصلة والآداب/باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم]، (4/1999)، رقم2586.



## -أولا: انتهاز الفرص لزرع البلبلة

وأعني بهذا العنوان تتبع المنافقين لمختلف الأحداث التي كانت تقع بين الحين والآخر، والتي كانوا يجدون فيها منفذا يتسللون منه ليستوشوا ما شاءوا من طعن أو تجريح، يريدون بذلك زرع الفتنة والبلبلة بين المسلمين ليوهنهم ويضعفهم ويقعدوهم عن قضاياهم فلا يشتغلوا إلا بما يطرحون، وقد بدا ذلك جليا في مناسبات كثيرة على رأسها:

**1- غزوة أحد:** لقد كانت غزوة أحد مناسبة كشفت -بوضوح- نفاق جماعة من الأوس والحزرج حاول زعيمها أن يقنع النبي ﷺ بضرورة البقاء في المدينة والاحتماء بها، ولكن النبي ﷺ خرج لملاقاة قريش فلم يكن لهم حينئذ إلا الاستجابة لنفوسهم الجبابة والانسحاب من الجيش، وعللوا ذلك بمعاذير إن تناولتها بالدراسة والتحليل في الفصل الثاني<sup>(1)</sup> فإني أقف ههنا عند معنى آخر لم أتحدث عنه هناك -أو تحدثت عنه عرضا- وهو طبيعة الكيد الذي اتخذه أسلوبا يغرزون به سهام أضغانهم في صدر المجتمع المسلم الفتي الذي كانوا يعيشون بين أفرادهم على أنهم جزء منه كلما واتتهم الفرص أو وجدوا إلى ذلك سبيلا:

﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(2)</sup>

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾<sup>(3)</sup>

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَعَدُوا لَوْ أطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾<sup>(4)</sup>

إن هذه المقولات كانت معاذير قدمها المنافقون يعللون بها موقفهم الذي وقفوه يوم أحد، إلا أنها تكشف عن جانب آخر من حقيقتهم وهو الطعن وزرع الفتنة في المجتمع، فهم:

- حينما قالوا ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ عللوا بذلك انسحابهم، ولكنهم في الوقت ذاته محاولة للطعن في شخص الرسول ﷺ على أنه أعرض عن رأي الأكابر وانساق وراء الأصاغر وقد غلبوه وأثروا فيه بطيشهم وتهورهم.

(1) انظر: ص 189 وما بعدها.

(2) سورة آل عمران، الآية: 154.

(3) سورة آل عمران، الآية: 156.

(4) سورة آل عمران، الآية: 168.

-وحيثما قالوا ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾<sup>(1)</sup> عللوا به انسحابهم من الجيش، ولكنهم أرادوا به أن يطعنوا في حصافة عقدة النبي ﷺ وأصالة رأيه، وكأنهم يقولون لو كان له شيء من ذلك -خابوا وخسروا فيما ظنوا- لما قاد قومه إلى حتوف أنفسهم، ولما أوردتهم مهالكهم.

-وحيثما قالوا عن الذين استشهدوا من أصحاب النبي ﷺ ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾<sup>(2)</sup> عللوا موقفهم، ولكنهم وجدوا مدخلا يطعنون فيه عاقبة طاعة النبي ﷺ على أنها موت وهلاك، وهم إنما يعنون الصحابة الأحياء من يسمعون مقاتلتهم تلك، وكأنهم يوحون إليهم أن عاقبة طاعتهم لنبيهم إنما هي عاقبة أولئك: موت وهلاك.

**2- سرية الرجيع:** لقد مر معنا<sup>(3)</sup> أن النبي ﷺ بعث نفرا من أصحابه سرية عينا فغدر بهم حيي من هذيل، فقال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾<sup>(4)</sup>.

وهو طعن يريد أصحابه أن يوغروا به صدور الذين آمنوا على هذا الدين وعلى نبيه، أو لعلمهم أن يحركوا فيهم بهذا الإشفاق الخبيث الذي يتظاهرون به بدايات مشاعر التدم وهم يرون أنفسهم يقذفون بين الحين والآخر إلى نهاية لا رجعة منها، ولعن استطاعوا أن يحركوا فيهم تلك المشاعر، فما أيسر ما يصبون إليه من بعد، ولكن هيهات أن يكون لهم ما يريدون وفي أصحاب رسول الله ﷺ ﴿مَن يَشْرِي نَفْسَهُ اتِّغَاءَ مَرَضَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(5)</sup>.

**3- غزوة الأحزاب:** إن غزوة الأحزاب غزوة عصيب قال فيها الحق تبارك وتعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا<sup>(6)</sup> وهو وصف من الله العظيم كاف للدلالة على

(1) سورة آل عمران، الآية: 154.

(2) سورة آل عمران، الآية: 168.

(3) انظر: ص 57.

(4) سورة البقرة، الآية: 204.

(5) سورة البقرة، الآية: 207.

(6) سورة الأحزاب، الآيتان: 10-11.

ما أصاب المسلمين يومئذ من خوف ورعب شديدين لم يجدوا لهم معهما من حلّ أمام تلك الجموع المتحزبة، سوى أن يحيطوا المدينة بخندق أجهدهم حفره أيّما إجهاد، وحدث أن اعترضهم وهم يحفرون الخندق صخرة عجزوا عن تكسيورها، قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال بسم الله وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال بسم الله وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»<sup>(1)</sup> وحينذاك وجد المنافقون فرصة عظيمة للطعن في هذا الدين وغمز رسوله فقالوا: (ألا تعجبون؟! يحدثكم وبمانيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَمَسْئُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(2)</sup> <sup>(3)</sup> ولنا أن نتصور عظمة هذه المقولة في وعاء زماني كالذي تحدث عنه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان<sup>(4)</sup> رضي الله عنه وقد قال: «والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل هويًا ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما

(1) أخرجه أحمد [كتاب أول مسند الكوفيين/باب حديث البراء بن عازب]، (303/4).

وأخرجه النسائي [كتاب الجهاد/باب غزوة الترك والحبشة]، (43-45/6)، رقم 3173.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 12.

(3) لباب النقول، للسيوطي، (ص224-225).

(4) هو الصحابي الجليل ابن الصحابي أبو عبد الله حذيفة بن اليمان العبسي اليماني حليف الأنصار، مناقبه كثيرة مشهورة، فهو من أعيان المهاجرين وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين لا يعلمهم أحد غيره، وهو من الولاة الفاتحين، وقد صح أن رسول الله أعلمه بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة. ولآه عمر المدائن وتوفي بها (سنة 36هـ). انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (317/7)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (338-353/1)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (334-335/1)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (532-534/1)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (30-35/4)؛ الإصابة، لابن حجر، (476-477/1)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (197-198/2).

فعل القوم، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع، أدخله الله الجنة؟ فما قام رجل.. ثم صلى رسول الله ﷺ هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد. فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني»<sup>(1)</sup>.

خوف شديد.. وجوع شديد.. وبرد شديد.. كل ذلك كان تربة خصبة نجم فيها النفاق بقوة، وأطال المنافقون قروئهم وهم يرون -فيما ظنوا- أن فرصة استئصال المسلمين من شأفتهم قد حانت.. فلا مانع من أن يتنفسوا من الكبت الذي يعانونه: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَمَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(2)</sup>. وهو أسلوب واضح في المنافقين.. يتحينون الفرص وقد يتصيدونها، ثم يتخبرون من كنانة أضغاثهم ما يروونه مناسبًا من سهام يطلقونها تبحث لها عن غرض تنفذ إليه.

**4-زواجه ﷺ من زينب بنت جحش:** لقد أعلم الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن مولاه زيد بن حارثة سيطلق زوجته، فإذا طلقها كان على النبي ﷺ أن يتزوجها إبطالا للعرف الجاهلي السائد آنذاك، من أن للمتبنى منزلة الولد على النحو الذي ذكرته في الفصل الأول<sup>(3)</sup>.

ولكن الأمر عند الناس غير الأمر عند الله، فإذا سلّم المسلمون الأمر لله ورسوله امتثالًا للقاعدة القرآنية التي تحكمهم في شؤونهم كلها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾<sup>(4)</sup> فإن الأمر غير ذلك عند المنافقين ومرضى القلوب وهم الذين يرون في مثل هذه المناسبات التي تساق إليهم فرصًا لا يعبروا فيها عن شعورهم الرفض، ولكن ليتسللوا منها بالطعن والتجريح إلى شخص الرسول ﷺ، وإذا استطاعوا أن يحيطوا شخصه ﷺ بالطعون أو بالشبهات التي يلقونها عليه، فقد حطّموا الثقة التي يضعها فيه أصحابه، وإذا كان لهم ذلك فما أيسر أن يتهاوى بعدها الدين

(1) أخرجه أحمد [كتاب باقي مسند الأنصار/باب حديث حذيفة بن اليمان عن النبي]، (392/5)، رقم 23382.

وأخرجه قريبًا منه مسلم [كتاب الجهاد والسير/باب غزوة الأحزاب]، (1414/3)، رقم 1788.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 12.

(3) انظر: ص 71 وما بعدها.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 36.

الجديد الذي جاء به: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾<sup>(1)</sup> ويأبى الله إلا أن تصيب سهامهم أرضاً صلبة لا تأخذ فيها المعاول، بل كانت المعاول هي التي تتحطم تباعاً الواحد تلو الآخر ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

**5- غزوة بني المصطلق:** كانت الأمور تسير في هذه الغزوة سيراً طبيعياً كما سارت في جلّ غزواته ﷺ لولا أن ازدحم على الماء رجلان أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار ثم اقتتلا، فما كان من الأنصاري إلا أن نادى: يا معشر الأنصار، ونادى المهاجري يا معشر المهاجرين.. وسمع مقولة المهاجري هذه عبد الله بن أبي فلقها كما تلقف الحية فريستها، ونفخ فيها من سموم أحقادها وأضغانها ما نفخ.

لنستمع إليه وهو يقول كما روت كتب السيرة: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك. أما والله لعن رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعز منها الأذل<sup>(3)</sup> قال ذلك وقد رأى (الفرصة سانحة لإثارة حفاظهم وإحياء ما أماته الإسلام من نعرات الجاهلية)<sup>(4)</sup> يثيرها فيهم ويستفزهم بها.. ثم أقبل على من كان معه من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم<sup>(5)</sup>.

وقد لخص القرآن الكريم هذه المقولة السافرة في كلمات أحسب أنها أشارت إلى أسلوب من أساليب المنافقين في التعامل مع شتى أحداث المجتمع وما يقع فيه من حركة أو نشاط يتصيدونه أو يتلقفونه ثم يلونونه بما يستجيب لنواياهم الخبيثة التي حبستهم على الإسلام: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَكَلَّ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(6)</sup> وهو أسلوب ينبئ عن خسة أنفسهم، وقد ظنوا في غيرهم بما ظنوه في أنفسهم إنما

(1) سورة التوبة، الآية: 32.

(2) سورة الصف، الآية: 08.

(3) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (206/3).

(4) فقه السيرة، لمحمد الغزالي، (ص287).

(5) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (206/3).

(6) سورة المنافقون، الآية: 07.

تستعبد لهم لقمة العيش يلهثون وراءها ليس لهم من غاية في هذه الحياة غيرها، وهو أسلوب قديم سلكته قريش مع المسلمين في مكة: حاصرهم ومن ناصرهم جميعا وأصدرت في حقهم مقاطعة اقتصادية واجتماعية ونفسية، إلا أن ذلك لم يزدهم إلا ثباتا و يقينا ﴿وَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(1)</sup>:

- لا يفقهون أن أسلوبهم هذا أسلوب كاسد قد جربه الأولون ولم يفلحوا فيه.

- لا يفقهون أن خزائن السموات والأرض لله وحده ليس له فيها شريك، وهو ينفقها كيف يشاء ولا يجبسها عمن ينفقها عليه حابس.

### -ثانيا: الإرجاف

لئن عنيت بالنقطة السابقة أن المنافقين كانوا يتتبعون أحداثا كانت تقع فعلا ولا يختلقونها من عند أنفسهم، وإنما كانوا يتسللون منها ليضفوا عليها ما شاءوا من طعن يزرعون بذلك الفتنة، فإني أعني بالإرجاف إشاعة الكذب والتماس الباطل للاغتمام به<sup>(2)</sup>، وهو أسلوب يلجأ فيه المنافقون إلى نوازع عقولهم يتخيلون منها ويجبكون ما شاءوا من زور ومن كذب يقذفون بهما لهيبا يسري في المجتمع يطربون لصداه ويرقصون.

وكان من أعظم الأراجيف التي أطلقها المنافقون والتي كان لها أعظم وقع على النبي ﷺ وأصحابه قصة الإفك<sup>(3)</sup> التي قذفوا فيها السيدة عائشة رضي الله عنها في عرضها، وأرادوا من وراء ذلك القذف الطعن في زوجها صاحب الرسالة وقد أعياهم صدقه وورعه وتقواه عن أن يجدوا له مدخلا ينفذون منه إليه.

إن المنافقين لم يروا من أمر صفوان بن المعطل وعائشة -رضي الله عنهما- سوى أنه طلع على القوم يقودها وهي في هودجها، وهو أمر كاف بالنسبة إليهم ليتصوروا بقية القصة التي حكاها القرآن الكريم، ولا معنى لقيم التحري والتثبت ولا لبشاعة القذف والبهتان وما ينتج عنهما من فساد في المجتمع عند قوم:

-عدموا الإيمان بالله واليوم الآخر.. فلا ثواب يرجونه، ولا عقاب يخشونه.

-آمنوا -ظاهرا- بدين هم له كارهون، ولنبيه مبغضون حاقدون.

---

(1) في هذه الآية ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ وفي الآية التي تليها ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وذلك كما قال الرازي: ليعلم بالأول قلة كياسة المنافقين

وفهمهم، وليعلم بالثاني كثرة حماقتهم وكثرة جهلهم. انظر: التفسير الكبير، للرازي، (17/30).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (222/14)؛ الكشاف، للزمخشري، (ص865).

(3) انظر تفاصيل القصة: ص65 وما بعدها.

-يتمنون في كل مناسبة قتال أن لو يظهر الكافرون على أتباع الإسلام فيسيدهم  
ويسحقوهم.

بل إن المنافقين لم يقفوا عند معاني الثبت والتحري وقد عجزوا عن أن تطاوعهم فيها  
أنفسهم، وإنما انتقلوا إلى مرحلة أخرى من العداة وهي الإرجاف واختلاق الأكاذيب وتلفيق  
التهم، وقد أشار إلى هذه المعاني إجمالاً قوله تعالى من سورة الأحزاب: ﴿لَنْ لَمَّ يَتَّهِمُ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي  
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(1)</sup>.

والذي عليه أهل التفسير أن هذه الأوصاف الثلاثة من نفاق ومرض في القلب وإرجاف  
إنما هي أوصاف لشيء واحد كما ذكر ذلك الإمام القرطبي في تفسيره، قال: (هم شيء واحد،  
يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء، والواو مقحمة... والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المؤمنين  
بما يسوءهم من عدوهم، فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ: إنهم قد قتلوا أو هزموا، وإن  
العدو قد أتاكم، قاله قتادة وغيره. وقيل كانوا يقولون: أصحاب الصفة<sup>(2)</sup> قوم عزاب، فهم الذين  
يتعرضون للنساء)<sup>(3)</sup>، وقيل غير ذلك.

وقد مر معنا في الفصل الثاني أن الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا يشيعون عن النبي ﷺ  
وأصحابه أخبار السوء كذبا من عند أنفسهم وبهتاناً، يقولون: إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في  
سفرهم وهلكوا، وأشاعوا ذلك في المدينة ونشروه:  
-يتنفسون به من كرب النفاق الملتهب في قلوبهم.

-ويغيظون به أهالي الذين خرجوا في الغزوة، والذين خلفهم النبي ﷺ على المدينة.

وخلف رسول الله ﷺ في هذه الغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله كما ذكر ذلك

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 60.

(2) قال عبد الرحمن المباركفوري: (أصحاب الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء هم زهاد من الصحابة فقراء غرباء  
وكانوا سبعين ويقبلون حيناً ويكثرون حيناً، يسكنون صفة المسجد لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد، وكانوا متوكلين  
ينتظرون من يتصدق عليهم بشيء يأكلونه ويلبسونه). تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلا  
محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1424هـ-2003م،  
(67/7).

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (222/14).

ابن هشام، قال: (وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالا له وتخفّفا منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف<sup>(1)</sup> فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استثقلتي وتخفّفت منّي، فقال: كذبوا، ولكنّي خلّفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنّه لا نبيّ بعدي، فرجع عليّ إلى المدينة)<sup>(2)</sup>.

### -ثالثا: الغمز واللمز-

إنّ المنافقين قوم لا مبدأ لهم ولا ضمير يوقفهم أو يضبط سلوكهم، لذلك تجدهم يتلوّنون مع كلّ حدث، ويفنّون أساليبهم الخبيثة يتغون بذلك الفتنة بين المسلمين، فإن لم يصيها كفاهم منها الاهتمام الذي يجدون آثاره في وجوههم، ومن تلك الأساليب أسلوب الهمز واللمز، وقد استعملوه مع النبي ﷺ ومع أصحابه جميعا ولم يتورّعوا في ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْنَخُونُ﴾<sup>(3)</sup>.

قال ابن الأثير: (اللمز العيب والوقوع في الناس، وقيل هو العيب في الوجه، والهمز العيب بالغيب)<sup>(4)</sup>.

وقال ابن منظور: (اللمز العيب في الوجه، وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع

(1) الجرف: بالضم والسكون؛ موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (128/2).

(2) السيرة النبوية، لابن هشام، (128/4).

وأصل القصة ثابت في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ «أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي». متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة]، (ص799)، رقم4416.

وأخرجه مسلم [كتاب فضائل الصحابة/باب من فضائل علي بن أبي طالب]، (1870/4)، رقم2404.

(3) سورة التوبة، الآية: 58.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (269/4).



كلام خفي<sup>(1)</sup>.

وقال القرطبي: (ورجل لماز ولمزة أي عيَّاب، ويقال أيضا: لمزه يلّمزه إذا دفعه وضربه. والهمز مثل اللّمز، والهامز والهمّاز العيَّاب، والهمزة مثله... ثم قيل: اللّمز في الوجه، والهمز بظهر الغيب)<sup>(2)</sup>.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي<sup>(3)</sup> فقال اعدل يا رسول الله، فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة... قال: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾<sup>(4)</sup>»<sup>(5)</sup>.

ويقرر النص القرآني بهذا (أن القولة قولة فريق من المنافقين يقولونها لا غيرة على الدين، ولكن غضبا على حظ أنفسهم، وغیظا أن لم يكن لهم نصيب.. وهي آية نفاقهم الصريحة، فما يشك في خلق الرسول ﷺ مؤمن بهذا الدين، وهو المعروف حتى قبل الرسالة بأنه الصادق الأمين... وواضح أن هذه النصوص تحكي وقائع وظواهر وقعت من قبل، ولكنها تتحدث عنها

---

(1) لسان العرب، لابن منظور، (406/5).

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (94/8)؛ وانظر: التفسير الكبير، للرازي، (78/15-79).

(3) هو ذو الخويصرة التميمي واسمه حرقوص، ويقال هو ذو الثدية، رأس الخوارج. قال ابن حجر: ذكره ابن الأثير في الصحابة ولم يورد في ترجمته سوى ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد قال بينا رسول الله ﷺ يقسم ذات يوم قسما فقال ذو الخويصرة رجل من بني تميم يا رسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل الحديث، قال: وعندي في ذكره في الصحابة وقفة.

انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (540/1)؛ تهذيب الكمال، للمزي، (264/13)؛ الإصابة، لابن حجر، (1/479-480).

(4) سورة التوبة، الآية: 58.

(5) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/باب من ترك قتل الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه]، (ص1280)، رقم6933.

وأخرجه مسلم [كتاب الزكاة/باب ذكر الخوارج وصفاتهم]، (740/2)، رقم1063.

في ثنايا الغزوة لتصوير أحوال المنافقين الدائمة المتصلة قبل الغزوة وفي ثناياها<sup>(1)</sup> ومن أحوالهم تلك والتي أضحت أسلوباً من أساليبهم التي يمارسونها الغمز واللمز، وقد بدت هذه الصورة جلية يوم أن كان النبي ﷺ يستحث المسلمين على البذل والإنفاق في غزوة تبوك، وهي غزوة كانت في (زمن عسرة من الناس وشدة من الحرّ وجذب من البلاد)<sup>(2)</sup>، وقد وصفها القرآن بـ ﴿سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾<sup>(3)</sup>، وسمي جيشها بجيش العسرة لما اجتمع عليهم فيها من (عسرة الظّهر وعسرة الزّاد وعسرة الماء)<sup>(4)</sup>، وجعل النبي ﷺ يحث المسلمين على البذل والعطاء ويعدّهم بذلك الجنة<sup>(5)</sup>، فجعل الصحابة رضي الله عنهم يتحاملون كلّ ينفق ممّا عنده بما يستطيع، فكان منهم من جاء بمال عظيم، ومنهم من لم يجد إلا نصف صاع من تمر، وحينذاك وجد المنافقون فرصة يتسلّلون منها للطّعن في المنفقين المخلصين من أصحاب النبي ﷺ.. فإذا أنفق الرجل النفقة العظيمة قالوا ما فعل هذا إلا رياءً، وإذا أنفق النفقة القليلة قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا.. وفي ذلك أنزل الله قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(6)</sup>، فسواء أنفق الصحابة كثيراً أو قليلاً يجد المنافقون فيهما معاً فرصتهم التي لا يصحّ أن يضيّعوها فيلمزوا ويسخروا، وذلك أسلوب من أساليبهم الحبيثة يريدون بها:

- جرح مشاعر المنفقين.

- حبس الناس عن الإنفاق.

- السّخرية والاستهزاء.

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3/1668).

(2) انظر: ص 81.

(3) سورة التوبة، الآية: 117.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/197).

(5) عن أبي عبد الرحمن «أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من حفر رومة فله الجنة فحفرتها؟ أستم تعلمون أنه قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتم؟».

أخرجه البخاري [كتاب الوصايا/باب إذا وقف أرضاً أو بئراً واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين]، (ص 499)، رقم 2778.

(6) سورة التوبة، الآية: 79.

سيما إذا كان الإنفاق من قوم كالذين وصفهم القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

و(الجهد: شيء قليل يعيش به المقل)<sup>(2)</sup> ولا يخفى ما لأسلوب السوء ذاك من أثر في

نفوس من يرغب من الناس في البذل والإنفاق.

فإذا كان اللمز مقرونا بما دل عليه أصله اللغوي الذي وضع له من إشارة بالعين والرأس

والشفة، كان الأثر أكبر وأعظم، وعادة ما يتبع اللمز أسلوب يترجم الجو الذي أراد أصحابه

إحداثه من لمزهم ذاك وهو السخرية والاستهزاء: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا

يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾<sup>(3)</sup>.

قال الإمام القرطبي: ﴿فَيَسْخَرُونَ﴾ عطف على ﴿يَلْمِزُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

#### رابعاً: التثييط والتخذيل

إن أسلوب التثييط والتخذيل أسلوب شائع عند المنافقين شيوع مواطن الغزو والجهاد في

العهد المدني، وهو أسلوب يلجأ إليه المنافقون لتحقيق جملة من الأهداف أحسب أن منها:

-إحداث الانقسام داخل الصف المسلم.

-إضعاف جيش المسلمين عن طريق عملية الترف التي يحاولونها.

-تخطيط معنويات الجيش.

-تكثير أعداد المخلفين: حتى يسهل التواري من جهة، وتخفّ وطأة المحاسبة من جهة

أخرى.

وقد بدأ المنافقون ممارسة هذا الأسلوب مبكراً، وظهر ذلك منهم في المراحل الأولى لنشأة

النفاق، فقد انسحبوا من غزوة أحد يتزعمهم كبيرهم عبد الله بن أبي، ولم يكن انسحابهم

انسحاب قوم اختلف الأمر بينهم وبين الجيش أو قائده، كما لم يكن انسحابهم لتقديرات

عسكرية طارئة رأوا من الضرورة التكيّف معها فلم يكن لهم بد من الانسحاب حينئذ..

لا.. ليس الأمر هذا ولا ذاك، وإنما هي خطة مبيّنة سلفاً، وأسلوب أصبح لصيقاً بهم ولم

(1) سورة التوبة، الآية: 79.

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/139)؛ وانظر: التفسير الكبير، للرازي، (16/115).

(3) سورة التوبة، الآية: 79.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/139)

يفارقهم أبدا طيلة العهد المدني كله.

لقد مر معنا من قبل أن ابن أبي عمير عمل جهده على إقناع النبي ﷺ بضرورة البقاء بالمدينة والاحتماء بها، ورغم أن ذلك كان رأيه هو أيضا ﷺ، إلا أنه لم يعمل به، ورأينا أن عبد الله بن أبي عتذر عن انسحابه من الجيش وجرّ معه ما يقارب ثلثه بقوله: أطاعهم وعصاني؟<sup>(1)</sup>.

إن هذه المقولة كان يمكن أن تكون اعتذارا مقبولا لو بقي بالمدينة ولم يخرج إلى أحد ولم يسر مع الجيش أصلا، أمّا وأنّه كان رافضا للخروج ثم خرج، حتى إذا كان بين المدينة وأحد انسحب بمن معه من الجيش فإن ذلك لا يعني إلا شيئا واحدا هو ممارسة التخذيل والتشبيط في الوقت المناسب، والذي أصبح أسلوبا من أساليبهم اللصيقة بهم.

وأحسب أنه ما منّا من أحد إلا وهو يرى أن عبد الله بن أبي لم يكن يجهل -أبدا- عدد من وراءه ممن كان على شاكلته.. حتى إذا رأى أن العدد عدد معتبر وكاف لأن يصنع به الحدث الذي يريده، سار في الجيش وقد أخفى في نفسه ما أبداه فيما بعد حينما رأى الفرصة مواتية<sup>(2)</sup>، وتلك تحليلات أستأنس بها في تقرير هذه الحقيقة، أعني: محاولة التشبيط والتخذيل، فالانسحاب لم يكن مجرد هروب أو تخاذل، وإنما هو ممارسة واعية لأسلوب بدا واضحا في الجولات التي تلت غزوة أحد، ومن ذلك نداؤهم المكشوف الذي سجله عليهم القرآن الكريم يوم الأحزاب: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾<sup>(3)</sup> يأمرون الناس بالهروب والفرار من معسكر النبي ﷺ أملا في تركه وحده أو في ملاء من أصحابه لا يقوون على الوقوف في وجه تلك الأحزاب التي جاءتهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

وكما مارس هذا الأسلوب طائفة من المنافقين علنا لم يتواروا في ذلك ولم يتورعوا، مارسه كذلك طائفة أخرى منهم خفية مع (أصحابهم وعشرائهم وخطائهم)<sup>(4)</sup> ممن يثقون فيهم أو ممن يرون في أنفسهم القدرة على التأثير فيهم، فنزل القرآن الكريم يفضحهم ويفضح أسلوبهم هذا، ويكشفهم للنبي ﷺ وأصحابه حتى يخنسوا: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ

(1) انظر: ص 52-53.

(2) انظر: ص 133-134.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 13.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 1487).

لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا»<sup>(1)</sup>.

قال ابن جرير الطبري: (هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس<sup>(2)</sup>، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك)<sup>(3)</sup> وحينما أمر النبي ﷺ الناس بالتهيؤ لقتال الروم وكان ذلك في زمن عسرة وشدة حر، وجد المنافقون فرصة عظيمة لترويج هذا الأسلوب؛ أسلوب التثييط والتخذيل:

-للأحوال التي صحبت الإعلان عن الغزوة من حر شديد والوقت وقت ثمار، و(الناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه)<sup>(4)</sup>.

-ولأن القتال قتال الروم، وقاتل الروم -لدى مرضى القلوب- مخاطرة بينة العواقب.. فلقد قال قائلهم: أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم؟! والله لكأني بكم غدا مقرنين في الحبال<sup>(5)</sup>.  
لذلك وجدناهم يكشفون عن أسلوبهم هذا وقد ظنوا أن الحجة لهم: ﴿فَسِرْحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾<sup>(6)</sup>  
يقولون ذلك وكأنما عادتهم الجهاد والخروج للقتال ولا يعرفون التخلف، وإنما هو أسلوب التثييط يكسونه بما يرونه مناسبا، أو بما يحسبون أنه يستجيب لطبيعة الأحوال التي تصاحب أسلوبهم ذاك.  
وقد أثبت الله هذا الأسلوب للمنافقين بصورة إجمالية في سورة النساء في معرض حديثه

(1) سورة الأحزاب، الآية: 18.

(2) إنما هم أكلة رأس: بمعنى أنهم قليل يشبعهم الرأس الواحد، ثم أصبح مثلا يضرب للقوم يقل عددهم.  
انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (14/140)، هامش المحقق رقم (1)؛ مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، (د.ت.ط)، (1/67).

(3) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (21/139).

(4) انظر: ص 81.

(5) انظر: ص 84.

(6) سورة التوبة، الآية: 81.

عن المنافقين من غير ارتباط بمناسبة بعينها دلالة على أن الفعل متكرر منهم ملازم لهم: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْغِطَنَّ﴾<sup>(1)</sup> والذي عليه جمهور المفسرين - وهو الصحيح من أقوالهم كما أشار القرطبي<sup>(2)</sup> - أن الآية تعني المنافقين، وإنما خاطب الله المؤمنين بقوله ﴿مِنْكُمْ﴾ ويريد أن يقول لهم: من كان (من عدادكم وقومكم، ومن يتشبه بكم ويظهر أنه من أهل دعوتكم وملتكم وهو منافق)<sup>(3)</sup>.

وقد ساق الإمام القرطبي هذا المعنى ثم تعقبه بقوله: (وقيل المراد بقوله ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْغِطَنَّ﴾ بعض المؤمنين لأن الله خاطبهم بقوله ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ وقد فرق الله تعالى بين المؤمنين والمنافقين بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ﴾<sup>(4)</sup> وهذا يأباه مساق الكلام وظاهره، وإنما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب كما بينا لا من جهة الإيمان، هذا قول الجمهور وهو الصحيح إن شاء الله تعالى)<sup>(5)</sup> قال: (والتبطقة والإبطاء التأخر، تقول: ما أبطأك عنا فهو لازم، ويجوز بطأت فلانا عن كذا أي أخرته فهو متعدد، والمعنيان مراد في الآية؛ فكانوا يقعدون عن الخروج ويقعدون غيرهم)<sup>(6)</sup> والذي يعيننا في هذه المسألة إنما هو المعنى الثاني، أعني استعمال أسلوب التخذيل والتشبيط، يقعدون به من أطاعهم واستجاب لهم.

#### -خامسا: الإيذاء اللفظي

إن الإيذاء اللفظي وما يتبعه من غمز أسلوب لا يكاد يفارق المنافقين في أحوالهم كلها، لأنه لا يربطهم بالإسلام والمسلمين سوى نسب ظاهري لم تكن لهم الجرأة الكاملة على قطعه، لذلك وجدتهم يستعيضون عن ذلك الضغط الذي يجدونه في أنفسهم - من نفاق وتلون وحذر - بما يقذفونه من أفواههم من أذى يتفتنون في أساليبه الجارحة، وقد أثبت القرآن لهم هذا

(1) سورة النساء، الآية: 72.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (238/5).

(3) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (165/5).

(4) سورة التوبة، الآية: 56.

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (238/5).

(6) المصدر نفسه.

الأسلوب في أعقاب غزوة الأحزاب في صورة إجمالية توحى إلى أن هذا الأسلوب أسلوب ملازم لهم كلما أمنت نفوسهم: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مَرَّيْتُمْ مَبْطُورُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سُكَّتُكُمْ بِاللَّسِنَةِ كَمَا دَسَّحَتْ عَلَى الْخَيْرِ﴾<sup>(1)</sup> أي فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ضربوكم باللسنة حداد ذرية يطلبون الغنيمة<sup>(2)</sup> يقولون أعطنا أعطنا، فإننا قد شهدنا معكم.. فعند البأس هم أجبين قوم وأخوفهم، ووقت الغنيمة أشح قوم وأبسطهم لسانا، وقيل: المعنى بالغوا في مخاصمتهم والاحتجاج عليكم<sup>(3)</sup>.

وسواء قلت بالقول الأول أم بالقول الثاني؛ أعني بسط اللسان بالمطالبة بالغنيمة، أو تسليطه بالأذى لا أخرج في ذلك عن المعنى الذي أردت تقريره وهو تسليط الأذى اللفظي على المسلمين.

قال ابن جرير الطبري: (وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال ﴿سَلَقُوكُمْ بِاللَّسِنَةِ كَمَا دَسَّحَتْ عَلَى الْخَيْرِ﴾ فأخبر أن سلقهم المسلمين شحا منهم على الغنيمة والخير: فمعلوم - إذا كان ذلك كذلك - أن ذلك لطلب الغنيمة، وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة دخل في ذلك قول من قال معنى ذلك: سلقوكم بالأذى، لأن فعلهم ذلك كذلك لا شك أنه للمؤمنين أذى)<sup>(4)</sup>.

والذي يعني من هذا كله أن المنافقين كانوا يسلقون المؤمنين ﴿بِاللَّسِنَةِ كَمَا دَسَّحَتْ﴾، وفيه من دلالة الإيذاء اللفظي - الذي جعلته أسلوبا من أساليب المنافقين - ما لا يخفى، وبالرجوع إلى الأصل اللغوي الذي وضع للفظ "السلق" نجد الصياح ورفع الصوت<sup>(5)</sup>، ونجد من ذلك أيضا

(1) سورة الأحزاب، الآية: 19.

(2) انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي، (242/2)؛ الكشاف، للزمخشري، (ص851).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (141/14).

(4) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (141/21).

(5) ومنه الحديث: «أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق» أي رفع صوته عند المصيبة. انظر: الفائق، للزمخشري، (195/2)؛ لسان العرب، لابن منظور، (159/10).

والحديث أخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب تحريم ضرب الحدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية]، (99/1)، رقم 103، 104.

شدة الكلام وكثرته واسترساله<sup>(1)</sup>، وهو معنى يفيدني في تقرير طبيعة الإيذاء اللفظي الذي كان المنافقون يسلكونه أسلوبا في التعامل مع المسلمين.. ولم يكن هذا الأذى مسلطا على المسلمين فحسب، بل امتد شرره إلى النبي ﷺ نفسه، فقد كان من تعاليم الله تعالى للنبي ﷺ يواسيه بها ويسليه قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَا أَهْلَهُمْ﴾<sup>(2)</sup> ولا يعني في هذا المقام توجيه القرآن للنبي ﷺ إلى كيفية التعامل مع الكافرين والمنافقين، وإنما الذي يعنيني هو إثبات الأذى الذي كانوا يسلطونه بأفواههم على النبي ﷺ وأصحابه بصورة متكررة لافتة للانتباه.

وكان من أمثلة الأذى اللفظي الذي أضحي أسلوبا ملازما لهم ما قاله عبد الله بن أبي في غزوة بني المصطلق: ﴿يَقُولُونَ لَنْ مَرَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾<sup>(3)</sup> يريد بالأعز نفسه وبالأذل -قبحة الله- رسول الله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِكِرْسِيُّهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup> وقد قال هذا الكلام في أعقاب مناوشة وقعت بين مهاجري وأنصاري بعيدا عن أنظار النبي ﷺ، وكان يكفيه الأذى الذي أطلقه في حق الصحابة من المهاجرين ليشفي به غليلا يتأجج في صدره: (قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك)<sup>(5)</sup>، ولكنه اتخذ الحدث ذريعة للوصول إلى النبي ﷺ ذاته فيؤذيه بلسان سليط وكلمات جارحة: ﴿يَقُولُونَ لَنْ مَرَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ وإلا ما شأن النبي ﷺ في حدث لا علم له به، بل حينما سمعه قال: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة»<sup>(6)</sup>.

(1) انظر: غريب الحديث، لابن سلام، (66/1)؛ الصحاح، للجوهري، (1497/4)؛ لسان العرب، لابن منظور، (160-159/10).

(2) سورة الأحزاب، الآية: 48.

(3) سورة المنافقون، الآية: 08.

(4) سورة المنافقون، الآية: 08.

(5) البداية والنهاية، لابن كثير، (320/3).

(6) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المناقب/باب ما ينهى من دعوة الجاهلية]، (ص638)، رقم3518.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله "سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين"]، (ص928)، رقم4905.

وأخرجه مسلم [كتاب البر والصلة والآداب/باب نصر الأخ ظلما أو مظلوما]، (1998/4)، رقم2584.



ومن أمثلة هذا الأذى اللفظي في شخص النبي ﷺ ما أورده القرآن الكريم في ثنايا الحديث عن غزوة تبوك؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾<sup>(1)</sup> أي (ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله ﷺ ويعيبونه ويقولون هو أذن سامعة يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه)<sup>(2)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام فيه ويقولون ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: من قال له شيئاً صدقه، ومن حدثه فينا صدقه، فإذا جئنا وحلفنا له صدقنا)<sup>(3)</sup>.

والآية تثبت لونين من الإيذاء:

- أحدهما عام تضمنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ أي ييسطون ألسنتهم بالوقية في أذية رسول الله ﷺ بمختلف ألوان الإيذاء اللفظي.

- والثاني هو نموذج من نماذج الإيذاء تضمنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ وقد قالوا هذه العبارة يطمئن بها بعضهم بعضاً حينما يتعرضون للنبي ﷺ بما شاءوا من سخرية واستهزاء، ثم يقولون: إن اطلع محمد على أقوالنا هذه أو نقلها إليه أحد حلفنا له ما قلنا فقبل منا وصدقنا، فإنه أذن سامعة.

وفي وصف النبي ﷺ بأنه أذن ما لا يخفى من الإيذاء اللفظي الجارح الذي يحمل معاني التهكم والسخرية والاستهزاء، والتعبير فيها بالمضارع<sup>(4)</sup> يوحي إلى تكرار الفعل منهم مرات ومرات حتى أصبح ذلك أسلوباً من أساليبهم اللصيقة بهم.

(1) سورة التوبة، الآية: 61.

(2) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (168/10).

(3) انظر: ص 182.

(4) أخذت هذا المعنى من نماذج مماثلة لما أستدل له مما تفرق في كتب شروح السنن.

انظر على سبيل المثال لا الحصر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، (260/8)؛ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، بإشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1424هـ-2004م، (351/4)؛ تحفة الأحوذى، للمباركفوري، (138/8)؛ فيض القدير، للمناوي، (455/1).

## -سادسا: التشكيك وإلقاء الشبهات

إن أسلوب التشكيك وإلقاء الشبهات أسلوب من أساليب المنافقين الماكرة يتجه أساسا إلى الإسلام ذاته في محاولة منهم للانتقاص منه أو الطعن فيه، وهو فرص يتصيدونها أو تترامى إليهم فيتسللون منها، وأحسب أن أول حادثة وجد فيها المنافقون هذه الفرصة هي حادثة تحويل القبلة: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَكَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(1)</sup>.

لقد كانت الحادثة فرصة استغلها «السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ» - كما عبر القرآن الكريم - يقولون عن النبي ﷺ حينما تحول في صلاته عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة وتبعه في ذلك المسلمون: ﴿مَا وَكَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، و«السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ» المنافقون في إحدى الروايات الواردة في المسألة<sup>(2)</sup>.

إن التحول في القبلة من وجهة لأخرى - و«لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» - مسألة لا تخرج في جوهرها عن مسائل التشريع الكثيرة التي كان ينسخ بعضها بعضا على القدر الذي (اقتضته الحكمة الإلهية في تمهيد الأحكام)<sup>(3)</sup> للانتقال إلى الحكم النهائي الذي تستقر عليه الشريعة.

قال الإمام الشاطبي<sup>(4)</sup>: (وتأمل كيف تجد معظم النسخ إنما هو لما كان فيه تأنيس أولا للقريب العهد بالإسلام واستتلاف لهم، مثل كون الصلاة كانت صلاتين ثم صارت خمسا،

(1) سورة البقرة، الآية: 142.

(2) انظر: ص 47، هامش رقم (3).

(3) الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1395هـ-1975م، (104/3).

(4) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الفقيه الأصولي الحافظ، عرف بالشاطبي، كان من كبار أئمة المالكية، وكان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف. من تصانيفه: "الموافقات في أصول الشريعة" جليل جدا لا نظير له، "الاعتصام"، "المقاصد الشافية في شرح الكافية"، توفي سنة تسعين وسبعمئة وألف (سنة 790هـ).

انظر ترجمته في: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بن باب بت عمر التنبكتي، طبعة حجرية، المطبعة الجديدة بفاس، (د.ت.ط)، (ص 66)؛ شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، (1/332-333)؛ الأعلام، للزركلي، (1/75)؛ معجم المؤلفين، لرضا كحالة، (1/118-119).

وكون إنفاق المال مطلقا بحسب الخيرة<sup>(1)</sup> في الجملة ثم صار محدودا مقدرًا، وأن القبلة كانت بالمدينة بيت المقدس ثم صارت الكعبة..<sup>(2)</sup>

وأراد النبي ﷺ حين قدم المدينة (أن يستألف اليهود فتوجه إلى قبلتهم ليكون ذلك أدعى لهم، فلما تبين عنادهم وأيس منهم أحب أن يحول إلى الكعبة فكان ينظر إلى السماء، وكانت محبته إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم)<sup>(3)</sup>، ولكن أنى لليهود والمنافقين أن يفقهوا هذه المعاني؟.

وطبيعي جدا بعد ذلك أن يتزعم هؤلاء وأولئك حملة دعائية مركزة غرضها عند اليهود الحسد والانتقام، إذ لم يرقهم أن يتحول المسلمون عن قبلتهم إلى الكعبة وقد أدركوا أن برجا من أبراج الزعامة التي كانوا يشدون المسلمين تبعا إليهم فيها قد تهاوى وتحطم.. وغرضها عند المنافقين التهويش والتشويش وإثارة الشبهات، وهم الذين لا يعنيه من أمر الصلاة شيء.. فسواء توجه المسلمون في صلاتهم إلى بيت المقدس أم إلى الكعبة أم إلى وجهة أخرى قبل المشرق والمغرب يبقى الأمر عندهم بلا معنى.. ولكنهم -في كل الأحوال- يجدون فيه منفذا يتسللون منه إلى الإسلام يطعنون فيه أو يغمزون به بما يحسبون أنه شبهة يريدون أن يغرزوا أوتادا لها في قلوب المسلمين، أو أن تلقي ببعض سحبها على عقولهم، لذلك تساءلوا جميعا: ﴿مَا وَكَأَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾<sup>(4)</sup> متظاهرين -في خبث ومكر- بالاستنكار العنيف لهذا التحول وقد صوروه وكأنما هو تلاعب بالدين: تارة ههنا وتارة ههنا.. وقد يلوكون كلمة المشركين: تحير على محمد دينه<sup>(5)</sup>، وكان من نتيجة ذلك كله أن تأثر بعض المسلمين حتى قالوا: «كان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم»<sup>(6)</sup>.

وقد مارس هذا الأسلوب؛ أسلوب التشكيك وإلقاء الشبهات طائفة من المنافقين غير

---

(1) قال عبد الله دراز تعليقا: (أي في نوعه ومقداره، وإلا فالإنفاق مطلوب من أول التشريع لا خيرة فيه بمعنى

الإباحة، وهذا معنى قوله "في الجملة"). الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، (104/3)، هامش المحقق رقم (1).

(2) المصدر نفسه.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (141/2).

(4) سورة البقرة، الآية: 142.

(5) انظر: ص 130.

(6) سبق تخريجه ص 48.

طائفة العرب من الأوس والخزرج هي طائفة اليهود.

ولئن كان الحديث عن نفاق اليهود قليلاً<sup>(1)</sup> فلائنه لم يكن بمقدور اليهود عموماً إخفاء بغضائهم وحقدهم لني العرب، فلم يكن ثمت أسباب تحوجهم إلى النفاق كما أحوجت منافقي الأوس والخزرج، ولئن لجأت طائفة منهم إلى النفاق فلاسباب غير الأسباب التي ألبأت أولئك. لقد ذكرت من قبل<sup>(2)</sup> أن من أبرز سمات المنافقين أنهم يريدون أن يأخذوا ما في الإسلام من مغامم ويجتنبوا ما فيه من مغارم، وأن الذي كان يمسكهم على الإسلام أحد شيئين: غنيمة يتوقعونها أو مصائب يتقونها، أما يهود إذا نافقت فلأمر غير هذا، إنها تريد تشكيك المسلمين والعمل على (زعزعة ثقتهم في عقيدتهم ودينهم بطريقة خبيثة ماكرة لئيمة، ذلك أن يعلنوا إيمانهم بالإسلام أول النهار ثم يكفروا بالإسلام آخره كي يلقوا في روع غير المثبتين في الصف المسلم - ومثلهم موجود دائماً في كل صف - أنه لأمر ارتد أهل الكتاب)<sup>(3)</sup>: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ الْنَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾\* وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبَعَ دِينَكُمْ<sup>(4)</sup>.

نعم إنها خدعة يرجو منافقو اليهود أن ينفذوا بها إلى أتباع النبي ﷺ وهم من (العرب الأميين الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب، فإذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون حسبوا أنهم إنما ارتدوا بسبب اطلاعهم على خبيثة ونقص في هذا الدين، وتأرجحوا بين اتجاهين فلم يكن لهم ثبات على حال)<sup>(5)</sup> وتواصلوا فيما بينهم قبل أن يشرعوا في تنفيذ خطتهم هذه بقولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ أي (لا تطمئنوا وتظهروا سرهم وما عندكم إلا لمن اتبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم)<sup>(6)</sup>.

(1) أورد ابن هشام عن ابن إسحاق قائمة طويلة من منافقي الأوس والخزرج فذكر نحواً من أربعين ممن اشتهر فيهم النفاق وعلم، ولم يذكر من منافقي اليهود إلا ثمانية. انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (2/124-130).

(2) انظر: ص 160.

(3) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (1/409-410).

(4) سورة آل عمران، الآيتان: 72-73.

(5) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (1/415).

(6) تفسير ابن كثير، (ص 373-374).

## المطلب الثاني: آثار ظاهرة النفاق في المجتمع

### الفرع الأول: طبيعة النفوس البشرية

إن الإسلام هذب الصحابة رضي الله عنهم في عقائدهم وأخلاقهم تهذيباً عظيماً بدا صورة واضحة لكل ناظر، ولكن ذلك لم يخرجهم عن بشريتهم وطبيعتهم الإنسانية، فقد ظلت قائمة في نفوسهم فيها من النوازغ والتأثر ما في سائر البشر، وسأكتفي هنا اختصاراً بأربعة أمثلة ورد ذكرها في القرآن فيها إشارة واضحة إلى هذا المعنى من غير أن أحوض في التفاصيل:

**1-** حينما انتهت غزوة أحد أنزل الله قرآناً يوجه المؤمنين إلى أسباب الهزيمة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَمَّاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِمَّنْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾<sup>(1)</sup>، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر إنه ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله عز وجل: ﴿مِمَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِمَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾»<sup>(2)</sup>.

وأنزل فيها أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾<sup>(3)</sup>. والمعلوم أن الآية نزلت في الصحابة رضوان الله عليهم<sup>(4)</sup> ولا تعني المنافقين من قريب أو

(1) سورة آل عمران، الآية: 152.

(2) أخرجه أحمد [كتاب مسند المكثرين من الصحابة/باب مسند عبد الله بن مسعود]، (463/1)، رقم 4414.

(3) سورة آل عمران، الآية: 155.

(4) أخرج البخاري عن عثمان بن موهب قال: «جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوما جلوساً فقال من هؤلاء القوم؟ فقالوا هؤلاء قريش. قال فمن الشيخ فيهم؟ قالوا عبد الله بن عمر. قال يا ابن عمر، إني سألتك عن شيء فحدثني.. هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال نعم. قال تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال نعم. قال تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهداها؟ قال نعم.. قال الله أكبر. قال ابن عمر تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحتها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان، فقال له ابن عمر اذهب بها الآن معك».

أخرجه البخاري [كتاب المناقب/باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي]، (ص670)، رقم 3699.

وفي [كتاب المغازي/باب قول الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ..."]، (ص737)، رقم 4066.

من بعيد، ففي آخرها: ﴿وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

**2-** حادثة الإفك تلتفها عن المنافقين بعض أصحاب رسول الله ﷺ وخاضوا فيها مع الخائضين، وخطب الله فيها الصحابة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

**3-** وكان فيمن تخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك وأحب المقام في أهله وتناقل ثلاثة<sup>(3)</sup> من أصحاب النبي ﷺ ممن لا يعلم عليهم إلا خير، تخلفوا وما لهم عذر: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ مَّرْحِيمٌ \* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾<sup>(4)</sup>.

**4-** وكتب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتابا إلى مشركي مكة يفشي فيه سر رسول الله ﷺ ويخبرهم بعزم رسول الله ﷺ على غزوهم حتى ظن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نافق<sup>(5)</sup> واستأذن النبي ﷺ في أن يضرب عنقه، وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(6)</sup>.

هذه أمثلة أربعة من أمثلة كثيرة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الصحيحة سقتها بين يدي ما كنت أقوله لأصل من خلالها إلى ما أريد تقريره في هذا المطلب من معان تتصل به.

لست أريد بهذه الأمثلة -أبدا- أن أغمز أحدا من أصحاب النبي ﷺ أو أن أشير إلى أحد منهم بنقص -ومعاذ الله أن أفعل- ولكنني أريد أن أصل إلى نقاط ثلاثة:

أ- إن الصحابة رضوان الله عليهم جميعا قد تجسدت فيهم معاني الإسلام فصاروا له مثالا يعتقى فيهم، وقدوة يحتذي بها السالك فيه، ولكنهم ظلوا مع ذلك كله بشرا قد تخرجهم -أو تخرج بعضهم- بشرتهم عن معانيه فيقعون فيما يقع فيه سائر البشر.

ب- كان في صف الصحابة منافقون عملوا جهدهم على تقويض أركان الإسلام والطعن

(1) سورة آل عمران، الآية: 155.

(2) سورة النور، الآية: 11.

(3) انظر: ص 81.

(4) سورة التوبة، الآيتان: 117-118.

(5) انظر: ص 143-144.

(6) سورة الممتحنة، الآية: 01.

في شخص النبي ﷺ وزرع الفتنة والبلبلية في أوساط مجتمعهم بما كانوا يتصيدونه من هفوات وعورات، أو بما كانوا ينسجون حول أحداث ووقائع يقولون فيها ما شاءوا من ادعاءات باطلة أو طعون جارحة أو تعليقات ساخرة، وطبيعي جدا أن تجد تلك الأساليب كلها أو بعضها في مجتمع الصحابة - وهم في ذلك بشر-:

- من يقبل منهم قولهم ويطيعهم في بعض ما يقولون<sup>(1)</sup>.

- من يصدقهم في بعض افتراءاتهم وادعاءاتهم.

- من ينقل أخبارهم الكاذبة ويذيعها وقد انطوى عليه كذبهم فيها.

- من يتأثر لمقولاتهم تلك.

ج- إن النفاق ظاهرة قابلة للتكرار في كل عصر وفي كل زمان متى وجدت أسبابها ودواعيها. فإذا صح أن يحدث المنافقون - بأساليبهم الماكرة تلك- ما أحدثوه من آثار بليغة في «خير الناس»<sup>(2)</sup> فلنا أن نتصور بعد ذلك الآثار العظيمة التي يمكن أن يحدثوها في أقوام يخلفون القرون الثلاثة الأولى.

### الفرع الثاني: محطات لآثار النفاق

لقد تبعت في المطلب السابق مختلف أساليب المنافقين التي سلكوها من أجل الوصول إلى مبتغاهم، وها أنا أتبع في هذا المطلب مجموع الآثار التي استطاعت أساليبهم تلك أن تجعل منها حدثا في المجتمع يثبت خطر ظاهرة النفاق على الدين وعلى القيم، وقد بان لي تلك الآثار من خلال نقاط سبق أن تناولت بعضها بالدراسة والتحليل من قبل سواء في المبحث

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (86/8).

(2) طرف من حديث متفق عليه أخرجه من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وتماهه أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

أخرجه البخاري [كتاب الشهادات/باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد]، (ص467)، رقم2651، 2652.

وفي [كتاب المناقب/باب فضائل أصحاب النبي]، (ص660)، رقم3650، 3651.

وفي [كتاب الرقاق/باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها]، (ص1195)، رقم6428، 6429.

وفي [كتاب الأيمان والندور/باب إذا قال أشهد بالله أو شهدت بالله]، (ص1231)، رقم6658.

وفي [كتاب الأيمان والندور/باب إثم من لا يفي بالندور]، (ص1238)، رقم6695.

وأخرجه مسلم [كتاب فضائل الصحابة/باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم]، (4/1962-1965)،

رقم2533، 2534، 2535، 2536.

الأول من هذا الفصل أو في الفصل الثاني، ولكنني تناولتها هنالك من الزاوية التي أردت أن أصل إليها من خلال ما سقته من نقاط أو ما تمثلت به من نصوص، وأتناولها ههنا من الجهة التي أقرر بها معاني هذا المطلب، وبعض تلك النقاط لم يسبق لي أن أشرت إليها ولا أن تمثلت بنصوصها فأراني ملزماً أن أسوق لها ما يناسبها من شرح وتفصيل وبيان، وما ذكرته من قبل أفق عنده ههنا بقدر حاجتي إليه:

**1-حادثة تحويل القبلة:** لقد كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة حدثاً بارزاً، وما كان ليمر من غير ملاحظة، وذلك لاعتباره أول حدث ينتقل فيه الدين الجديد من حكم إلى حكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة»<sup>(1)</sup>، وحكى الإمام القرطبي إجماع العلماء على أن القبلة أول ما نسخ من القرآن<sup>(2)</sup>، وما دام الأمر كذلك فالناس إذن أمام أمر جديد لم يعهدوه من قبل في دينهم.. فأن يدين الناس بحكم في دين جديد ما زالت معاملته لم تكتمل بعد، وما زال كثير من الناس في شك منه وريب، ثم ينتقلوا عنه في أشهر قلائل إلى حكم آخر أمر ليس بالهين، ولا يمكن أن تدركه عقول الناس جميعاً ولما يألّفوا طبيعة التشريع الإسلامي وما فيه من تمهيد للأحكام.

إن هذا الانتقال جلب جملة من الانتقادات اللاذعة تزعمها اليهود، وتبعهم فيها مشركو العرب سخرية واستهزاء، ووجد فيها المنافقون مدخلاً يقولون فيه بما شاءوا من أقوال أولئك وهؤلاء، وقد لخص القرآن الكريم انتقاداتهم تلك في أسلوب موجز مختصر ﴿مَا وَكَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾<sup>(3)</sup>. إن هذا الاستفهام الإنكاري الذي نقله القرآن عن أصحابه يحمل جملة من الأسئلة طرحوها، أحسب -من خلال الاستقراء- أنها تتلخص فيما يأتي:

-أليس قد تحير على محمد دينه فلا يدري أين يتجه؟

-أليس هذا تلاعباً بالدين: تارة ههنا وتارة ههنا؟

---

(1) أخرجه الحاكم [كتاب التفسير من سورة البقرة]، (294/2)، رقم 3060.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى [كتاب جماع أبواب استقبال القبلة/باب استبيان الخطأ]، (12/2)، رقم 2079.

وأخرجه النسائي [كتاب الطلاق/باب ما استثنى من عدة المطلقات]، (188/6)، رقم 3496.

وفي [كتاب الطلاق/باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث]، (212/6)، رقم 3498.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (141/2).

(3) سورة البقرة، الآية: 142.



-ألا يكون محمد قد اشتاق إلى بلده وأهله؟

-أليس يزعم أنه يتبع ملة إبراهيم حنيفاً؟

-ألم يكن التوجه إلى الكعبة من أول مقدمه إلى المدينة أسلم له من هذا التلاعب؟

ولم يكن ليزعج المسلمين في هذه الضوضاء مقولات اليهود فيها، لأنه لم يكن لهم معهم صلة أو خلطة، وقد أدركوا -من خلال مواطن كثيرة متعددة- حسدهم وبغضاهم التي بدت من أفواههم، وعلموا أن ما تخفيه صدورهم أكبر مما قد بدا لهم، وعاشوا الذي أخبرهم به النبي ﷺ عنهم: «إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام أمين»<sup>(1)</sup>.

وما كانوا ليلتفتوا إلى مقولات المشركين أيضاً، لأنهم يعلمون أن طبيعة الصراع القائم معهم تنحو بهم هذا النحو، وما كانوا لينتظروا منهم غير هذا..

ولكن حينما يتعداهما الأمر إلى قوم هم جزء منهم ثم يرددون ما قاله هؤلاء أو أولئك، فإننا ألفينا الأمر حينئذ يأخذ أبعاده في أصحاب رسول الله ﷺ بنقطتين اثنتين:

أ- كان من نتائج تلك الضوضاء التي أحدثها المنافقون واليهود أن خيمت سحابة كبيرة من الحيرة والشك على أصحاب رسول الله ﷺ فتساءلوا فيما بينهم لا يدرون إجابة لما يقولون: إذا كانت هذه القبلة هي القبلة التي أمرنا -أخيراً- أن نتوجه إليها، وإذا من الله علينا بأن أبقانا إلى هذا اليوم الذي صححنا فيه وجهتنا إلى الله، فما بال إخواننا الذين قتلوا من قبل ولم يدركوا هذا اليوم ولم يولوا وجوههم شطر هذه القبلة؟.

وقد جسد هذا المعنى قول البراء بن عازب: «كان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾<sup>(2)</sup>»<sup>(3)</sup> أي (بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى، أي ليعطيكم أجرهما جميعاً)<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه أحمد [كتاب باقي مسند الأنصار/باب حديث السيدة عائشة]، (6/134)، رقم 25073.

(2) سورة البقرة، الآية: 143.

(3) سبق تخريجه ص 48.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 218).

ب- وكان من نتائج ذلك أيضا ما أخرجه ابن جرير الطبري بسنده عن ابن جريج<sup>(1)</sup> قال: قلت لعطاء<sup>(2)</sup> ﴿إِنَّا لَنَعْلَمُ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَمِّيهِ﴾<sup>(3)</sup> فقال عطاء: يتتليهم ليعلم من يسلم لأمره. قال ابن جريج: بلغني أن ناسا ممن أسلم رجعوا فقالوا مرة ههنا ومرة ههنا<sup>(4)</sup>. وذكر الإمام القرطبي عند قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَمِّيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾<sup>(5)</sup> قال: (يعني ممن يرتد عن دينه، لأن القبلة لما حولت ارتد من المسلمين قوم وناق قوم.. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة)<sup>(6)</sup>.

قال ابن كثير: (وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه)<sup>(7)</sup>، وهو ما وجدناه

**(1)** هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم صاحب التصانيف، ولد سنة ثمانين، روى عن أبيه ومجاهد وعطاء وطاوس والزهري، وكان من محور العلم وأحد الكبار، وهو أول من دون العلم بمكة، تفرد بإمامة الحرم بعد قيس بن سعد، وكان صاحب تعبد وتجدد وكان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيام من الشهر، وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ. كان ابن جريج ثقة حافظا لكنه يدللس بلفظه ومن ثم دخل عليه الداخلة في رواياته. توفي ابن جريج (سنة 150هـ) وقيل (149هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (491/5-492)؛ الثقات، لابن حبان، (93/7-94)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (163/3-164)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (486/6-493)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (303/5-307)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص81).

**(2)** هو عطاء بن أبي رباح، أحد الأئمة الأعلام من التابعين، مفتي مكة ومحدثها، روى عن عائشة وأبي هريرة وابن عمر، وعنه أبو حنيفة ومجاهد والأعمش، توفي (سنة 114هـ) وقيل (116هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (467/5-470)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (356/3-374)؛ صفة الصفوة، لابن الجوزي، (459/1-461)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (261/3-263)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (552/5-559)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (75/1-76)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (567/5-570).

**(3)** سورة البقرة، الآية: 143.

**(4)** جامع البيان، لابن جرير الطبري، (12/2-13).

**(5)** سورة البقرة، الآية: 143.

**(6)** الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (147/2).

**(7)** تفسير ابن كثير، (ص217-218).

حقيقة عند الصحابة رضوان الله عليهم يوم أن جاءهم الخبر أول مرة.. قال عبد الله بن عمر<sup>(1)</sup>:  
«بيننا الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة  
قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى  
الكعبة»<sup>(2)</sup>، وهي ترجمة كاملة لمعاني الطاعة والتسليم لله ولرسوله، ولكن ضعاف النفوس وأهل  
الشك والارتياب لا يخلو منهم عصر ولا مجتمع، وقد يتلقون الخبر أول مرة ولا يعرفون لهم فيه  
موقفا ولا رأيا، أو لا يلقون له بالا، فإذا تصيده المتربصون -من هو محسوب على المسلمين أو من

(1) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، ولد قبل البعثة بسنة، هاجر مع أبيه وهو  
صغير لم يبلغ، شهد الخندق وما بعدها، كان شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى حتى إنه ترك المنازعة على  
الخلافة ولم يقاتل في الفتن، كان من أكثر رواة الحديث عن الرسول والصحابة، وهو أحد العبادلة الأربعة من فقهاء  
الصحابة، وهو من أشد الناس اتباعا للأثر. توفي بمكة (سنة 73هـ)، وقيل (74هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (4/142-188)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/363-388)؛  
رياض النفوس، لعبد الله بن محمد المالكي، (1/61-62)؛ تاريخ بغداد، للبغدادي، (1/182-184)؛ الاستيعاب،  
لابن عبد البر، (3/950-953)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/235-240)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان،  
(3/28-31)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/346-373)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/253-258).

(2) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الصلاة/باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى إعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة]،  
(ص78)، رقم403.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله: "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على  
عقبه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم"]،  
(ص814)، رقم4488.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك"]، (ص814)، رقم4490.  
وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"]، (ص815)، رقم4491.  
وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله  
بغافل عما تعملون"]، (ص815)، رقم4493.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره"]،  
(ص815)، رقم4494.

وفي [كتاب أخبار الآحاد/باب ما جاء في إجازة خبر الواحد]، (ص1338)، رقم7251.

وأخرجه مسلم [كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة]، (1/374)، رقم526.

غيرهم كاليهود والمشركين في هذه القصة- وأطلقوه سخرية أو طعنا أو تشكيكا صار للقضية حينئذ محلها في قلوبهم، وأحدثت في نفوسهم ارتجاجا تصل درجاته عند بعض الأفراد إلى حد الارتداد عن الدين كله سيما وهم يرون من يعدون مسلمين - ولم تكتمل بعد ملامح نفاقهم- يرددون تلك المقولات أو يشيعونها، ومن هؤلاء من يضعف عن مواجهة الناس بحقيقته الجديدة، فيتخذ النفاق أسلوبا يوارى به آثار ما أحدثته الصدمة في نفسه.

**2- آثار المنافقين في غزوة أحد:** لئن تناولت أحداث غزوة أحد وما كان فيها من نشاط للمنافقين في مواطن متفرقة من هذا البحث، فإن الذي لم أتحدث عنه هنالك ولم أشر إليه هو ما كان من آثار أصابت جيش الرسول ﷺ من ظاهرة النفاق التي طفت فوق السطح بعد أن انسحب عبد الله بن أبي بن قحافة ثلث الجيش، وقد اختار أن يسير مع الجيش أولا وكأنما أراد أن يطمئن الرسول ﷺ ومن معه إلى كثرة العدد الذي يتشجع به على ملاقاتة قريش بعد أن اطمأن هو إلى أن عدد من ورائه كاف لينزح به الجيش، فلما كان بين المدينة وأحد فعل فعلته التي فعل (على مرأى ومسمع من عدوهم حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ) وتنهار معنويات من بقي معه، بينما يتشجع العدو وتعلو همته لرؤية هذا المنظر فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على النبي ﷺ وأصحابه المخلصين، ويصحو بعد ذلك الجو لعودة الرياسة إلى هذا المنافق وأصحابه<sup>(1)</sup>.. وكاد اللعين ينجح في خطته هذه ويكون له ما بيته لولا أن تدخلت إرادة الله بالحفظ والعناية والتثبيت، قال تعالى جل شأنه: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(2)</sup>، عن جابر رضي الله عنه قال: «نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ بني سلمة وبني حارثة»<sup>(3)</sup>.

(1) الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، (ص 297).

(2) سورة آل عمران، الآية: 122.

(3) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون]، (ص 735)، رقم 4051.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا"]، (ص 829)، رقم 4558.

وأخرجه مسلم [كتاب فضائل الصحابة/باب من فضائل الأنصار]، (4/1948)، رقم 2505.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الفشل: الجبن، وكان همتما الذي همتا به من الفشل: الانصراف عن رسول الله ﷺ والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبي بن سلول بمن معه جبنا منهم من غير شك منهم في الإسلام ولا نفاق)<sup>(1)</sup> ولكنه تخذيل المنافقين الذي كاد يجد له سبيلا إلى الطائفتين لولا أن عصمهما الله مما همتا به تحت وطأة ذلك التأثير الرهيب في مثل ذلك الظرف العصيب، وقد تبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يناشدهم أن ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾<sup>(2)</sup> أي: ابقوا معنا ولا تنصرفوا و(كثروا سوادنا وإن لم تقاتلوا معنا، فيكون ذلك دفعا وقمعا للعدو، فإن السواد إذا كثر حصل دفع العدو)<sup>(3)</sup> فلما أصروا على الانسحاب تسلل الجبن إلى الطائفتين وقد رأنا عددا معتبرا من الجيش ينسحب، وهمتا بالانصراف والرجوع خوفا وجبنا.

ولعل مرد هذا الهم إلى أمور ثلاثة:

- أولها أن أمر النفاق لم تتبين بعد معاملته في الأشخاص الذين يحملونه أو يتهمون به، إذ لم يسبق للمنافقين أن برزوا قبل أحد بهذا الحجم الذي برزوا به اليوم، فقد كانوا من قبل جزءا حقيقيا من المسلمين.

- ثانيها أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يتعودوا بعد أساليب المنافقين، وما فعلوه يوم أحد أمر جديد فاجأ هؤلاء الذين لم يكونوا ينتظرونه.

- ثالثها أن الجبن الذي أصابهم وكادوا به ينصرفون إنما أتاهم من حيث رؤيتهم تناقص عدد الجيش أمام العدد المعتبر الذي انسحب، وأن العدد الباقي لا يقوى على مجابهة خيلاء قريش التي أعدت للأمر عدته.

ومهما يكن من تحليل أو تفسير فإن محل الشاهد من هذا كله أن المنافقين استطاعوا أن يحدثوا بصنيعهم ذلك تأثيرا نفسيا في طائفتين من الصحابة كاد يدفعهم إلى ذات الصنيع الذي سلكه المنافقون - مع اختلاف الدوافع والأساليب - لولا أن عناية الله تدخلت بحفظ الطائفتين

(1) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (74/4).

قال الزمخشري: والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس كما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الملح، ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر. انظر: الكشاف، للزمخشري، (ص193).

(2) سورة آل عمران، الآية: 167.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (250/4).

مما قد همتا به، وتمت كلمة الله وحكمته: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبَاذِنِ اللَّهُ وَكَيْعَلَمَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَكَيْعَلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

**3- إجلاء يهود بني النضير:** إن التأثير الذي أحدثه المنافقون في هذه الغزوة تأثير خارجي لم تتجسد نتائجه في الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما مست أقواما يربطهم بالمسلمين عهد نقضوه بغدرهم وخيانتهم، فلما أعلم الله نبيه بذلك أرسل إليهم يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، وحينذاك وجد ابن أبي - رأس المنافقين - فرصة يتسلل منها لتحقيق أغراضه الدنيئة، فأرسل إلى يهود بني النضير يعدهم ويمنيهم ويقول لهم: (لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاءكم من غطفان)<sup>(2)</sup> يقول ذلك وهو إنما يريد أن يجرتهم بتلك الأمانى على رسول الله ﷺ، فلم يزل ينفخ فيهم حتى اجترؤوا عليه ﷺ، وأرسل حبي بن أخطب إلى رسول الله ﷺ - وقد طمع فيما يقول ابن أبي - يقول له في جرأة كاملة: (إننا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك)<sup>(3)</sup>.

وقد حكى الله تعالى هذه التجربة الوقحة من المنافقين في سورة الحشر فقال: ﴿الْمُتَرِّإِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَكَأَنَّا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾<sup>(4)</sup> وفي الآية حديث عن المنافقين وكيدهم و(تعجب من اغترار اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر، مع علمهم بأنهم لا يعتقدون ديناً ولا كتاباً)<sup>(5)</sup>: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(6)</sup> كاذبون فيما يقولون وكاذبون فيما يعدون ﴿لَئِن أُخْرِجُوا لَيَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 166-167.

(2) انظر: ص 61.

(3) انظر: ص 61.

(4) سورة الحشر، الآية: 11.

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (31/18).

(6) سورة الحشر، الآية: 11.

قُوتُوا لَأَيُّ نَصْرٍ وَهُمْ وَلَكِنَّ نَصْرُهُمْ لِيُؤْتِيَنَّ الْأَدْبَارَ<sup>(1)</sup> وتلك حقيقتهم.. كشفها القرآن الكريم وكشفها الواقع لاحقاً حينما تربص بنو النضير منهم ما وعدوهم من قتال معهم ونصرة فلم يفعلوا، فكان مثلهم في ذلك ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانَ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ مَرَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(2)</sup>.

وواضح من هذه القصة كلها أنها تحكي أثراً من آثار كيد المنافقين في المجتمع بتدخلهم -سراً وخفية- في بعض الأحداث عن طريق صناع الرأي فيها - كما فعلوا ههنا مع حيي بن أخطب زعيم بني النضير - يوسوسون لهم بالأمان الكاذبة والتزيين الباطل ويستدرجونهم إلى ما ييغون من تجرئة على الإسلام واستئساد عليه وسعي لقلب الأمور وتوجيهها الوجهة التي يريدون، فإن عدموا ذلك كفاهم أن تسير الأمور على غير ما يريد المسلمون ويرغبون.

**4- آثار المنافقين في غزوة بني المصطلق:** لقد (خرج مع المسلمين في هذه الغزوة عدد كبير من المنافقين كان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة وذلك بما رأوا من اطراد النصر للمسلمين وطمعا في الغنيمة)<sup>(3)</sup> التي أضحت الحسنى الغالبة على الظن من الحسنين اللتين يتربصونهما بالمسلمين<sup>(4)</sup>، وكان الأمر كذلك في هذه الغزوة؛ فقد قتل من قتل من بني المصطلق، وسبى رسول الله ﷺ من النساء والذراري والنعم والشاء الشيء الكثير، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد<sup>(5)</sup> لم يقتله الأعداء وإنما قتله أحد الصحابة خطأ وقد ظن أنه من العدو.. غير (أن هذا النصر الميسر شابه من أعمال المنافقين ما عكر صفوه وأنسى المسلمين حلاوته)<sup>(6)</sup> وذلك حينما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَنْ مَرَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ<sup>(7)</sup>﴾ وقد سمع مقالة السوء

(1) سورة الحشر، الآية: 12.

(2) سورة الحشر، الآية: 16.

(3) فقه السيرة النبوية، لمحمد سعيد رمضان البوطي، (ص 203).

(4) انظر: ص 174.

(5) هو هشام بن صبابة أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ. انظر: تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، (2/109).

(6) فقه السيرة، لمحمد الغزالي، (ص 286).

(7) سورة المنافقون، الآية: 08.

هذه زيد بن أرقم فبلغها رسول الله ﷺ وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، ولما كان زيد بن أرقم غلاما حديث السن جعل رجال من الأنصار من أصحاب عبد الله بن أبي يلومون زيدا ويعنفونه، وإنما فعلوا ذلك: -لأن الكلام الذي نقله زيد بن أرقم كلام عظيم في ضرره، وقبوله يحتاج إلى بينة لا شبهة فيها.

-ولأن عبد الله بن أبي -على ما كان عليه- كان رجلا شريفا عظيما في قومه، وله من الأنصار أصحاب لا يزالون يحملون له ذلك المقام والشرف إلى ذلك اليوم. -ولأن يكذب زيد -وهو غلام حديث السن- أهون من أن يتهم رجل في ذلك المقام والشرف، سيما وأنهم لم يعهدوا فيه مثل هذه الفلتات الخطيرة من قبل. ينضاف إلى هذا كله أن عبد الله بن أبي حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغ رسول الله ﷺ ما سمع منه، مشى إلى رسول الله ﷺ وقد أدرك أن لما قاله عاقبة وخيمة لو لم ينفه.. فجعل يحلف له بالله ما قلت ما قال زيد ولا تكلمت به، وحينذاك ازداد أولئك النفر من الأنصار ثقة في كلامه وفي بعده عن تلك التهمة فجعلوا يقولون: (يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل)<sup>(1)</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن اضطرابا كبيرا حصل في معسكر رسول الله ﷺ بسبب ما بلغهم من تطاول على النبي ﷺ تجاوز مدهاه، ولم يذر الناس أصدقون الغلام في رجل لا يزال كثير من الأنصار يحفظون له شرفه ومقامه؟ أم يصدقون ابن أبي وهو ينفى نفيا قاطعا ما نسب إليه؟.. وأمام ذلك الاضطراب لم يجد النبي ﷺ من سبب يدفع به فتنة أخذت تكشر عن أنيابها في المعسكر إلا أن يأمر بالرحيل في ساعة لم يكن يروح في مثلها، فمشى (بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى أذتم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي)<sup>(2)</sup>.

-وكان من الآثار الجانبية لذلك الكلام أن الناس حينما تناقلوه فيما بينهم بلغ الخبر ابنه

(1) انظر: ص 137.

(2) السيرة النبوية، لابن هشام، (304/3).



عبد الله بن عبد الله<sup>(1)</sup>، وبلغه أيضا أن النبي يريد قتل أبيه لما قاله من كلام، فقد روى ابن جرير الطبري بسنده (أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمربي به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)<sup>(2)</sup>.

- وكان من آثار ذلك أيضا ما قاله زيد بن أرقم عن نفسه: «كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾<sup>(3)</sup> و﴿لَنْ مَرْجِعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ﴾<sup>(4)</sup> فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي للنبي ﷺ وصدقهم فدعاني فحدثته، فأرسل إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، وكذبني النبي ﷺ فأصابني غم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي وقال عمي: ما أردت إلا أن كذبتك النبي ﷺ ومقتك»<sup>(5)</sup>.

**(1)** هو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول والده عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وكهفهم وكان ابنه عبد الله من سادات الصحابة وأخيارهم، وكان اسمه الحباب وبه كان يكنى أبوه فغيره النبي ﷺ وسماه عبد الله. شهد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يغمه أمر أبيه ويثقل عليه كثيرا. شهد عبد الله اليمامة في قتال أهل الردة، وقتل يومئذ (سنة 12هـ) في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/540-542)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/191-193)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/200-201)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/237-238).

**(2)** تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، (2/110).

**(3)** سورة المنافقون، الآية: 07.

**(4)** سورة المنافقون، الآية: 08.

**(5)** متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب تفسير القرآن/باب قوله: "إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله"]، (ص926)، رقم4900.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب اتخذوا أيمانهم جنة يجتنون بها]، (ص927)، رقم4901.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب قوله: "وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوو رؤوسهم وأرأيهم يصدون وهم مستكبرون"]، (ص927)، رقم4904.

وأخرجه مسلم [كتاب صفات المنافقين وأحكامهم]، (4/2140)، رقم2772.

وعند الطبري: (فجعل الناس يقولون لي: تأتي رسول الله ﷺ بالكذب؟ حتى جلست في البيت مخافة إذا رأوني قالوا: هذا الذي يكذب)<sup>(1)</sup>، وتصور لنا هذه الرواية:

- القدرة العجيبة لدى المنافقين على قلب الحقائق وستر الباطل بألوان من الأيمان الكاذبة.

- الحالة النفسية التي أصابت زيد بن أرقم وقد كذبه النبي ﷺ والمسلمون وعنفه عمه، ولنا أن نتصور هذه الحالة في رجل منا يخبر بكلام سمعه بأذنيه ووعاه حتى إذا نقله إلى الناس لم يجد له مصدقا بينهم، بل ينقلب عليه الأمر ويتهم بالكذب.

وظل زيد على تلك الحال حتى أنزل الله تصديقه وتكذيب المنافقين فيما جاؤوا به من أيمان أحسنوا بها التنصل: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

لقد أنزل الله سورة "المنافقون" تفضح المنافقين وتكشفهم عرايا أمام الحقيقة التي لا يملك أحد -حتى المنافقين أنفسهم- من بعد ذلك أن يردھا أو يناقشها، قال زيد رضي الله عنه: «فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾.. إلى قوله ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾.. إلى قوله ﴿لِيُخْرِجَنَّا الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾<sup>(3)</sup> فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها علي ثم قال: إن الله قد صدقك»<sup>(4)</sup>.

**5-تداعيات حادثة الإفك:** لئن استهدف المنافقون في الحدث السابق من غزوة بني المصطلق (الحس القبلي الذي لم يكن قد استئصل بعد)<sup>(5)</sup> فإنهم استهدفوا في قصة الإفك من ذات الغزوة (القيم الخلقية التي تميز المجتمع المسلم عن سائر المجتمعات)<sup>(6)</sup> وأدركوا -وقد واتتهم فرصة جميلة ثمينة- أن عائشة رضي الله عنها ليست فردا من أفراد المجتمع غاية ما تحققه التهمة فيه أن يعزل عن المجتمع أو يخنس فيه ويطويه النسيان، وتستمر الحياة بعد ذلك في المجتمع حتى يصير

(1) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (112/28).

(2) سورة المنافقون، الآية: 02.

(3) سورة المنافقون، الآيات: 01-08.

(4) طرف من حديث سبق تخريجه ص 232.

(5) دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل، (ص 380).

(6) المصدر نفسه.

كأن لم يكن، وإنما هي:

-زوجة نبي المسلمين، ويعني ذلك أنهم أرادوا من خلالها (أن يجعلوا شخصية الرسول أول هدف لهذه الدعاية)<sup>(1)</sup>.

-ابنة صديقهم أبي بكر رضي الله عنه؛ الرجل الأول في المسلمين بعد رسول الله ﷺ.

ولئن لم يستطع المنافقون أن يحطموا هذا الطود العظيم بما جاؤوا من إفك، فقد استطاعوا أن يصيبوا المجتمع بجملة من الآثار هذه أهمها:

أ-صنعوا في المجتمع من إفكهم هذا حدثا شغل العقول وفتت القلوب، وجعلوا منه لمدة شهر كامل -أو أزيد- قضية محورية فيه، ليس للناس في المجتمع كله من أمر ذي بال غيرها، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «فقدنا المدينة فاشتكت شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك»<sup>(2)</sup>.

ب-استطاعوا أن يجروا فريقا من المسلمين -ممن لا مدخل للطعن ولا للريب في إسلامهم- إلى تبني الإفك، بل استطاعوا أن يجعلوا منهم قناة يثون منها إشاعتهم وأراجيفهم وسمومهم. تقول عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: «وكان الذين تكلموا به مسطح»<sup>(3)</sup>

---

(1) الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، (ص388-389).

(2) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الشهادات/باب تعديل النساء بعضهن بعضا]، (ص469)، رقم2661.

وفي [كتاب المغازي/باب حديث الإفك]، (ص751)، رقم4141.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون بأنفسهم خيرا"]، (ص883)، رقم4750.

وأخرجه مسلم [كتاب التوبة/باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف]، (4/2129)، رقم2770.

(3) هو مسطح بن أثاثة -بضم الهمزة- القرشي، ويقال مسطح لقب واسمه عوف بن أثاثة وأمه سلمى بنت صخر وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق، كان فقيرا وكان معدودا في أهل الصفة، وكان أبو بكر ينفق عليه لفقره وقربته. شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، خاض في الإفك على عائشة رضي الله عنها فجلده رسول الله ﷺ فيمن جلد في ذلك. توفي (سنة 34هـ) وهو يومئذ ابن ست وخمسين سنة، وقيل شهد صفين وتوفي سنة سبع وثلاثين، والأول أشهر.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/53)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (2/26)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (4/1472-1473)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (4/364)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (2/89)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/118-119)؛ الإصابة، لابن حجر، (5/127).

وحمنة<sup>(1)</sup> وحسان<sup>(2)</sup>، وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم<sup>(3)</sup>.

وفي رواية: «كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه»<sup>(4)</sup>.

قال في "الغريب": (يستوشي الحديث أي يستخرجه بالبحث والمسألة كما يستوشي الرجل جري الفرس، وهو ضربه إياه بعقبه وتحريكه ليجري)<sup>(5)</sup>.

وحينما أنزل الله تبرئة السيدة عائشة حدّ أولئك الثلاثة حد القذف ولم يجد رأس أهل الإفك عبد الله بن أبي، وكان من تعليل ذلك ما قاله ابن القيم أنه (كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه)<sup>(6)</sup>.

---

**(1)** هي حمنة بنت جحش الأسدية أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، وهي ابنة عممة النبي، وأمها وأم زينب أميمة بنت عبد المطلب. كانت حمنة تحت مصعب بن عمير وقتل عنها يوم أحد فتزوجها بعد ذلك طلحة بن عبيد الله. كانت يوم أحد تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم، وكانت ممن خاض في الإفك على عائشة وجلدت في ذلك مع من جلد فيه.

انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (241/8)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (1813/4)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (74-72/6)؛ الإصابة، لابن حجر، (73-72/7).

**(2)** هو أبو الوليد حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج بمخى الأصل يثري النشأة، أسلم حينما قدم النبي ﷺ إلى المدينة، كان معروفاً بشدة الحين فلم يجرد سيفاً ولا شهد وقعة، بل كان يتخلف في المنازل مع النساء والأولاد، ولعن فات حسان أن يدافع عن نبيه بجسمه لقد أتيح له أن يناصره بلسانه وهو سلاحه الوحيد، فأصبح شاعر الرسول، كان النبي ﷺ يقول: «اهجهم وروح القدس معك»، توفي (سنة 50هـ).

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (350-341/1)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (552/1)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (136-129/4)؛ الإصابة، لابن حجر، (489-488/1)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (232-231/2).

**(3)** متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب حديث الإفك]، (ص751)، رقم 4141.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب: "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا"]، (ص887)، رقم 4757.

وأخرجه مسلم [كتاب التوبة/باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف]، (2129/4)، رقم 2770.

**(4)** الحديث نفسه.

**(5)** غريب الحديث، لابن سلام، (448/2).

**(6)** انظر: ص141.

ج- التأثير في شخص النبي ﷺ: فلقد وجدناه ﷺ يتصرف في الأمر كما يتصرف سائر البشر وقد انقطع خبر السماء وحبس عنه الوحي، ولبت كذلك شهرا لا يوحى إليه في شأن الحادثة بشيء (1).

وهذه جملة من النصوص روتها السيدة عائشة رضي الله عنها انتقيتها من الحديث الطويل الذي تحكي فيه قصة الإفك توحى إلى هذا المعنى؛ تقول رضي الله عنها:

\*- «فاشكتك حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف فذلك يريني» (2).

\*- «ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله» (3).

\*- «فدعا رسول الله ﷺ بريرة (4) فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريك؟» (5).

\*- «فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه» (6).

(1) انظر: ص 66.

(2) طرف من حديث سبقت الإشارة إلى تخريجه ص 66، هامش رقم (4).

(3) الحديث نفسه.

(4) هي بريرة بنت صفوان مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهي التي تذكر بأنه قضى في حقها ثلاث قضايا أصبحت سنة: إحداهن أن عائشة اشترتها فأعتقتها وكان أهلها الذين باعوها اشترطوا ولاءها فقضى رسول الله ﷺ أن الولاء لمن أعتق، والأخرى أنه كان لها زوج وهي مملوكة يدعى مغيثا فخيرها رسول الله ﷺ حين أعتقت بين أن تكون عنده أو تفارقه فاختارت مفارقتة، وتذكر في الثالثة أنه تصدق عليها بصدقة فأهدت منها إلى عائشة فكرهت أن تأكل منها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال هو عليها صدقة ولنا هدية. عاشت رضي الله عنها إلى زمن يزيد بن معاوية.

انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (8/256-261)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (4/1795)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (6/38-39)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/337-533)؛ الإصابة، لابن حجر، (7/535).

(5) طرف من حديث سبقت الإشارة إلى تخريجه ص 66، هامش رقم (4).

(6) الحديث نفسه.

\*-«فقلت لأبي أحب رسول الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ» (1).

\*-تقول لرسول الله ﷺ ولأبويها بعد ذلك: «والله لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني» (2) وفي رواية: «لئن قلت لكم إني لم أفعل والله عز وجل يشهد إني لصادقة ما ذاك بنافعي عندكم.. لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم، وإن قلت إني فعلت والله يعلم أني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها» (3).

\*-«فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها» (4).

وخلاصة هذه الروايات أن النبي ﷺ:

- لم يدر - في غياب الوحي - ما يقول.
  - لم يعد يعطيها اللطف الذي كانت تجده منه يوم تشتكي.
  - لا يزيد على أن يقول لها حينما يدخل عليها: كيف تيكم؟ ثم ينصرف.
  - استشار علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد في فراقها.
  - يسأل خادمتها بريرة يرجو أن يجد عندها الخبر اليقين.
  - لم يجلس عندها في بيت والدها منذ استأذنته إلى غاية اليوم الذي نزلت فيه براءتها.
- ويوحي كلام عائشة رضي الله عنها بأن ما قذفت به قد استقر في نفس النبي ﷺ؛ تقول وهي تخاطب النبي ﷺ وأبويها: «والله لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به» (5)، «لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم» (6)، ولا يعني هذا الكلام بحال من الأحوال أن

---

(1) طرف من حديث سبقت الإشارة إلى تحريجه ص66، هامش رقم (4).

(2) الحديث نفسه.

(3) الحديث نفسه.

(4) الحديث نفسه.

(5) الحديث نفسه.

(6) الحديث نفسه.

النبي ﷺ ترجح لديه صدق ما أطلقه المنافقون من إفك وخاض فيه أصحابه ممن هم من حوله، وإنما هي الحالة النفسية المتأزمة التي تمر بها السيدة عائشة وقد ألجأتها إلى ذلك الكلام وهي ترى أقرب الناس إليها يسألونها سؤال المرتاب في صدق كلامها، وإلا فقد وجدناها هي نفسها تروي فيما روته من الأحاديث التي سقت مقتطفات منها آنفا تقول: «فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، ولا يدخل على أهلي إلا معي»<sup>(1)</sup>.

قال ابن القيم الجوزي رحمه الله: (فإن قيل فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به؟ وهلا قال: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(2)</sup> كما قاله فضلاء الصحابة؟ فالجواب أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسوله ﷺ ولجميع الأمة إلى يوم القيامة... واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهرا في شأنها لا يوحى إليه في ذلك شيء... فكان من حكمة حبس الوحي شهرا أن القضية محصت وتمحضت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم اسشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه... فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها، وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه... وأيضا فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى، والتي رميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها ولم يظن بها سوءا قط وحاشاه وحاشاها...)<sup>(3)</sup>.

والذي يعنيني من هذا الكلام كله أن رسول الله ﷺ توقف في أمر عائشة، وساءلها وسأل

(1) طرف من حديث سبقت الإشارة إلى تخريجه ص 66، هامش رقم (4).

(2) سورة النور، الآية: 16.

(3) زاد المعاد، لابن القيم الجوزي، (2/114).

عنها، وبحث واستشار، ولم يقل ما قاله فضلاء الصحابة: سبحانك هذا بهتان عظيم، وأريد أن أشير بهذا إلى أن السهم الذي أطلقه المنافقون في قصة الإفك نفذ إلى أعماق قلب رسول الله ﷺ -ولو سلمنا أنه كان غير مصدق لما قالوه- وأحدث فيه تأثيرا عظيما، وأن هذه القصة كانت (أبلغ من غيرها في إيذاء النبي ﷺ)، لأن كل ما كان قد كابده قبل ذلك من المحن التي تحدثنا عن طرف منها أمور كان يتوقعها وقد وطن نفسه لقبولها وتحملها، بل كان منها على ميعاد في طريق الدعوة، أما هذه فقد فوجئ بها لأنها ليست مما قد اعتاده أو توقعه، إنها اليوم شيء آخر.. إنها شائعة لو صحت لكانت طعنة نجلاء في أخص ما يعتز به إنسان، وأخص ما يتصف به الشرف والكرامة، وما الذي أدراه أنها شائعة صحيحة أو باطلة؟ من هنا كانت هذه الأذية أبلغ في تأثيرها من كل ما عداها لأنها جاءت لتلقي بشعوره النفساني في اضطراب مثير لا مناص منه<sup>(1)</sup>، كان من نتائجه أنه ما سري عنه الوحي الذي أنزل فيه براءتها إلا وهو يضحك ﷺ فرحا بالبشرى التي جاءت به. قالت عائشة رضي الله عنها: «فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء<sup>(2)</sup> حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك»<sup>(3)</sup>.

د-أحدثوا في المجتمع اضطرابا عظيما وكادوا يوقعون فتنة بين الأوس والخزرج من أنصار رسول الله ﷺ بسبب تباين المواقف في القضية، ولنستمع إلى السيدة عائشة رضي الله عنها في هذا المقطع وهي تحكي هذا الأمر في وضوح كامل؛ قالت رضي الله عنها: «فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في

(1) فقه السيرة النبوية، لمحمد سعيد رمضان البوطي، (ص210).

قال الرازي: والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفاجئك. انظر: التفسير الكبير، للرازي، (150/23).

(2) قال ابن حجر في الفتح (476/8): (البرحاء بضم الموحدة وفتح الراء ثم مهملة ثم مد: هي شدة الحمى، وقيل شدة الكرب، وقيل شدة الحر ومنه برح بي الهم إذا بلغ مني غايته. ووقع في رواية إسحاق بن راشد "وهو العرق"، وبه جزم الداودي، وهو تفسير باللازم غالبا لأن البرحاء شدة الكرب ويكون عنده العرق غالبا).

(3) طرف من حديث سبقت الإشارة إلى تخريجه ص66، هامش رقم (4).



أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً.. ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي، قالت: فقام سعد بن معاذ<sup>(1)</sup> أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرک، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک، قالت: فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت<sup>(2)</sup>.

وفي رواية: «حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد»<sup>(3)</sup>.

ولا يخفى ما لسعد بن عبادة وأسيد بن حضير -رضي الله عنهما- من مقام في الدين وفضل، وهما من مبایعي بيعة العقبة الثانية<sup>(4)</sup>، ومن النقباء الاثني عشر الذين جعلهم النبي ﷺ كفلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم<sup>(5)</sup>، وانظر إلى سعد بن عبادة وهو يقول لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل.. وانظر بعد ذلك

---

(1) هو الصحابي الجليل سيد الأوس الكبير سعد بن معاذ الذي اهتز العرش لموته، مناقبه كثيرة مشهورة. أسلم بين العقبة الأولى والثانية على يدي مصعب بن عمير، فلما أسلم ما بقي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وأسلموا، شهد بدرًا، وشهد أحدًا والخندق ورمي يومئذ بسهم أثر فيه تأثيرًا بالغًا فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، حكم في بني قريظة ثم انفجر جرحه وكان قد برأ فلم يقرأ حتى مات (سنة 05هـ) بعد الخندق بشهر وبعد قريظة بليال وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة فصلى عليه رسول الله ﷺ ودفن بالبقيع.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/420-436)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (2/602-605)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (2/239-242)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (1/214-215)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/174-186)؛ الإصابة، لابن حجر، (2/330-331)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (3/291).

(2) طرف من حديث سبقت الإشارة إلى تخريجه ص66، هامش رقم (4).

(3) الحديث نفسه.

(4) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (2/538-540).

(5) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (1/223).

إلى أسيد بن حضير وهو ينتقم لابن عمه سعد ويقول لسعد بن عباد: فإنك منافق تجادل عن المنافقين.. وانظر إلى الحيين من الأوس والخزرج وقد تشنجت أعصابهم واستفزتهم الحمية وهم يسمعون هذا الكلام حتى ثاروا وهموا أن يقتتلوا وهم في المسجد ورسول الله ﷺ قائم على منبره، فلم يزل ﷺ يخفضهم ويسكتهم حتى سكتوا. وكل هذا إنما كان من الآثار التي تداعت في المجتمع لحديث الإفك الذي كان رأسُ المنافقين (يستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه)<sup>(1)</sup> ووجد له من أصحاب رسول الله ﷺ من خفي عليه تأمرهم فصدق إفكهم ونقل إرجافهم.

**6- الآثار الجانبية لظاهرة النفاق في غزوة تبوك:** لقد تناولت الغزوة من قبل في مواطن كثيرة من زوايا متعددة يختلف بعضها عن بعض، وأتناولها ههنا من زاوية أخرى أحاول أن أكشف فيها عن مجموع الآثار التي خلفها نشاط المنافقين فيها، وقد بان لي أن من أعظم تلك الآثار أثرين اثنين:

أ- تخلف ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ عن الغزوة وكانوا نفر صدق لا يهتمون في إسلامهم، ولكن أبطأت بهم النية حتى تخلفوا عن النبي ﷺ من غير شك ولا ارتياب، وهم الذين أنزل الله فيهم<sup>(2)</sup>: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(3)</sup>.

ولا يعني في هذا المقام عرض ما كان من أمر هؤلاء الثلاثة من تخلفهم وتخليف النبي ﷺ إياهم وإرجاء أمرهم ثم توبة الله عليهم.. وإنما الذي يعني هو الملابس التي جعلت أولئك نفر - وهم أهل صدق لا يهتمون في إسلامهم كما أسلفت - يتخلفون عن رسول الله ﷺ ولم يكن لهم عذر يقدمونه بين أيديهم.

قال كعب بن مالك رضي الله عنه وهو يحدث عن نفسه حين تخلف عن غزوة تبوك وما كان من

(1) انظر: ص 66.

(2) انظر: صحيح البخاري في [كتاب المغازي/باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل "وعلى الثلاثة الذين خلفوا"]، (ص 799)، رقم 4418.

وفي [كتاب التوبة/باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه]، (4/2120)، رقم 2769.

(3) سورة التوبة، الآية: 118.

شأنه فيها وشأن صاحبيه، قال فيما قاله: «والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ- يريد الديوان- قال: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله»<sup>(1)</sup>.

قال: «وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا»<sup>(2)</sup>.

وأحسب أن هذا الكلام يصلح لأن أستأنس به في رسم الجو العام الذي سمح لمثل ذلك السلوك الدخيل - أعني التخلف عن الغزو - أن يبرز في صف المسلمين ويعرف طريقه إلى الخَلص منهم كأمثال أولئك نفر الثلاثة..  
إن المنافقين الذين اتخذوا:

-التخلف عن الغزو ديدنهم

-واختلاق المعاذير بالأيمان الكاذبة بضاعتهم

-وممارسة التثييط والتخذيل أسلوبهم

هم الذين صنعوا في المجتمع بممارساتهم تلك المتكررة ذلك الجو الذي قال عنه كعب: «فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له»<sup>(3)</sup>، وهو الجو الذي جعله يقول بداية: «فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرتني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي»<sup>(4)</sup>، حتى إذا وصل رسول الله ﷺ المدينة وأجمع صدقه وقال له «لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك»<sup>(5)</sup> كان ذلك الجو هو الذي جعل رجالا من أهله وعشيرته يلومونه أن لم يفعل ما فعل المخلفون مثله حينما جاؤوا النبي ﷺ «فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله»<sup>(6)</sup>. قال كعب: «وثار رجال من بني

(1) طرف من حديث سبق تخريجه ص49.

(2) الحديث نفسه.

(3) الحديث نفسه.

(4) الحديث نفسه.

(5) الحديث نفسه.

(6) الحديث نفسه.

سلمة فاتَّبِعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ  
اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ  
لك»<sup>(1)</sup>.

وأردت من سوق هذه النصوص جميعها أن أصل إلى تقرير حقيقة كبرى يعبر عنها علماء  
النفس في عصرنا هذا بالعدوى إذ يقررون أن السلوك الاجتماعي والأخلاقي ينتقلان من فرد إلى  
آخر بالعدوى<sup>(2)</sup> وهي الحقيقة التي سبق لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي<sup>(3)</sup> أن قررها في ميدان  
التربية حيث قال: (إذ الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعا)<sup>(4)</sup>.

إن هذه الحقيقة هي التي جعلت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول في تمام الحديث الذي سقته  
من قبل: «فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي»<sup>(5)</sup>، إذ كاد يسرق من طبع  
المخلفين المنافقين ما فعلوا من اعتذارهم الكاذب فيرجع إلى النبي ﷺ فيتراجع عما قاله ويعتذر

---

(1) طرف من حديث سبق تخريجه ص 49.

(2) انظر هذا المعنى في: علم النفس التربوي في الإسلام، د. يوسف مصطفى القاضي ود. مقداد يالجن، دار المريخ  
للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، 1401هـ-1981م، (ص 104).

(3) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي -بفتح الغين وشدة الزاي، وروي عنه أنه أنكرها- برع في  
العلوم الشرعية والعقلية، وكان إماما في الكلام والفقه والأصول والتصوف والمنطق والفلسفة، ومن أبرز شيوخه إمام  
الحرمين الجويني، من مؤلفاته: "إحياء علوم الدين"، "الاقتصاد في الاعتقاد"، "الوجيز" في الفقه الشافعي، والمستصفي  
والمخول في الأصول وغيرها، ولد بطوس بخراسان سنة خمسين وأربع مائة، وتوفي بها رحمه الله (سنة 505هـ).

انظر ترجمته في: تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ أبي القاسم علي بن  
الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان- دار الفكر، دمشق سورية، الطبعة الثانية:  
1399هـ، (ص 291-306)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (4/216-219)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي،  
(14/320-334)؛ طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت،  
الطبعة الأولى: 1406هـ-1986م، (2/242-245)؛ المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم  
وأنسابهم، للعلامة المحدث الشيخ محمد طاهر بن علي الهندي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1402هـ-1982م،  
(ص 193)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (4/10-13).

(4) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،  
الطبعة الأولى: 1423هـ-2003م، (3/54).

(5) طرف من حديث سبق تخريجه ص 49.

إليه بما اعتذر به أولئك تحت تأثير عوامل خارجية جاءته من قبل أهله وعشيرته، ووجدنا ذات الحقيقة تثنيه عن ذلك حينما سأل مؤنبيه: «هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالوا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: فقلت من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العُمري<sup>(1)</sup> وهلال بن أمية الواقفي<sup>(2)</sup>»،<sup>(3)</sup> قال كعب: «فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي»<sup>(4)</sup>.

ويعني هذا الكلام -استلهاما- أن كعبا لو لم يذكروا له رجلين فيهما أسوة قالوا بمثل مقالته لكان تأثر بكلام مؤنبيه ولرجع إلى رسول الله ﷺ يكذب نفسه فيما قاله أول مرة. وأريد أن أقرر أخيرا من خلال هذا التحليل:

- أن البيئة الموبوءة بأمراض خلقية لا بد أن تجد فيها للعدوى آثارا لا تخفى.

- وقد يساعد على ذلك عوامل أخر منها رؤية من يصاب بها أن أمره يخفى على أفراد المجتمع فلا يتفطن له.

ب- وما يستأنس به في هذا المقام من الآثار التي أحدثها المنافقون والتي صاحبت غزوة تبوك ما أخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما: «أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»<sup>(5)</sup>، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أن من إحدى روايات الحديث:

---

**(1)** هو مرارة بن الربيع ويقال ابن ربيعة العمري الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف صحابي مشهور شهد بدرًا، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم تاب الله عليهم ونزل القرآن في شأنهم. انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (1382/3)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (341/4)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (76/2)؛ الإصابة، لابن حجر، (109/5).

**(2)** هو هلال بن أمية الأنصاري الواقفي -من بني واقف- صحابي قدس الإسلام، شهد بدرًا وما بعدها وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم تاب الله عليهم ونزل القرآن في شأنهم، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن السحماء.

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (1542/4)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (609-608/4)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (139/2)؛ الإصابة، لابن حجر، (409/5).

**(3)** طرف من حديث سبق تخريجه ص 49.

**(4)** الحديث نفسه.

**(5)** سبق تخريجه ص 207، هامش رقم (2).

(«أقام علي فسمع ناسا يقولون إنما خلفه لشيء كرهه منه، فاتبعه..» فذكر له ذلك فقال له، الحديث(1)).

وقد لا يكون هؤلاء الذين غمزوا الإمام علياً عليه السلام إلا منافقين أرادوا أن يرجفوا به، وهو ما تصرح به الرواية التي أوردها الإمام الطبري في تاريخه قال: (فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب وقالوا: ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجرف فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتخفت مني فقال كذبوا ولكني إنما خلفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي، فرجع علي إلى المدينة(2)).

وواضح من هذا أن لكلام المنافقين وما يتهامسون به أو يرجفون وقعا في أفراد المجتمع - ولو كان المجتمع مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم جميعا- لا يمكن أن يكونوا جميعا بمعزل عن آثاره، لأن كثيرا منه إنما يأتيهم بغتة(3) من حيث لا يشعرون، والأمر إذا جاء بغتة أريك صاحبه فلم يدر له -في أغلب الأحيان- جوابا أو موقفا.

**7- قصة مسجد الضرار:** إن محل الشاهد من قصة مسجد الضرار أن أصحابه حينما فرغوا من بنائه وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يصلي لهم فيه ويدعو بالبركة قال لهم: (إني على جناح سفر وحال شغل -أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه(4)).

ويعني هذا أن بناء مسجد الضرار أحكموا خططهم التي بيتوها وأبعدوا عن أنفسهم كل شبهة، ولولا الوحي لما عرف هؤلاء ولما انكشف أمرهم، والله تعالى يقول عن طائفة من المنافقين: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا نَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾(5).

(1) فتح الباري، لابن حجر، (74/7)، وتعقبه بقوله: وإسناده قوي.

(2) انظر: ص 207.

(3) انظر: ص 239، هامش رقم (1).

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص 908).

(5) سورة التوبة، الآية: 101.

## المبحث الثاني

### منهج القرآن الكريم في عرض ظاهرة النفاق

#### المطلب الأول: منهج القرآن في تناول ظاهرة النفاق

حينما نتعامل مع مختلف نصوص القرآن التي تناولت الظاهرة، ونقف على ملامساتها وظروفها، ونسائر نزولها ونتدرج معها في ترتيبها، ونعرض بعضها على بعض في نسق متكامل، حينما نفعل ذلك فإننا نقف على جملة من الحقائق هي المعالم الكبرى للمنهج الذي تناول به القرآن ظاهرة النفاق، وقد بدا لي من تلك الحقائق بعد الدراسة والتحقيق النقاط الآتية:

**-أولاً: تعامل مع الظاهرة بحسب أحداثها:** إن القرآن الكريم لم يسبق الظاهرة في تناوله لها، ولم يتنبأ للناس بما سيقع منها لاحقاً، وإنما تعامل معها بحسب أحداثها، وتناولها بعد وقوع أسبابها مما يتصل بأقوال المنافقين أو تصرفاتهم في مختلف المناسبات التي وقفت عليها سابقاً، ولم يشذ عن هذا التعامل إلا في موضعين اثنين:

**الأول:** في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لَتَأْخُذُوهَا ذُرُوءًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فُسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(1)</sup>.

إن الذي عليه عامة أهل التأويل في هذه الآية<sup>(2)</sup> أن الله سبحانه وعد المؤمنين -أهل الحديبية خاصة- مغنم كثيرة يأخذونها لاحقاً في غزوة خيبر، وأن المنافقين الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في صلح الحديبية سيقولون للمسلمين حينما ينطلقون إلى تلكم الغنائم ﴿ذُرُوءًا تَتَّبِعُكُمْ﴾ فأرشدهم الله إلى أن يقولوا لهم ﴿لَن تَتَّبِعُونَا﴾، فأعلمهم الله أن المنافقين سيقولون لهم حينئذ ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنائم التي تصيبون.

وواضح أن حديث القرآن عن النفاق والمنافقين ههنا حديث عن أمر قبل وقوعه.

**الثاني:** في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا نَظَرُونَا نَقْتَسِبُ مِن نُّومِكُمْ قِيلَ امْرُجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بِبَئِهِمْ سُورَةٌ لَّهٗ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) سورة الفتح، الآية: 15.

(2) راجعه: ص 77، هامش رقم (4).

(3) سورة الحديد، الآية: 13.

والحديث في هذه الآية حديث عن أمر غيبي يقع يوم القيامة لا في هذه الدنيا، وعليه فإن الخروج عن القاعدة التي ذكرتها لم يتجاوز حالة وحيدة.

وأحب أن أسجل أخيراً أن تناول القرآن الكريم للظاهرة بعد صدور أسبابها وعدم سبقه لها في تقرير حقائقها لم يكن سمته فيها دون غيرها، بل إن الظاهرة لم تشذ في هذا عن كثير من المسائل والقضايا التي تناولها القرآن بهذه السمة.

**-ثانياً: ازدواجية الخطاب في تناول الظاهرة:** وأعني أن الخطاب القرآني في تناوله الظاهرة كان خطاباً مزدوجاً يتجه في السياق الواحد إلى المنافقين وإلى المؤمنين:

### **1- يتجه إلى المنافقين يكشف ويفضح:**

- وجههم الحقيقي إذا خلا بعضهم إلى بعض.

- نفاقهم وكذبهم وخداعهم.

- اختلاقهم المعاذير الباطلة.

- أيمانهم الكاذبة.

- تحاذلهم وتحذيلهم.

- جنبهم الشديد في ساعات العسرة.

- إطلاقهم الأكاذيب وألوانا من الافتراءات.

- استكبارهم وصددهم عن سبيل الله.

- غمزهم المسلمين ولمزهم.

- تأمرهم الشديد وتربصهم دوائر السوء بالمسلمين.

- ولاءهم القائم للكفار والمشركين واليهود.

- حبهم الشديد للفتنة.

- مرءاتهم في العبادات الظاهرة.

### **2- ويتجه في الوقت ذاته إلى المؤمنين:**

- يثبتهم ويشد أزهرهم ويدعوهم إلى التوكل عليه تعالى.

- يحذرهم من كيدهم ويوقظ فيهم مشاعر الحيطة والانتباه.

- ينهاهم عن الركون إليهم.

- يوجههم إلى أن خير وسيلة لعقابهم الإعراض عنهم.



-يرشدهم إلى كيفية التعامل معهم ومع افتراءاتهم وأكاذيبهم.

-يعلمهم أنه إنما يفضحهم ليخنسوا.

-يخبرهم أن ما يصيبهم من بلاء إنما هو للتمحيص الذي يظهر الله به الكاذبين.

وهذا الأسلوب القرآني أسلوب عظيم هو غاية في التربية والإرشاد والتوجيه.

**-ثالثاً: تناول الظاهرة من خلال أقوال أصحابها وأفعالهم:** لقد تناول القرآن الكريم المنافقين

بحسب ما بدر من أقوالهم وأفعالهم، ولم يتناولهم بحسب علم الله الذي يعلمه عنهم أزلاً، وحينما

حاسبهم وإنما حاسبهم على ما تفوهوا به في خلواتهم مما يناقض الحقيقة التي زعموها لأنفسهم،

فهم الذين ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾<sup>(1)</sup> ولكنه قول قالوه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾<sup>(2)</sup> و﴿لَمْ يُؤْمِنِ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(3)</sup> به..

وبناء على هذا التناقض الذي أرادوا به أن يخادعوا الذين آمنوا تدخلت الإرادة الإلهية

لتكشف وجه الزيف فيه من خلال أفعالهم وأقوالهم، لا من خلال العلم الأزلي عنهم، ولا من

خلال خلجات أنفسهم.. وبعرض هذه الآيات أستدل لما أقول:

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(4)</sup>

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذَتُنَاهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾<sup>(5)</sup>

﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾<sup>(6)</sup>

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(7)</sup>

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾<sup>(8)</sup>

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(9)</sup>

(1) سورة البقرة، الآية: 14.

(2) سورة المائدة، الآية: 41.

(3) سورة المائدة، الآية: 41.

(4) سورة البقرة، الآية: 14.

(5) سورة البقرة، الآية: 76.

(6) سورة آل عمران، الآية: 119.

(7) سورة النساء، الآية: 141.

(8) سورة التوبة، الآية: 74.

(9) سورة النور، الآية: 47.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾<sup>(1)</sup>

﴿يَقُولُونَ لَنْ مَرْجِعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾<sup>(2)</sup>

والأمثلة في هذا المقام كثيرة اقتضت منها على هذه النماذج الواضحة، وكلها تتفق على أن القرآن اقتصر على فضح المنافقين بما أظهروه من أفعال وأقوال بدرت منهم، ولم يعاملهم بالحقيقة الكاملة التي يعلمها الله عنهم، وأحسب أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾<sup>(3)</sup> أوضح دليل على ذلك، إذ عندما تنزل السورة فيها فضيحتهم تجدهم يتساءلون فيما بينهم: هل كان معكم من أحد حينما تكلمتم بهذا الذي يتلوه محمد؟.

ويعني ذلك أنهم لم يكونوا يتساءلون كيف اطلع محمد (ﷺ) على سرائر قلوبهم، وإنما تساءلوا عن الذي دار بينهم من حديث، هل كان معهم أحد من أصحاب محمد فنقله إليه؟!.

**-رابعاً: عناية القرآن بالظاهرة في أوصافها وسماتها:** فلقد تعامل القرآن الكريم مع ظاهرة النفاق في أوصافها وسماتها التي ميزتها، ولم يكن يعنيه في أصحابها أسماءهم ولا أشخاصهم، وإنما الذي كان يعنيه فيهم أقوالهم وممارساتهم التي كانت تعني -بوضوح- أن فيهم مرضاً أنشأ فيهم ذلك النفاق الذي رصد القرآن حقيقته وأبعاده انطلاقاً من تلك الأقوال والممارسات.

وانظر إلى هذه الآيات التي تنزلت تحكي طائفة من أقوال المنافقين وممارساتهم تجد فيها هذا المنحى الذي أتحدث عنه:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(4)</sup>

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَكَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا﴾<sup>(5)</sup>

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ﴾<sup>(6)</sup>

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَاءَ النَّهَارُ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ

(1) سورة المنافقون، الآية: 07.

(2) سورة المنافقون، الآية: 08.

(3) سورة التوبة، الآية: 127.

(4) سورة البقرة، الآية: 08.

(5) سورة البقرة، الآية: 142.

(6) سورة البقرة، الآية: 204.

يَرْجِعُونَ ﴿١﴾

﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ﴿٢﴾

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْغِضَنَّ﴾ ﴿٣﴾

﴿قَتْرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ ﴿٤﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنْذِرْ لِي وَلَا تَنْفِتْنِي﴾ ﴿٥﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ﴿٦﴾

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّكَ أَمَّا تَأْتِيَنَّكَ فَتَنْتَهُنَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ قَتْلَ النَّاسِ كَقَتْلِ اللَّهِ﴾ ﴿٩﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ ﴿١٠﴾

فهذه الألفاظ ﴿مِنَ النَّاسِ﴾، ﴿طَائِفَةٌ﴾، ﴿السَّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾، ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ﴾،

﴿مِنْكُمْ﴾ ألفاظ لا تعنى بالأشخاص والأسماء، وإنما تعنى بالجانب الوصفي للظاهرة، ولذلك لم

يكن منهج القرآن في كشف المنافقين يتجه إلى أشخاص بأعيانهم، وعندما كشف الله لنبيه نفرا

منهم وعزفهم له بأسمائهم وجدناه ﷺ قد احتفظ بذلك لنفسه، ولم يسمهم إلا لواحد من أصحابه

فقط هو حذيفة بن اليمان الذي كان يعرف بصاحب سر رسول الله ﷺ، وقد أشار

(1) سورة آل عمران، الآية: 72.

(2) سورة آل عمران، الآية: 154.

(3) سورة النساء، الآية: 72.

(4) سورة المائدة، الآية: 52.

(5) سورة التوبة، الآية: 49.

(6) سورة التوبة، الآية: 58.

(7) سورة التوبة، الآية: 61.

(8) سورة التوبة، الآية: 75.

(9) سورة العنكبوت، الآية: 10.

(10) سورة محمد، الآية: 16.

القرآن الكريم في صراحة واضحة إلى أن معرفة هؤلاء المنافقين إنما تكون بمعرفة سلوكهم ومواقفهم<sup>(1)</sup>: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَرَبْنَاكُم بِاللَّيْلِ لَمَّا كُنْتُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(2)</sup>.

**-خامسا: تدرج القرآن الكريم في تناول الظاهرة:** وتلك سمة تبدو بارزة لكل دارس يعرض نصوص القرآن بعضها على بعض ويربطها بمختلف أحداثها ويساير تلك الأحداث في تسلسلها التاريخي، وقد بدا لي من هذا التدرج -فيما وقفت عليه- نقاط خمسة أعرضها كما يأتي:

**1- تسمية المنافقين:** فلقد أشار إليهم القرآن الكريم أول مرة حينما كان النفاق بادرة في بعض الناس بقوله "وَمِنَ النَّاسِ" وكان ذلك في سورتي العنكبوت والبقرة، وآيات النفاق فيها من أوائل ما نزل كما أسلفت، وحينما أعلن عبد الله بن أبي سلامه ولم يظهر منه بعد ما يشي بنفاقه سوى حادثة بني قينقاع قبل غزوة أحد وهي أول حادثة يبدي فيها جرأته، وما دامت أول حادثة ولم يعبر سلوكه فيها عن نفاق صريح، فقد تعامل معها القرآن الكريم بهذا المنطق: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾<sup>(3)</sup> فالله تعالى لم يسم عبد الله بن أبي منافقا وإنما سماه بالذي "في قلبه مرض"، وهي تسمية تليق برجل أظهر الإيمان - كما يبدو للناس - ولم يجد حرجا في أن يدافع عن قوم نقضوا عهودهم وموآثيقهم ويجادل من أجلهم رسول الله ﷺ علّه يجدهم حليفا له إن دارت دائرة الأيام، وهو تحسب ينبئ عن مرض في القلب لعل صاحبه يدرك عظيم خطئه في مستقبل الأيام، لذلك كان تمام الآية التي سقتها آنفا: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْحِكُوا عَلَى مَا أَسْرَوْنَا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(4)</sup> وهو كما يبدو عتاب فيه من اللطف ما لا يخفى.

وحينما تعاقب الزمن وأصر عبد الله بن أبي ومن معه على ذلك المرض وفعل فعلته الدنيئة يوم أحد كان التعبير القرآني حينئذ صريحا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾\* و﴿لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾<sup>(5)</sup>، وابتداء من هذه الحادثة صار إطلاق النفاق عليه وعلى أصحابه

(1) انظر: ظاهرة النفاق، لخليفة النامي، (ص134).

(2) سورة محمد، الآية: 30.

(3) سورة المائدة، الآية: 52.

(4) سورة المائدة، الآية: 52.

(5) سورة آل عمران، الآيتان: 166-167.

صريحاً، ولئن استعمل لفظ "الذي في قلبه مرض" بعد ذلك فقد استعمل تبعاً للفظ النفاق كما هو مبين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَمَسْئُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(1)</sup> وفي قوله ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾<sup>(2)</sup>.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غُرَاهُ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾<sup>(3)</sup> قال: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ الشاكون، وهم دون المنافقين لأنهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نية<sup>(4)</sup> وقد وجدناه ذاته رحمه الله يفسر قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ بقوله: (أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد... يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء، والواو مقحمة..)<sup>(5)</sup> وذلك لكون الآية الأولى -وأزعم أن مثلها التي أستدل لها ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾<sup>(6)</sup> - أقول: وذلك لكون الآية الأولى نزلت في أوائل مراحل النفاق فالمرض دونه، ولكون الآية الثانية نزلت والنفاق ظاهرة في المجتمع قد تغلغل في أصحابه وصار أكبر من المرض الذي يرجى شفاؤه.

**2-الحكم على الظاهرة:** فلقد وصفهم يوم أحد بقوله ﴿هُمُ الْكُفْرِيُّومِذِّاقَرَبٍ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾<sup>(7)</sup> والله تعالى يعلم عنهم حقيقة الكفر التي لن تتبدل، ولكن إطلاقها صريحة عليهم وهم في المراحل الأولى للنفاق ولم تكتمل معاملته بعد فيهم سابق لأوانه، لذلك أجل إطلاق الحكم الصريح لمرحلة لاحقة افتضح النفاق فيهم وصار علماً لهم.. ليس في علم الله، ولكن فيما يبدو للناس، لأن الحكم إنما هو تشريع لهم، ولذلك وجدناه سبحانه بعد ذلك يطلقه صريحاً فيهم يوم بني المصطلق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(8)</sup> وأصرح منه ما كان في آخر سورة تتناول النفاق:

(1) سورة الأحزاب، الآية: 12.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 60.

(3) سورة الأنفال، الآية: 49.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (386/7).

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (222/14).

(6) سورة المائدة، الآية: 52.

(7) سورة آل عمران، الآية: 167.

(8) سورة المنافقون، الآية: 03.

﴿وَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾<sup>(1)</sup>

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(2)</sup>

**3-الانتماء والولاء:** حينما نتعامل مع النصوص الأولى التي نزلت في المنافقين نجد القرآن صريحا

في عزوهم إلى الجماعة المسلمة، فلقد قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْغِضَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا \* وَلَكِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(3)</sup>.

قال الإمام القرطبي: (والمعنى: إن من دخلائكم وجنسكم وممن أظهر إيمانه لكم،

فالمنافقون في ظاهر الحال من أعداد المسلمين بإجراء أحكام المسلمين عليهم)<sup>(4)</sup>.

وقال تعالى في شأن غزوة الأحزاب: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾<sup>(5)</sup>،  
وقال: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْكُلُونَ مِنْكُمْ لَوَإِذَا﴾<sup>(6)</sup>.

ومعلوم أن الذين كانوا يعوقون الناس عن النبي ﷺ والذين كانوا يتسللون من ساح المعركة إنما هم المنافقون، وحاشا لأصحاب رسول الله ﷺ أن يفعلوا ذلك، ولكن التعبير القرآني كان يخاطب الصحابة على أن الذي كان يفعل ذلك بعض منهم.

وحينما نستعرض مع القرآن الكريم في أواخر نزوله نجده ينتقل من إثبات انتماء المنافقين إلى الجماعة المسلمة إلى نفي ذلك الانتماء نفيًا صريحًا قاطعًا، يقول تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾<sup>(7)</sup> والآية من سورة المجادلة، ولئن كان السبب الذي تنزلت لأجله الآية -فيما تذكر بعض المصادر<sup>(8)</sup>- مجردا عن الحدث التاريخي الذي يضبط زمان

(1) سورة التوبة، الآية: 74.

(2) سورة التوبة، الآية: 80.

(3) سورة النساء، الآية: 72.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (238/5).

(5) سورة الأحزاب، الآية: 18.

(6) سورة النور، الآية: 63.

(7) سورة المجادلة، الآية: 14.

(8) راجعه: ص 95.

نزولها فإن المؤكد أن السورة من أواخر السور نزولا.

ولئن قيل إن أقصى ما تثبته الآية تذبذب المنافقين بين المسلمين والكافرين جريا وراء مصالحتهم، فإن نفي الانتماء إلى الجماعة المسلمة يبدو صريحا في سورة التوبة لا يحتاج إلى سند آخر يدعمه، يقول تعالى: ﴿وَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ﴾<sup>(1)</sup>، وسورة التوبة كما هو معلوم من أواخر السور نزولا.

**4- الاستغفار:** حينما كان المنافقون في مراحلهم الأولى من النفاق وجدنا القرآن الكريم يتعامل معهم فيما بدر منهم على أنهم جزء من الجماعة المسلمة إذا أخطأ الفرد فيها دعاه إلى التوبة والاستغفار، وقد وجدنا ذلك صريحا في سورة النساء وهي من أوائل السور نزولا بالمدينة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا مَرْحِيمًا﴾<sup>(2)</sup>

وحينما نتقل مع القرآن إلى السنة الخامسة من الهجرة وتحديدًا في غزوة بني المصطلق حين تنفس المنافقون -وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول- عن حقد دفين بدا به القوم أكبر من أن يكون في إسلامهم أو توبتهم طمع، وجدنا القرآن ينتقل حينئذ معهم إلى هذه الحقيقة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا مِرُّهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ \* سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(3)</sup>، وبدا هذا الإقرار أكبر وضوحا بل شدة وحدة في آخر سورة تتناول المنافقين حيث يقول الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

**5- بين الموعدة والإعراض:** انظر إلى ذلك اللين الذي اكتنف الخطاب القرآني وهو يتوجه إلى الرسول ﷺ يخاطبه في شأن المنافقين في أوائل مراحل نفاقهم: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ

(1) سورة التوبة، الآية: 56.

(2) سورة النساء، الآية: 64.

(3) سورة المنافقون، الآيتان: 05-06.

(4) سورة التوبة، الآية: 80.

عَنْهُمْ وَعَظْمُهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا<sup>(1)</sup>، والآية من سورة النساء وهي من أوائل ما نزل.

قال الحافظ ابن كثير: (أي هذا الضرب من الناس هم المنافقون، والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزبهم على ذلك فإنه لا تخفى عليه خافية، فاكتف به يا محمد فيهم فإن الله عالم بظواهرهم وبواطنهم، ولهذا قال له: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾<sup>(2)</sup> أي لا تعنفهم على ما في قلوبهم، ﴿وَعَظْمُهُمْ﴾<sup>(3)</sup> أي وانهم على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾<sup>(4)</sup> أي وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم)<sup>(5)</sup>.

وليس من عجب في ذلك لأن الله تعالى لم يعاملهم بما يعلمه عنهم، وإنما عاملهم بما بدر منهم، والنفاق ههنا لا يزال في مراحل الأولى فيهم.. وما يعلمه الله عنهم من الحقيقة المستقرة التي لم تتبدل ولم تتغير لا يعلمه أحد من الناس ولا يمكن لأحد منهم أن يطلع عليه، وهدي القرآن في هذه المسألة واضح وصريح: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾<sup>(6)</sup>، قال الحافظ ابن كثير: (أي أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك)<sup>(7)</sup> فكانت مثل تلك المعاملة لائقة بالقدر الذي انكشف عنهم، وما انكشف عنهم ههنا لم يرسم بعد ملامح نفاق استقر في نفوسهم، فقد يكون -فيما يبدو للناس- فلتات عابرة وقد يتوب أولئك مما هم فيه..

ثم وجدنا القرآن بعد ذلك ينتقل بلطف من تلك الدعوة إلى الإعراض المصحوب بالموعظة الحسنة فيما بينهم وبين أنفسهم، إلى دعوة النبي ﷺ إلى الإعراض عنهم والتوكل على الله كما يبدو في سورة النساء في قصة أخرى متأخرة عن التي سبقت، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

(1) سورة النساء، الآيتان: 62-63.

(2) سورة النساء، الآية: 63.

(3) سورة النساء، الآية: 63.

(4) سورة النساء، الآية: 63.

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص502).

(6) سورة آل عمران، الآية: 179.

(7) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص424).



وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا<sup>(1)</sup>، وبين مما لا يحتاج إلى دليل أن الدعوة إلى الإعراض مع التوكل على الله غير الدعوة إلى الإعراض المصحوب بالموعظة الحسنة.. ولا يزال هذا شأن القرآن في التعامل مع المنافقين إلى غاية نزول أوائل سورة الأحزاب وفيها نجد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا<sup>(2)</sup>﴾  
﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ<sup>(3)</sup>﴾.

وفي هذا إيذان بالانتقال إلى مرحلة في التعامل مع المنافقين إن لم تحمل من الشدة ما حملته مرحلة لاحقة، فإنها لم تحمل أيضا شيئا من اللين الذي عهدناه من قبل.

وإذا تركنا هذه المرحلة إلى مرحلة لاحقة حيث النفاق ظاهرة بارزة أضحت أكبر من أن يكون في توبة أصحابها أدنى مطمع وجدنا القرآن ينتقل في التعامل مع المنافقين إلى شدة وغلظة تليقان بذلك الاستمرار وذلك الجحود الذي بدا - في وضوح كامل - أنه استقر في نفوسهم، ففي أواخر سورة الأحزاب نقرأ قوله تعالى: ﴿لَنْ لَمَّ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا \* مَلْعُونِينَ أَيْمَانًا ثَقُفُوا أَخِذُوا وَقُتِلُوا نَقِيلًا<sup>(4)</sup>﴾، ونقرأ بعد ذلك في سورة "المنافقون" قوله جل شأنه: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ<sup>(5)</sup>﴾.

وإذا تركنا هذه المراحل إلى آخر مرحلة من عمر النفاق في عهد النبي ﷺ وجدنا سورة التوبة تنتقل في التعامل مع المنافقين إلى حكم شديد يتفق مع المرحلة النهائية التي استقر عليها أمرهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ<sup>(6)</sup>﴾.

وتحمل سورة التوبة - باعتبارها آخر سورة تنزل - الأحكام الختامية التي استقر عليها

(1) سورة النساء، الآية: 81.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 01.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 48.

(4) سورة الأحزاب، الآيتان: 60-61.

(5) سورة المنافقون، الآية: 04.

(6) سورة التوبة، الآية: 73.

الإسلام، ومن تلك الأحكام ما يتعلق بأمر المنافقين، وقد وجدنا بعض المفسرين منهم الإمام القرطبي يقول في آخر شرحه لقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>: (ويقال: إن هذا منسوخ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾<sup>(2)</sup> (3).

## المطلب الثاني: منهج القرآن في التعامل مع ظاهرة النفاق

وقد بدا لي -بعد الاستقراء الكامل لنصوص النفاق- أن القرآن الكريم سلك في التعامل مع ظاهرة النفاق مجموعة من المحاور وضعت في مجملها معالم لمنهج القرآن في التعامل مع الظاهرة، وإني حصرت تلك المحاور في النقاط الآتية:

### -أولاً: تقرير مبدأ الاختبار ممحصاً بين الإيمان والنفاق

وأنطلق في تناول هذه المسألة من الآية التي قررت هذا المبدأ، وأعني بها قوله تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَلِّعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَاِن تُوْمِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَلَكُمْ اٰجْرٌ عَظِيْمٌ﴾<sup>(4)</sup>

ذكر القرطبي<sup>(5)</sup> أن أهل التأويل اختلفوا من المخاطب في هذه الآية على أقوال ثلاثة:

أ-القول الأول: أن الخطاب موجه للكفار والمنافقين، ويصير المعنى أن الله ما كان ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من الكفر والنفاق وعداوة النبي ﷺ ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾. وذكر أن هذا التأويل هو رأي أكثر المفسرين.

ب-القول الثاني: أن الخطاب خطاب للمشركين، والمراد بالمؤمنين في الآية من في الأصلاب والأرحام ممن يؤمن، ويصير المعنى أن الله ما كان ليذر -أيها المشركون- أولادكم الذين حكم لهم بالإيمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يفرق بينكم وبينهم.

ج-القول الثالث: أن الخطاب خطاب للمؤمنين، أي وما كان الله ليذركم يا معشر

(1) سورة النساء، الآية: 81.

(2) سورة التوبة، الآية: 73.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (5/250).

(4) سورة آل عمران، الآية: 179.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (4/270-271).

المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط بينكم وبين المنافقين حتى يميز بينكم بالحنّة والتكليف فتعرفوا المنافق الخبيث والمؤمن الطيب، فإن الله لا يعين لكم المنافقين فتعرفوهم بأسمائهم، ولكن يظهرهم لكم بالحنّة والتكليف، قال: وهذا قول أكثر أهل المعاني.

ولو رجعنا قبله إلى تفسير ابن جرير الطبري<sup>(1)</sup> فإننا نجد قد ذكر جملة من التأويلات لكلمة «الخبيث» منها أنه المنافق، ورجحه بناء على أن الآيات قبلها في ذكر المنافقين وهذه في سياقها، فكأنها أن تكون فيهم أشبه منها بأن تكون في غيرهم.

وذكر بعض الأقوال في تفسيره قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(2)</sup> ثم أعقبها بقوله: (وأولى الأقوال في ذلك بتأويله: وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر، ولكنه يميز بينهم بالحن والابتلاء، كما يميز بينهم بالبأساء يوم أحد وجهاد عدوه وما أشبه ذلك من صنوف الحن، حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم... وإنما قلنا: هذا التأويل أولى بتأويل الآية، وابتدأها خبر من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده، يعني بغير محن حتى يفرق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فكان فيما افتتح به من صفة إظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر دلالة واضحة على أن الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم إلا بالذي ذكر أنه يميز به نعتهم، إلا من استثناه من رسله الذي خصه بعلمه)<sup>(3)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره الآية: (أي أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لو لا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك)<sup>(4)</sup>.

هكذا قرر القرآن الكريم حكمة الله في تصريف أمور عباده المؤمنين إذا اندس في صفوفهم من ليس منهم من المنافقين المخادعين الذين يبتغون في قلوبهم غير ما يظهرون، ويقولون بألسنتهم ما لا يعتقدون.. وهكذا وجدنا النص القرآني؛ يقطع (بأنه ليس من شأن الله سبحانه

(1) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (4/187-188).

(2) سورة آل عمران، الآية: 179.

(3) جامع البيان، لابن جرير الطبري، (4/188-189).

(4) انظر: ص 255.

وليس من مقتضى ألوهيته، وليس من فعل سنته أن يدع الصف المسلم مختلطا غير مميز يتوارى المنافقون فيه وراء دعوى الإيمان ومظهر الإسلام، بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان ومن روح الإسلام، فقد أخرج الله الأمة المسلمة لتؤدي دورا كونيا كبيرا، ولتحمل منهجا إلهيا عظيما... وهذا الدور الكبير يقتضي التجرد والصفاء والتميز والتماسك ويقتضي ألا يكون في الصف خلل ولا في بنائه دخل... وكل هذا يقتضي أن يصهر الصف ليخرج منه الخبث، وأن يضغط لتتهاوى اللبنة الضعيفة، وأن تسلط عليه الأضواء لتكشف الدخائل والضمائر، ومن ثم كان شأن الله سبحانه أن يميز الخبيث من الطيب، ولم يكن شأنه أن يذر المؤمنين على ما كانوا عليه قبل هذه الرحمة العظيمة. كذلك ما كان من شأن الله سبحانه أن يطلع البشر على الغيب الذي استأثر به، فهم ليسوا مهيين بطبيعتهم التي فطرهم عليها للاطلاع على الغيب، وجهازهم البشري الذي أعطاه الله لهم ليس "مصمما" على أساس استقبال هذا الغيب إلا بمقدار... إذن كيف يميز الله الخبيث من الطيب؟ وكيف يحقق شأنه وسنته في تطهير الصف المسلم وتجريده من الغش وتمحيصه من النفاق... ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(1)</sup>، وعن طريق الرسالة، وعن طريق الإيمان بها أو الكفر، وعن طريق جهاد الرسل في تحقيق مقتضى الرسالة، وعن طريق الابتلاء لأصحابهم في طريق الجهاد.. عن طريق هذا كله يتم شأن الله وتحقق سنته، ويميز الله الخبيث من الطيب ويمحص القلوب ويطهر النفوس.. ويكون من قدر الله ما يكون<sup>(2)</sup>.

أحببت أن أنقل هذا النص هكذا كاملا على طوله - وهو ما لم أفعله من قبل - لما فيه من معان جامعة تتحدث في جمال أسلوب وقوة عبارة عما أريد تقريره في نقطة أعلم أنني لا أوفيها حقها لو تركت الأمر فيها لي وحدي، لذلك أذنت لنفسي أن أفعل ما فعلت.

هذا، وأريد أن أشير أخيرا إلى أن سبب نزول هذه الآية أن بعض المسلمين سألوا النبي ﷺ أن يعطيهم علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق، فأنزل الله عز وجل هذه الآية<sup>(3)</sup> ليقرر لهم الحقيقة التي تحدثت عنها آنفا.

(1) سورة آل عمران، الآية: 179.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (525/1-526).

(3) راجعه ص 55، هامش رقم (3).

قال الحافظ ابن حجر: (قال العلماء: وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة: منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه، ومنها أن عادة الرسل أن تبلى وتكون لها العاقبة كما تقدم في قصة هرقل مع أبي سفيان<sup>(1)</sup>، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة.. فافتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب)<sup>(2)</sup>.

وقال غير واحد من التابعين: (كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به الكافرين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر، ويوم أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته)<sup>(3)</sup>.

### ثانيا: بناء العقيدة

إن ما كان يطلقه المنافقون من أقوال يرجفون بها ويطعنون، أو ما كانوا يقومون به من أعمال هي نتاج النفاق الذي مردوا عليه كان محل عناية كاملة من القرآن الكريم: يتوجه إلى المنافقين تارة يقرعهم أو يكشف سوءاتهم ويعري عوراتهم، ويتوجه تارة أخرى إلى المؤمنين يأخذ بأيديهم ويوجههم ويرشدهم إلى ما ينبغي أن يقابلوا به تلك الحماقات أو محاولات الشك التي يريدون أن يقذفوا بها في قلوب المؤمنين:

- فهم الذين قالوا عن المؤمنين: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾<sup>(4)</sup>

- وهم الذين قالوا: ﴿نَخَشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾<sup>(5)</sup>

---

(1) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري، وقد سبق تخريجه ص 100، هامش رقم (3).

(2) فتح الباري، لابن حجر، (347/7).

(3) حكاية السيوطي في الدر المنثور قال: (أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن يحيى بن حبان والحصين بن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ قالوا: كان يوم أحد...). الدر المنثور للسيوطي، (119/2).

(4) سورة الأنفال، الآية: 49.

(5) سورة المائدة، الآية: 52.

-وهم الذين قالوا بعد غزوة أحد: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (1)

-وقالوا فيها أيضا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ (2)

-وهم الذين قالوا عن قتلى شهداء أحد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (3)

-وهم الذين صاروا يقولون هذه المقولة عن كل ضارب في الأرض من المؤمنين أو غاز:

﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (4)

-وهم الذين قالوا في محاولة فاشلة لتأليب المسلمين على النبي ﷺ: ﴿لَا تَتَفَقَّهُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ

اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ (5).

-وهم الذين كانوا يشمتون بالمسلمين في كثير من المرات: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ

تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَبُولُوا وَهُمْ فَارْحُونَ﴾ (6)

-وهم الذين قالوا عن وعد الله ورسوله: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (7).

إن هذه المسائل والقضايا -وغيرها مما لم أثبتته- لم يقابلها القرآن الكريم بالسكوت أو الإعراض، بل وقف عند كل نقطة منها وأولاهها كامل العناية والاعتبار، وما ذاك إلا لأنها -كما هو واضح- مسائل ذات بال، لأنها تتصل بأصول الدين وبأصول العقيدة التي يبني عليها إيمان المسلم، ولئن استطاع الشك أن يتسلل إلى قلب المسلم من واحدة منهن، فما بقي للإيمان حينئذ ما يقوى على الثبات به أمام سيل -لم ينقطع ولم يتوقف- من شكوك وشبهات وجدنا العهد المدني كاملا مسرحا لها، ظلت السنة المنافقين تطلقه في كل حين بمناسبة وبغير مناسبة، لأن الحياة في ظل الدين الجديد كانت حافلة بالنشاط والحركة في مختلف المجالات، وهو أمر لم تقو نفوس المنافقين على تحمله أو قبوله أو مسابته، ومن شأنه أيضا أن يزرع بعض

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 154.

(2) سورة آل عمران، الآية: 154.

(3) سورة آل عمران، الآية: 168.

(4) سورة آل عمران، الآية: 156.

(5) سورة المنافقون، الآية: 07.

(6) سورة التوبة، الآية: 50.

(7) سورة الأحزاب، الآية: 12.

الشك في نفوس حديثة عهد بالإسلام إن لم يعالج في حينه، لذلك وجدنا القرآن الكريم يولي كامل العناية لكل شبهة أطلقها المنافقون، ويرد عليها بما يدحض أصلها أو بما يربط المسلم بأصل إيمانه وعقيدته.

وبتأمل الردود الآتية من القرآن الكريم أستدل لما أقول:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهََ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾<sup>(2)</sup>

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(3)</sup>

﴿فَتَسِرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾<sup>(4)</sup>

﴿قُلْ إِنْ أَمَرَ كَلَهُ اللَّهُ﴾<sup>(5)</sup>

﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(6)</sup>

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَرَ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾<sup>(7)</sup>

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾<sup>(8)</sup>

﴿وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ \* وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا

يَجْمَعُونَ \* وَلَكِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِلَّهِ تَخَشَرُونَ﴾<sup>(9)</sup>

﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرُبَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾<sup>(10)</sup>

(1) سورة الأنفال، الآية: 49.

(2) سورة الأنفال، الآية: 49.

(3) سورة المائدة، الآية: 52.

(4) سورة المائدة، الآية: 52.

(5) سورة آل عمران، الآية: 154.

(6) سورة آل عمران، الآية: 154.

(7) سورة آل عمران، الآية: 154.

(8) سورة آل عمران، الآية: 154.

(9) سورة آل عمران، الآيات: 156-158.

(10) سورة آل عمران، الآية: 156.

﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(1)</sup>

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قَتَلُوا﴾<sup>(2)</sup>

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(3)</sup>

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾<sup>(4)</sup>

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(5)</sup>

﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَكَّلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(6)</sup>

وواضح من هذه الردود كلها أنها كانت تعنى بتوجيه المسلمين إلى تقرير حقائق الإيمان، ومنها:

### 1- التوكل على الله وتوجيه المؤمنين إلى خالقهم: وتوجيههم إلى أن (حساب القوى في

نفسه يختلف، فهناك الله.. وهذا ما لا يدخل في حساب المنافقين والذين في قلوبهم مرض! والعصبة المسلمة في كل مكان وفي كل زمان مدعوة إلى أن تزن بميزان الإيمان والعقيدة، وأن تدرك ببصيرة المؤمن وقلبه، وأن ترى بنور الله وهداه... وألا تستهين بقوتها ووزنها فإن معها الله، وأن تلقي بالها دائما إلى تعليم الله سبحانه للمؤمنين: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(7)</sup> وصدق الله العظيم..<sup>(8)</sup>.

### 2- تفويض الأمر كله لله: وهو أمر من شأنه أن يطمئن المؤمنين فيما قد يستعصي عليهم

فهمه، أو فيما تحار عقولهم في إدراكه فيسلمون أمورهم لله خالقهم مدبر الأمور خيرها وشرها، ومصرف الأقدار تعالى شأنه.

### 3- ربط آجال الناس بالخالق وحده: حتى يفقد قول المنافقين ﴿يَقُولُونَ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ أَمْرٍ شَيْءٍ﴾

(1) سورة آل عمران، الآية: 168.

(2) سورة آل عمران، الآية: 168.

(3) سورة المنافقون، الآية: 07.

(4) سورة المنافقون، الآية: 07.

(5) سورة التوبة، الآية: 51.

(6) سورة التوبة، الآية: 50.

(7) سورة الأنفال، الآية: 49.

(8) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3/1533).



مَا قُتِلْنَا هَهُنَا»<sup>(1)</sup> أو قولهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾<sup>(2)</sup> أقول: حتى يفقد أي تأثير له في نفوس المؤمنين، ومعلوم أن قولهم ذلك إنما كانوا يريدون به من جهة تسفيه أمر النبي ﷺ في اختياره القتال بالنزول عند رغبة أكثر أصحابه، وكانوا يريدون به من جهة أخرى تشييط المؤمنين، ويقرر الله بعد هذا:

- أن لا الجهاد يقصر عمر الإنسان ولا القعود يطيله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾<sup>(3)</sup> ولو كانت صيحات المنافقين صحيحة فليدروا عن أنفسهم الموت إن أتاهم وهم بعيدون عن أسباب الهلاك: ﴿قُلْ فَادْمُرُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

- توجيه أنظار المؤمنين إلى نعيم الآخرة: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(5)</sup>، وهو توجيه - لا شك - يصنع الاستهانة بالموت أمام جلال الشهادة في سبيل الله، وعظيم الأجر المنتظر.

**4- تقرير عقيدة الإيمان بالقدر:** وهو أمر من شأنه طمأنة المؤمنين ورفع معنوياتهم أمام فرح المنافقين بالنجاة والشماتة بهم.. ومن شأنه أيضا تسفيه رأي المنافقين الذين يرون في أنفسهم الذكاء وحسن التقدير: ﴿وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(6)</sup> وما ذاك إلا لأنهم (يأخذون بظواهر الأمور، ويحسبون البلاء شرا في كل حال، ويظنون أنهم يحققون لأنفسهم الخير بالتخلف والقعود، وقد خلت قلوبهم من التسليم لله والرضى بقدره واعتقاد الخير فيه)<sup>(7)</sup> وليس الأمر كذلك: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(8)</sup>.

(1) سورة آل عمران، الآية: 154.

(2) سورة آل عمران، الآية: 168.

(3) سورة آل عمران، الآية: 154.

(4) سورة آل عمران، الآية: 168.

(5) سورة آل عمران، الآية: 157.

(6) سورة التوبة، الآية: 50.

(7) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3/1664).

(8) سورة التوبة، الآية: 51.

### -ثالثا: الصبر على الأذى

قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰكُمْ أُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ \* إِنَّ تَشَسُّكُمْ حَسَنَةٌ تُسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿1﴾ .

قال الحافظ ابن كثير: (وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعزّ أنصارهم ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة أي جذب أو أديب عليهم الأعداء لما لله في ذلك من الحكمة - كما جرى يوم أحد- فرح المنافقون بذلك، قال الله تعالى مخاطبا عباده المؤمنين: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه) (2).

### -رابعا: الإعراض والتجاوز

إن الآيات التي نزلت تحت المؤمنين على الإعراض عن المنافقين وتدعوهم إلى التجاوز وعدم الالتفات إلى ما يقولونه آيات كثيرة أستطيع أن أقول إنها كانت التوجيه الذي لازم نزول الآيات التي تناولت الظاهرة، وأعدد من ذلك:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (3) .  
﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (4) .

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 119-120.

(2) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص395).

(3) سورة النساء، الآية: 63.

(4) سورة النساء، الآية: 81.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنُ لِلْخَائِثِينَ خَصِيمًا﴾ \* وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنْ  
 اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿1﴾  
 ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدُّوا مَعَهُمْ حَتَّى  
 يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ ﴿2﴾

﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿3﴾

﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ تُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ ﴿4﴾

وهناك آيات آخر ليست صريحة في الدعوة إلى الإعراض، ولكن معناها قريب من ذلك.

وتتجه هذه الآيات في مجملها نحو خطة رسمها القرآن منذ بداية العهد المدني هي

(الإعراض والتغاضي عما يبدر منهم.. وهي خطة قتلتهم في النهاية وأضعفتهم، وجعلت بقاياهم

تتوارى ضعفا وخجلا.. وهنا طرف من هذه الخطة ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ مع هذا التوجيه بالإغضاء

عنهم: التطمين بكلاءة الله وحفظه مما يبيتون؛ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿5﴾ نعم وكفى

بالله وكيلا: لا يضار من كان وكيله، ولا يناله تأمر ولا تبييت ولا مكيدة) ﴿6﴾.

#### -خامسا: الحذر والحيطه

لقد كان الأمر الإلهي باتخاذ الحذر والحيطه من المنافقين مبكرا صاحب المرحلة الأولى

لحديث القرآن عن النفاق والمنافقين، نجد ذلك جليا في سورة آل عمران حيث يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا

تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿7﴾

(1) سورة النساء، الآيات: 105-107.

(2) سورة النساء، الآية: 140.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 48.

(4) سورة التوبة، الآية: 95.

(5) سورة النساء، الآية: 81.

(6) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (720/2).

(7) سورة آل عمران، الآية: 118.

قال الحافظ ابن كثير: (يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أي: يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون يجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين خبالا، أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم)<sup>(1)</sup>.

قال القرطبي: (والبطانة مصدر يسمى به الواحد والجمع، وبطانة الرجل خاصته الذين يستبطنون أمره، وأصله من البطن الذي هو خلاف الظهر)<sup>(2)</sup> والمعنى: لا تتخذوا دخلاء من دون المسلمين<sup>(3)</sup>.

وأما كلمة الخبال فقد قال فيها: (والخبال: الخبل، والخبل الفساد، وقد يكون ذلك في الأفعال والأبدان والعقول)<sup>(4)</sup>.

وحيثما نترك سورة آل عمران وهي ثالث سورة تنزل بالمدينة ونسائر القرآن في نزوله، نجد آية تنزل في السنة الخامسة من الهجرة<sup>(5)</sup> كانت أوضح من التي سبقت وأشد منها في التحذير من المنافقين وكيدهم، وأعني بالآية قوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(6)</sup>.

وللحذر ههنا (وجهان: أحدهما فاحذر أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم. الثاني: فاحذر مما يلبسهم لأعدائك وتحذيلهم لأصحابك)<sup>(7)</sup>.

وما ذلك إلا لأنهم (بهذا وذاك يمثلون العدو الأول للرسول ﷺ وللمسلمين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ

---

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص394).

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (4/169)؛ وانظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص541)؛ الكشاف، للزمخشري، (ص191).

(3) انظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص109).

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (4/171)؛ الكشاف، للزمخشري، (ص191).

(5) راجعه: ص62.

(6) سورة المنافقون، الآية: 04.

(7) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (18/116).

فَأَحْذَرُهُمْ<sup>(1)</sup>.. هم العدو الحقيقي؛ العدو الكامن داخل المعسكر، المختبئ في الصف، وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح ﴿فَأَحْذَرُهُمْ﴾<sup>(2)</sup>:

-احذر أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم: وقد كان مطلع سورة الأحزاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾<sup>(3)</sup> فلا تسمع منهم ولا تستشرهم في أمر ولا تصدقهم فيما يقولون.. والعجيب في المنافقين أنهم يأتون النبي ﷺ في كثير من المرات يطلبون عذره أو يبررون خطأ منهم ويحلفون على ذلك بالأيمان المغلظة، حتى إذا صدقهم ﷺ قالوا عنه كما حكى القرآن الكريم لاحقاً: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾<sup>(4)</sup> أي سماع لكل قول.. يجوز عليه الكذب والخداع ولا يفتن إلى غش القول وزوره.. من حلف له صدقه، ومن دس عليه قولاً قبله<sup>(5)</sup>.

لذلك كان تحذير القرآن الكريم من الثقة بقولهم من هذه الناحية أو من ناحية ما ينقلون من قول أو خبر، لأنهم لا يتورعون أبداً في نقل الكذب والبهتان من القول، فابتغواهم الفتنة والوقعة بين الناس أمر لا يخفى.

-واحذر تحذيلهم لأصحابك: وأستدل لهذا المعنى بما في سورة النساء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا بَأْسَاتِ أُولِي الْأَعْيُنِ وَأَنْفِرُوا جَمِيعًا \* وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾<sup>(6)</sup> بجواز اللزوم والتعدية في قوله تعالى ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ أي يبطئ ويتأخر ويتخلف عنكم، أو يبطئ غيره بالتخذيل<sup>(7)</sup>.

-واحذر ممايلتهم لأعدائك: وأستدل لهذا المعنى بما في سورة النساء أيضاً في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ

(1) سورة المنافقون، الآية: 04.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (3575/6).

(3) سورة الأحزاب، الآية: 01.

(4) سورة التوبة، الآية: 61.

(5) راجعه: ص 182.

(6) سورة النساء، الآيتان: 71-72.

(7) راجع هذا المعنى: ص 213.

قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(1)</sup>، فاتصاهم بالمشركين والكافرين قائم لم ينقطع أبداً، وقد كشف القرآن الكريم أنهم كانوا يصرحون لهم سرا وهم في مأمن من أن ينكشف أمرهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْذِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي نحن (ساعدناكم في الباطن، وما ألوناهم خبالاً وتخذيلاً حتى انتصرتم عليهم. وقال السدي: ﴿نَسْتَحْذِذُ عَلَيْكُمْ﴾ نغلب عليكم<sup>(2)</sup>.

لأجل هذه الأسباب كلها كان المنافقون عدواً حقيقياً وجب اتخاذ كافة أسباب الحيطة والحذر تجاههم، قال الحافظ ابن حجر: (وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة<sup>(3)</sup>) وأظهر أهل النفاق ما أظهره من الفعل والقول عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدوا لهم وتحزبوا منهم<sup>(4)</sup>.

قال القرطبي: (ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقادهم إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المخدورات الكبار: أن يظن بأهل الفجور خير)<sup>(5)</sup>.

---

(1) سورة النساء، الآية: 141.

(2) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص543).

(3) يريد غزوة أحد.

(4) فتح الباري، لابن حجر، (347/7).

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص90).

## المبحث الثالث تقويم ظاهرة النفاق

### المطلب الأول: التقويم العقدي لظاهرة النفاق

#### الفرع الأول: أقسام النفاق

الذي عليه العلماء أن النفاق قسمان:

1- نفاق أكبر

2- نفاق أصغر

- قال ابن رجب: (وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه... والثاني: النفاق الأصغر وهو نفاق العمل؛ وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك)<sup>(1)</sup>

- وقال ابن حجر: (والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر؛ فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك، وتتفاوت مراتبه)<sup>(2)</sup>.

- وقال الحسن البصري: (النفاق نفاقان: نفاق الكذب ونفاق العمل.. فأما نفاق الكذب فكان على عهد رسول الله ﷺ، وأما نفاق العمل فلا ينقطع إلى يوم القيامة)<sup>(3)</sup>.

- وفي "صيانة صحيح مسلم": (وهذا الذي نختاره ونريده بياناً فنقول: النفاق نفاقان؛ نفاق الكافر ونفاق المسلم، ويشتركان في أن كل واحد منهما إسرار سوء مع إظهار خلافه)<sup>(4)</sup>.

---

(1) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص438-439).

(2) فتح الباري، لابن حجر، (1/89).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/138).

(4) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمائته من الإسقاط والسقط، للإمام الحافظ المحدث أبي عمرو بن الصلاح، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1404هـ-1984م، (ص233).

-وقال في "فيض القدير": («أربع من كن فيه كان منافقا خالصا»<sup>(1)</sup>): نفاق عمل لا نفاق إيمان<sup>(2)</sup>.

وباستقراء مختلف أقوال العلماء نجد أنهم استعملوا في بيان هذين القسمين من أقسام النفاق العبارات الآتية:

- |                                         |                                          |
|-----------------------------------------|------------------------------------------|
| -نفاق الكفر ونفاق العمل <sup>(4)</sup>  | -نفاق أكبر ونفاق أصغر <sup>(3)</sup>     |
| -نفاق شرعي ونفاق عرفي <sup>(6)</sup>    | -نفاق الكافر ونفاق المسلم <sup>(5)</sup> |
| -نفاق القلب ونفاق اللسان <sup>(8)</sup> | -نفاق القلب ونفاق الأعمال <sup>(7)</sup> |
| -نفاق الكذب ونفاق العمل <sup>(10)</sup> | -نفاق اعتقادي ونفاق عملي <sup>(9)</sup>  |

(1) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الإيمان/باب علامة المنافق]، (ص14)، رقم34.

وفي [كتاب المظالم والغصب/باب إذا خاصم فجر]، (ص430)، رقم2459.

وفي [كتاب الجزية/باب إثم من عاهد ثم غدر]، (ص574)، رقم3178.

وأخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب بيان خصال المنافق]، (ص78/1)، رقم58.

(2) فيض القدير، للمناوي، (1/593).

(3) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، (د.ت.ط)، (11/140)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1423هـ-2002م، (1/338).

(4) انظر: فتح الباري، لابن حجر، (1/89)؛ تحفة الأحوزي، للمباركفوري، (7/368)؛ فيض القدير، للمناوي، (1/593).

(5) انظر: صيانة صحيح مسلم، لابن الصلاح، (ص233).

(6) انظر: عون المعبود، لأبي الطيب العظيم آبادي، (12/346)؛ فيض القدير، للمناوي، (1/84).

(7) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/136).

(8) انظر: الإيمان، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، دار الفضيلة، لبنان-دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الرابعة: 1421هـ-2001م، (2/582).

(9) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص90)؛ فيض القدير، للمناوي، (2/103).

(10) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (8/138).



- نفاق إيمان ونفاق عمل<sup>(1)</sup>  
 -نفاق كفر ونفاق معصية<sup>(2)</sup>  
 -نفاق العمل ونفاق التكذيب<sup>(3)</sup>  
 -نفاق الحقيقة ونفاق المجاز<sup>(4)</sup>  
 -نفاق في الدين ونفاق في شرائعه<sup>(5)</sup>  
 -نفاق في أصل الدين ونفاق في فروعه<sup>(6)</sup>
- فقد اختلفت التسمية من واحدة لأخرى، ومن كاتب لآخر، إلا أن المعنى المراد واحد.

### الفرع الثاني: النفاق في القرآن الكريم

قال ابن رجب: (وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار...) <sup>(7)</sup>.

وباستقراء جميع نصوص القرآن التي تحدثت عن النفاق نجدها -جميعاً من غير استثناء- لا تتحدث إلا عن القسم الأول من النفاق الذي هو النفاق الأكبر أو النفاق الاعتقادي، ولا يوجد منها آية واحدة تحدثت عن القسم الثاني أو أشارت إليه.

(1) انظر: فيض القدير، للمناوي، (593/1)؛ عون المعبود، لأبي الطيب العظيم آبادي، (346/12).  
 (2) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، (327/1)؛ عون المعبود، لأبي الطيب العظيم آبادي، (190/2)؛ فتح الباري، لابن حجر، (127/2)؛ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سورية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1416هـ-1996م، (121/3).

(3) انظر: سنن الترمذي [كتاب الإيمان عن رسول الله/باب ما جاء في علامة المنافق]، (19/5)، رقم 2556.  
 (4) انظر: فتح الباري، لابن حجر، (127/2)؛ سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للشيخ محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعائي، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، (د.ت.ط)، (594-593/4)؛ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، (327/1).

(5) انظر: الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، قدم له وعرف به: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (344/3).

(6) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (143/11)؛ إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت لبنان، 1973م، (161/3).

(7) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (ص438).

وأما ما حكاه ابن رجب في قوله: (ومن أعظم خصال النفاق العملي أن يعمل الإنسان عملاً ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيئ فيتم له ذلك ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره... وهذا قد حكاه الله في القرآن عن المنافقين واليهود.. فحكى عن المنافقين أنهم ﴿اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَافًا وَكُفْرًا وَتَفْرِقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرًا صَادِقًا آمَنَ حَارِبَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَكَيْخْلِفُنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يُشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(1)</sup>... وأنزل في اليهود: ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابُ الْيَمِّ﴾<sup>(2)</sup>... وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»<sup>(3)</sup> والمكر والخديعة في النار، وقد وصف الله المنافقين بالمخادعة..<sup>(4)</sup>.

أقول: إن هذا الذي استدل به على النفاق العملي من القرآن إنما أراد به وجه الشبه القائم بين النفاق العملي والنفاق الاعتقادي، وأن من عمل من المسلمين عملاً يظهر أنه يقصد به الخير وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيئ، فقد أشبهه المنافقين في خصلة من خصالهم، وتبقى بذلك الآيتان اللتان استدل بهما منصرفتين إلى النفاق الاعتقادي لا إلى النفاق العملي.

### الفرع الثالث: التقويم العقدي للنفاق الأكبر

لا خلاف بين العلماء في أن النفاق الاعتقادي كفر وأن صاحبه مخلد في النار، والآيات التي تحدثت عن النفاق في أية صورة من صورته تثبت هذه الحقيقة بما لا يحتمل مجالاً للتأويل:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(5)</sup>

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(6)</sup>

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا بِالْبِخْوَانِ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرُبَىٰ لَوْ

(1) سورة التوبة، الآية: 107.

(2) سورة آل عمران، الآية: 188.

(3) أخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب قول النبي: "من غشنا فليس منا"]، (99/1)، رقم 101.

(4) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص545).

(5) سورة البقرة، الآية: 08.

(6) سورة البقرة، الآية: 16.

كَانُوا عِدَّةً مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴿١﴾

﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (2)

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (3)

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا﴾ (4)

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (5)

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآمَنَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (6)

﴿وَمَا مِنْهُمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ (7)

﴿لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (8)

﴿وَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ (9)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (10)

وباستقراء مختلف تفاسير العلماء نقف على هذه الحقيقة..

- قال الإمام القرطبي: (ثم ذكر المنافقين بعدهم وألحقهم بالكافرين قبلهم لنفي الإيمان

عنهم بقوله الحق ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (11) (12).

(1) سورة آل عمران، الآية: 156.

(2) سورة آل عمران، الآية: 167.

(3) سورة النساء، الآية: 89.

(4) سورة النساء، الآية: 145.

(5) سورة المائدة، الآية: 41.

(6) سورة التوبة، الآية: 45.

(7) سورة التوبة، الآية: 54.

(8) سورة التوبة، الآية: 66.

(9) سورة التوبة، الآية: 74.

(10) سورة المنافقون، الآية: 03.

(11) سورة البقرة، الآية: 08.

(12) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (1/193).

-وقال الحافظ ابن كثير: (شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولما كان أمرهم يشته على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة كل منها نفاق... وهو أنواع: اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب..)(1).

-وقال في موضع آخر: (ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن لأهل الفجور خير)(2).

-وقال الحافظ ابن حجر: (النفاق علامة عدم الإيمان، أو ليعلم منه أن بعض النفاق كفر دون بعض. والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل)(3).

### الفرع الرابع: التقويم العقدي للنفاق الأصغر

**1-أصول النفاق الأصغر:** يرجع العلماء في تقرير القسم الثاني من النفاق -النفاق الأصغر- إلى حديثين اثنين هما أصل هذا الباب رواهما عبد الله بن عمرو (4) عن النبي ﷺ:

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص90).

(2) المصدر نفسه.

(3) فتح الباري، لابن حجر، (1/89).

(4) هو الإمام الحر العابد صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه عبد الله بن عمرو بن العاص، كان اسمه العاص فلما أسلم غيره النبي ﷺ بعبد الله. حمل عن النبي ﷺ علما جمًا، واستأذنه في أن يكتب حديثه فأذن له فكتب صحيفة سماها الصادقة، وهو أحد العبادلة الأربعة من فقهاء الصحابة، وكان أيضا كثير العبادة. شهد ﷺ صفيين إلا أنه يذكر عنه أنه اعتذر من شهودها وندم على ذلك ندامة شديدة، وكان يقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم ولا ضرب بسيف وأنه إنما شهدها لعزمة أبيه عليه. قيل مات ليالي الحرة في ولاية يزيد (سنة 63هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (4/261-268)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/353-363)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/956-959)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/244-246)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/257-267)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/261-262)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (4/414-415).

**الحديث الأول:** «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»<sup>(1)</sup>.

**الحديث الثاني:** «أربع من كن فيه كان منافقا أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها..»<sup>(3)</sup>.

وفي رواية: «فقال رجل يا رسول الله ذهبت اثنتان وبقيت واحدة؟ قال: فإن عليه شعبة من نفاق ما بقي منهن شيء»<sup>(4)</sup>.

وقد حصل من مجموع الحديثين خمس خصال هي أصول هذا النفاق<sup>(5)</sup>:

- الخيانة في الأمانة

- الكذب في الحديث

- الغدر في المعاهدة

- الفجور في الخصومة

- الخلف في الوعد

**2- إشكالية وجود خصال النفاق في المسلم:** وقد عد جماعة من العلماء هذا الحديث

مشكلا من حيث إن هذه الخصال الخمسة المذكورة في الحديثين والتي عد النبي ﷺ المتصف بها

---

(1) أخرجه البخاري [كتاب الإيمان/باب علامة المنافق]، (ص14)، رقم34.

(2) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المظالم والغصب/باب إذا خاصم فجر]، (ص430)، رقم2459.

وفي [كتاب الجزية/باب إثم من عاهد ثم غدر]، (ص574)، رقم3178.

وأخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب بيان خصال المنافق]، (78/1)، رقم58.

(3) سبق تخريجه ص271.

(4) صفة المنافق، للفريابي، (ص45).

(5) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص439)؛ فتح الباري، لابن حجر، (90/1).

جميعا منافقا خالصا، أو من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، أقول: لقد عدوا ذلك مشكلا من حيث إن هذه الخصال قد توجد في المسلم الذي لا شك في إسلامه، أو في المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره كما صرح غير واحد من العلماء<sup>(1)</sup>.

وقد أجاب عن هذا الإشكال جماعة من العلماء المحققين من وجوه<sup>(2)</sup>:

**-الوجه الأول:** أن هذه الخصال خصال نفاق، وأن صاحبها شبيه بالمنافين متخلق بأخلاقهم لا أنه منافق في الإسلام.

**أ-** واستدل أصحاب هذا الرأي بقول عمر بن الخطاب لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: «هل تعلم فيّ شيئا من النفاق؟»<sup>(3)</sup> فإنه لم يرد بذلك نفاق الكفر بل نفاق العمل، واستدلوا أيضا بوصفه ﷺ له بالخالص، ولو كان نفاق الكفر لما احتاج إلى هذا الوصف. ومعنى "كان منافقا خالصا" أي شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.

**ب-** وقالوا إنما شبه صاحب هذه الخصال بالمنافقين لأن حقيقة النفاق إنما هي إظهار ما يبطن خلافه، وهو ذات المعنى الذي يلتمس في صاحب هذه الخصال من حيث هذه الحقيقة على إطلاقها، فكان الحمل في التسمية على المجاز لوجود شبه بينهما.

**ج-** وقيده بعض العلماء هذا الوصف بمن كانت هذه الخصال غالبية عليه أو اعتادها حتى صارت له ديدنا، أما من ينذر في حقه مثل ذلك الوصف فليس داخلا في هذا المعنى.

واستدل من قال بهذا القيد بـ "إذا" في الحديث على أنها تدل على تكرار الفعل.. واستدل آخرون بحذف المفعول لفعل "حدث" على أن حذف المفعول يدل على العموم فيصير المعنى إذا حدث في كل شيء كذب فيه، أو يصير بمعنى إذا وجد ماهية التحدث كذب<sup>(4)</sup>.

**د-** وقيده آخرون هذا الوصف بمن يحدث بحديث يعلم أنه يكذب فيه، ويعهد عهدا يعلم أنه لا يفني به، وينتظر الأمانة للخيانة فيها.

---

(1) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (40/2).

(2) انظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري، (197/1)؛ صحيح مسلم بشرح النووي، (40/2-41)؛ جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص439-443)؛ فتح الباري، لابن حجر، (90/1)؛ فيض القدير، للمناوي، (84/1)؛ تحفة الأحمدي، للمباركفوري، (368/7).

(3) فتح الباري، لابن حجر، (90/1).

(4) انظر: فتح الباري، لابن حجر، (90/1-91).

وتعلق أصحاب هذا القيد بما رواه سلمان الفارسي<sup>(1)</sup> قال: «دخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: من خلال المنافق إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان.. فخرجنا من عند رسول الله ﷺ وهما ثقيلان فلقيتهما فقلت: مالي أراكما ثقلين؟ قالوا: حديثنا سمعناه من رسول الله ﷺ... قال: أفلا سألتماه؟ قال: هبنا رسول الله ﷺ، قلت لكني سأسأله.. فدخلت على رسول الله ﷺ فقلت: لقيني أبو بكر وعمر وهما ثقيلان، ثم ذكرت ما قالوا فقال: قد حدثتهما ولم أضعه على الموضوع الذي يضعانه، ولكن المنافق إذا حدث وهو يحدث نفسه أنه يكذب، وإذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف، وإذا ائتمن وهو يحدث نفسه أنه يخون»<sup>(2)</sup>.

وقد أورد الإمام القرطبي هذا الحديث من غير سند، وذكر عليا بدل سلمان وصدده بقوله:

(ضعيف الإسناد)<sup>(3)</sup>.

هـ- ولقد ذكر الإمام النووي أن هذا المعنى - أعني حمل الحديث على نفاق العمل - هو الذي قاله المحققون من العلماء، وصار إليه الأكثرون، ورجح أنه هو الصحيح المختار<sup>(4)</sup>، وكذلك قال الإمام القرطبي في تفسيره<sup>(5)</sup> والحافظ ابن حجر<sup>(6)</sup> في "الفتح".

(1) هو الصحابي الجليل سابق الفرس إلى الاسلام، أبو عبد الله، يعرف بسلمان الخير ويقال له سلمان ابن الإسلام، أصله من فارس، صحب النبي ﷺ وخدمه، وله أخبار حسان وفضائل جمّة، كان حبراً عالماً وزاهداً متقشفاً. طلب دين الله تعالى وتبع من يرجو ذلك عنده فدان بالنصرانية وغيرها وصبر في ذلك على مشقات نالته، حتى سمع بالنبي ﷺ فخرج في طلبه حتى أفضى إليه ومنّ الله عليه بالإسلام، وأول مشاهدته الخندق وهو الذي أشار بحفره، وشهد بقية المشاهد وفتح العراق وولي المدائن. توفي ﷺ في خلافة عثمان (سنة 35هـ) وقيل سنة (30هـ).

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (4/75-93)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/267-290)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (2/634-638)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (2/283-287)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/317-353)؛ الإصابة، لابن حجر، (2/367-368)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (3/423-424).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (6/270)، رقم 6186.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/137)؛ وانظر: أحكام القرآن، لابن العربي، (2/551).

(4) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (2/40).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/137).

(6) انظر: فتح الباري، لابن حجر، (1/90).

ونقل الإمام أبو عيسى الترمذي<sup>(1)</sup> هذا المعنى عن العلماء مطلقا فقال بعد أن ساق حديث: «أربع من كن فيه كان منافقا»<sup>(2)</sup>، قال: (إنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل)<sup>(3)</sup>.  
-**الوجه الثاني:** أن المراد بالنفاق في هذه الأحاديث الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال التي يخاف على المسلم إن هو فعلها واعتاد ارتكابها أن تفضي به - بعد طول اعتياد - إلى حقيقة النفاق.

وهذا القول ارتضاه الخطابي<sup>(4)</sup>، إلا أنه ذكر أيضا أنه يحتمل أن المتصف به بذلك هو من اعتاد ذلك وصار له ديدنا.

-**الوجه الثالث:** أن المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ، فهم الذين حدثوا بأيمانهم وكذبوا، واثمنوا على دينهم فخانوا، ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخلفوا، وفجروا في خصوصاتهم.

---

(1) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة - بفتح السين وسكون الواو - بن موسى السلمي الترمذي، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز، كان يضرب به المثل في الحفظ، عمي في آخر حياته، من مؤلفاته: "الجامع الكبير"، "الشمائل النبوية"، "العلل في الحديث"، توفي (سنة 279هـ).

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (4/278)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (10/610-613)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (2/154-155)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (7/364-365)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص282)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (2/174-175)؛ التاج المكلل، للقنوجي، (ص101-102).

(2) سنن الترمذي [كتاب الإيمان عن رسول الله/باب ما جاء في علامة المنافق]، (5/19)، رقم 2556. والحديث متفق عليه، وقد سبق تخرجه ص271.

(3) سنن الترمذي، (5/19).

(4) هو أبو سليمان حمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي البستي (نسبة إلى بست مدينة من بلاد كابل)، كان أحد أوعية العلم في زمانه، حافظا فقيها مبرزا على أقرانه، قال ابن الأهدل: "أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي الشافعي صاحب التصانيف الجامعة"، من مؤلفاته: "معالم السنن"، "إصلاح غلط المحدثين"، "غريب الحديث". توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للهجرة (388هـ).

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (2/214-216)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (13/3-6)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (3/149-150)؛ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، (3/282-290)؛ بغية الوعاة، للسيوطي، (1/546-547)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (3/127-128)؛ معجم المؤلفين، لرضا كحالة، (2/61).



وذكر الإمام النووي أن هذا القول (قول سعيد بن جبير<sup>(1)</sup> وعطاء بن أبي رباح، ورجع إليه الحسن البصري رحمه الله بعد أن كان على خلافه، وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر<sup>(2)</sup>، ورواه أيضا عن النبي<sup>(3)</sup>. قال القاضي عياض<sup>(2)</sup> رحمه الله: "وإليه مال كثير من أئمتنا"<sup>(3)</sup>.

وحكى عن الخطابي رحمه الله أن بعضهم ذكر أن الحديث ورد في رجل بعينه منافق، وكان هديه<sup>(4)</sup> ألا يواجه الناس بصريح القول فيقول فلان منافق، وإنما كان يشير إشارة كقوله<sup>(5)</sup>: "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا؟"<sup>(4)</sup>.

إلا أن الحافظ ابن حجر ذكر هذا الرأي والرأي الذي قبله ثم تعقبهما بعد ذلك بقوله: (وهذه الأجوبة كلها مبنية على أن اللام في المنافق للجنس، ومنهم من ادعى أنها للعهد فقال إنه ورد في حق شخص معين أو في حق المنافقين في عهد النبي<sup>(6)</sup>، وتمسك هؤلاء بأحاديث

---

**(1)** هو أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الكوفي، من أصل حبشي، وهو من كبار أئمة التابعين في الفقه والحديث، وكان زاهدا عابدا ورعا. أخذ العلم عن كبار الصحابة وفقهائهم كابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وأنس بن مالك وغيرهم. قتله الحجاج بن يوسف شهيدا سنة خمس وتسعين (سنة 95هـ) عن سبع وخمسين سنة.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (267-256/6)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (342-301/4)؛ طبقات الفقهاء، للشيرازي، (ص82)؛ صفة الصفوة، لابن الجوزي، (50-44/2)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (374-371/2)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (302-287/5)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (61-60/1)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (308-306/3)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (110-108/1).

**(2)** هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي نسبة، السبتي دارا وبلدا، الأندلسي أصلا، المالكي مذهباً، كان فقيها أصوليا وإمام وقته في الحديث وعلومه، وكان عالما بال النحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، ولي قضاء سبتة ثم غرناطة، من مؤلفاته: "إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم"، "الشفاء بالتعريف بحق المصطفى"، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك"، توفي بمراكش (سنة 544هـ).

انظر ترجمته في: بغية الملتبس، للضبي، (ص384-383)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (485-483/3)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (41-37/15)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (69-67/4)؛ الديباج المذهب، لابن فرحون، (ص273-270)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص470)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (139-138/4)؛ الرسالة المستطرفة، للكتاني، (ص89)؛ شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، (205/1).

**(3)** صحيح مسلم بشرح النووي، (41-40/2).

**(4)** المصدر نفسه، (ص41).

ضعيفة<sup>(1)</sup> جاءت في ذلك لو ثبت شيء منها لتعين المصير إليه، وأحسن الأجوبة ما ارتضاه القرطبي، والله أعلم<sup>(2)</sup>.

**3- من اتصف من المسلمين بخصال المنافقين: والذي عليه العلماء المحققون أن من اتصف بهذه الخصال -جميعها أو بعضها- ولو متعمدا لا يكون كافرا أبدا:**  
قال ابن العربي: (والذي عندي أنه لو غلبت عليه المعاصي ما كان بها كافرا ما لم يؤثر في الاعتقاد)<sup>(3)</sup>.

وقال القرطبي: (قال علماؤنا: إن إخوة يوسف عليهم السلام عاهدوا أباهم فأخلفوه، وحدثوه فكذبوه، وائتمنهم على يوسف فخانوه وما كانوا منافقين)<sup>(4)</sup> وعلى ذلك قامت الأدلة الواضحة.

وقال ابن رجب: (ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضا، لكن اسم الإيمان ينفي عن ترك شيئا من واجباته كما في قوله:

---

**(1)** منها ما أورده ابن العربي والقرطبي من رواية مقاتل بن حيان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر وابن عباس قالوا: «أتينا رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه فقلنا يا رسول الله إنك قلت: "ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان، ومن كانت فيه خصلة منهن ففيه ثلث النفاق" فظننا أنا لم نسلم منهن أو من بعضهن ولم يسلم منهن كثير من الناس، قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال: ما لكم ولهن، إنما خصصت بمن المنافقين كما خصهم الله في كتابه. أما قولي: "إذا حدث كذب" فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ الآية، أفأنتم كذلك؟ قلنا لا قال لا، عليكم أنتم من ذلك برآء. وأما قولي: "إذا وعد أخلف" فذلك فيما أنزل الله علي: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآيات الثلاث، أفأنتم كذلك؟ قلنا لا، والله لو عاهدنا الله على شيء أوفينا به. قال لا عليكم أنتم من ذلك برآء. وأما قولي: "وإذا ائتمن خان" فذلك فيما أنزل الله علي: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ الآية، فكل إنسان مؤتمن على دينه: فالمؤمن يغتسل من الجنابة في السر والعلانية، والمنافق لا يفعل ذلك إلا في العلانية أفأنتم كذلك؟ قلنا لا، قال لا عليكم أنتم من ذلك برآء».

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/137)؛ أحكام القرآن، لابن العربي، (2/551-553).

**(2)** فتح الباري، لابن حجر، (1/91).

**(3)** أحكام القرآن، لابن العربي، (2/553).

**(4)** الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (8/138).

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»<sup>(1)</sup>. وقد اختلف أهل السنة هل يسمى مؤمنا ناقص الإيمان، أو يقال ليس بمؤمن لكنه مسلم؟ على قولين... وأما اسم الإسلام فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته، وإنما يُنفى بالإتيان بما ينافيه بالكلية، ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفي الإسلام عمن ترك شيئا من واجباته كما يُنفى الإيمان عمن ترك شيئا من واجباته، وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات، وإطلاق النفاق أيضا. وقد اختلف العلماء هل يسمى مرتكب الكبائر كافرا كافرا صغيرا، أو منافقا النفاق الأصغر؟ ولا أعلم أن أحدا منهم أجاز إطلاق نفي اسم الإسلام عنه..<sup>(2)</sup>.

وقال ابن حزم الظاهري<sup>(3)</sup>: (وأما الكلام في قوله ﷺ «كان منافقا خالصا» و«كانت فيه خصلة من النفاق» فإن رسول الله ﷺ لم يقل فيه إنه يكون كافرا... فليس كل منافق كافرا، إنما المنافق الكافر الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان، وأما من أسر شيئا ما وأظهر غيره، ففعله نفاق

(1) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المظالم/باب النهي بغير إذن صاحبه]، (ص434)، رقم2475. وفي [كتاب الأشربة/باب قول الله تعالى: "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"]، (ص1059)، رقم5578.

وفي [كتاب الحدود/باب لا يشرب الخمر]، (ص1251)، رقم6772.

وفي [كتاب الحدود/باب السارق حين يسرق]، (ص1253)، رقم6782.

وفي [كتاب الحدود/باب إثم الزناة]، (ص1257)، رقم6809، 6810.

وأخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله]، (76/1)، رقم57.

(2) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص38-39).

(3) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ولد بقرطبة سنة 384هـ، نشأ في نعمة وجاه عريض، ثم أقبل على العلم أشد ما يكون الطلب حتى أصبح عالما مستنبطا مجتهدا ضاربا بسهم وافر في شتى العلوم، كان شافعيًا ثم تمذهب بمذهب أهل الظاهر. عرف بالجدل والمناظرة، وكان جريئا على الأئمة والعلماء. له تواليف عدة بلغ فيها الغاية في الإتقان منها: المحلى، الإحكام في أصول الأحكام وغيرها. توفي (سنة 456هـ).

انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ، للذهبي، (3/227-232)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (435-437)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (3/299-300)؛ التاج المكلل، للقنوجي، (ص78-83)؛ ابن حزم: حياته وعصره، آراؤه وفقهه، للإمام محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت.ط).

وليس كفرا، وهو بذلك الفعل منافق لا كافر<sup>(1)</sup>.

**4-شروط في خصال النفاق الأصغر:** هذا، وقد ذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي أن خلف الوعد بالصورة التي في الحديث إنما (ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر، فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق...) <sup>(2)</sup>، وقد يستدل لهذا بما رواه زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا وعد الرجل وبنوي أن يفى به فلم يف به فلا جناح عليه» <sup>(3)</sup>.

## المطلب الثاني: التقويم الفقهي لظاهرة النفاق

### الفرع الأول: الحكم بالظاهر والله السرائر

إن الذي يتتبع مختلف نصوص القرآن التي رصدت ظاهرة النفاق يدرك جليا (أن الله عز وجل أخبر عن المنافقين بأنهم ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ <sup>(4)</sup> يعني -والله أعلم- من القتل، ثم أخبر بالوجه الذي اتخذوا به أيمانهم جنة فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ <sup>(5)</sup> فأخبر عنهم بأنهم آمنوا ثم كفروا بعد الإيمان كفرا إذا سئلوا عنه أنكروه وأظهروا الإيمان وأقروا به وأظهروا التوبة منه وهم مقيمون فيما بينهم وبين الله على الكفر، قال الله جل ثناؤه: ﴿يُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ <sup>(6)</sup> فأخبر بكفرهم وجحدهم الكفر، وكذب سرائرهم بجحدهم، وذكر كفرهم في غير آية وسماهم بالنفاق إذ أظهروا الإيمان وكانوا على غيره، قال

(1) الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ضبط وتحقيق وتعليق: د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة مصر، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، (798/5).

(2) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، (116/3).

(3) أخرجه الترمذي [كتاب الإيمان عن رسول الله/باب ما جاء في علامة المنافق]، (20/5)، رقم 2633.

وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي.

وأخرجه أبو داود [كتاب الأدب/باب في العدة]، (268/5)، رقم 4995.

(4) سورة المنافقون، الآية: 02.

(5) سورة المنافقون، الآية: 03.

(6) سورة التوبة، الآية: 74.

جل وعز: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكُن تَجِدَهُمْ خَفِيفًا﴾<sup>(1)</sup> فأخبر عز وجل عن المنافقين بالكفر وحكم فيهم بعلمه من أسرار خلقه ما لا يعلمه غيره بأنهم في الدرك الأسفل من النار وأنهم كاذبون بأيمانهم، وحكم فيهم جل ثناؤه في الدنيا بأن ما أظهروا من الإيمان - وإن كانوا به كاذبين - لهم جنة من القتل وهم المسرون الكفر المظهرون بالإيمان... ثم حكم رسوله ﷺ أن ليس لأحد أن يحكم على أحد بخلاف ما أظهر من نفسه، وأن الله عز وجل إنما جعل للعباد الحكم على ما أظهروا لأن أحدا منهم لا يعلم ما غاب إلا ما علمه الله عز وجل، فوجب على من عقل عن الله أن يجعل الظنون كلها في الأحكام معطلة فلا يحكم على أحد بظن، وهكذا دلالة سنن رسول الله ﷺ حيث كانت لا تختلف<sup>(2)</sup>، ومن النصوص الدالة على ذلك:

**1- النص الأول:** عن المقداد بن عمرو الكندي<sup>(3)</sup> قال: قلت لرسول الله ﷺ: «أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله. فقال يا رسول الله، إنه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعدما قطعها. فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله، فإن قتله فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»<sup>(4)</sup>.

(1) سورة النساء، الآية: 145.

(2) الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، بيت الأفكار الدولية، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، (ص1250).  
(3) هو الصحابي الجليل المقداد بن عمرو تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري فنسب إليه فكان يقال المقداد بن الأسود فلما نزل القرآن قيل المقداد بن عمرو. كان قديم الإسلام، هاجر إلى أرض الحبشة المحجرة الثانية ثم هاجر إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وسائر المشاهد وشهد فتح مصر. كان من الرماة المذكورين، وكان يقال أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد. توفي (سنة 33هـ) ودفن بالقيع وهو ابن سبعين سنة أو نحوها.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/161-163)؛ حلية الأولياء، للأصفهاني، (1/227-231)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (4/1480-1482)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (4/458-461)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (2/111-112)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/240-243)؛ الإصابة، لابن حجر، (5/194-195)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (8/327-328).

(4) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب شهود الملائكة بدرًا]، (ص727)، رقم4019. وفي [كتاب الديات/باب قول الله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم"]، (ص1267)، رقم6865. وأخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله]، (1/95)، رقم95.

**2-النص الثاني:** عن عبيد الله بن عدي بن الحيار<sup>(1)</sup> أنه قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس بين ظهراي الناس إذ جاءه رجل فسارّه فلم يدر ما سارّه به حتى جهر رسول الله ﷺ، فإذا هو يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فقال رسول الله ﷺ حين جهر: أليس يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟ فقال الرجل بلى، ولا شهادة له. فقال أليس يصلي؟ قال بلى، ولا صلاة له. فقال ﷺ: أولئك الذين نهاني الله عنهم»<sup>(2)</sup>.

**3-النص الثالث:** عن عتبان بن مالك<sup>(3)</sup> قال: «غدا عليّ رسول الله ﷺ فقال رجل: أين مالك بن الدخشن<sup>(4)</sup>؟ فقال رجل منا: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: لا تقل

**(1)** هو عبيد الله بن عدي بن الحيار القرشي، ذكر ابن سعد أباه في مسلمة الفتح وابنه عبيد الله هذا فيمن له رؤية، وسار علي هذا الرأي ابن حجر قال كان في الفتح مميّزا فعد في الصحابة لذلك لكنه ذكر أن أباه قتل ببدر، وقال العجلي في الثقات عبيد الله بن عدي بن الحيار تابعي ثقة من كبار التابعين وأبوه من أصحاب رسول الله ﷺ، وسار علي هذا الرأي النووي فقال مدني تابعي من فقهاء قريش وثقاتهم أدرك زمن النبي ﷺ ولم يرو عنه شيئا ولم تثبت رؤيته، وعده البخاري من فقهاء قريش. توفي في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك.

**انظر:** التاريخ الكبير، للبخاري، (391/5)؛ الثقات، لابن حبان، (64/5)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/421-422)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (1/313)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (5/31-32)؛ الإصابة، لابن حجر، (4/150-151)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (5/397).

**(2)** أخرجه أحمد [كتاب باقي مسند الأنصار/باب حديث عبيد الله بن عدي]، (5/432)، رقم 23720.

وأخرجه مالك في الموطأ [كتاب قصر الصلاة في السفر/باب جامع الصلاة]، (ص86)، رقم 413.

**(3)** هو عتبان -بكسر العين- بن مالك أحد بني سالم، صحابي شهير، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمر بن الخطاب. شهد عتبان بن مالك بدرا وأحدا والخندق، وذهب بصره على عهد النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأتيه فيصلي في مكان من بيته فيتخذه مصلى ففعل ذلك رسول الله ﷺ فكان إمام قومه بني سالم. مات عتبان بن مالك ﷺ في وسط من خلافة معاوية بن أبي سفيان وليس له عقب.

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/550)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/1236)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (3/453-454)؛ الإصابة، لابن حجر، (3/411)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (5/455).

**(4)** هو مالك بن الدُخْشَم -ويقال الدخيشم والدخشن والدخيشن- شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واختلف في شهوده العقبة. ومالك بن الدخشم هو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو، وهو أحد اللذين بعثهما رسول الله ﷺ من تبوك فأحرقا مسجد الضرار، وهو الذي أسر فيه الرجل إلى رسول الله ﷺ بقتله فقال له رسول الله ﷺ: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ ولا يصح عنه النفاق. توفي مالك وليس له عقب.

**انظر ترجمته في:** الطبقات الكبرى، لابن سعد، (3/549)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/1350)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (4/230)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (2/81)؛ الإصابة، لابن حجر، (5/32).

ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: فإننا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين. قال رسول الله ﷺ: فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»<sup>(1)</sup>.

وفي رواية: «ودوا أنه دعا عليه فهلك، وودوا أنه أصابه شر، ففضى رسول الله ﷺ الصلاة وقال...»<sup>(2)</sup>.

**4-النص الرابع:** عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»<sup>(3)</sup>.

وفي رواية: «فإذا قالوها وصلّوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت...»<sup>(4)</sup>.

(1) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الصلاة/باب المساجد في البيوت]، (ص81)، رقم425.

وفي [كتاب أبواب التهجد/باب صلاة النوافل جماعة]، (ص205)، رقم1186.

وفي [كتاب الأطعمة/باب الخزيرة]، (ص1030)، رقم5401.

وفي [كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/باب ما جاء في المتأولين]، (ص1281)، رقم6938.

وأخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً]، (1/62)، رقم33.

وفي [كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر]، (1/455)، رقم33.

(2) الحديث نفسه من لفظ مسلم.

(3) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الإيمان/باب "إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم"]، (ص12)، رقم25.

وفي [كتاب الصلاة/باب فضل استقبال القبلة]، (ص77)، رقم392.

وفي [كتاب الزكاة/باب وجوب الزكاة]، (ص245)، رقم1400.

وفي [كتاب الجهاد والسير/باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله]،

(ص529)، رقم2946.

وفي [كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/باب قتل من أبي قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة]، (ص1278)،

رقم6924.

وفي [كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب الاقتداء بسنن رسول الله]، (ص1343)، رقم7285.

وأخرجه مسلم [كتاب الإيمان/باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله]، (1/81)، رقم20،

21، 22.

(4) الحديث نفسه من لفظ البخاري.

**5-النص الخامس:** استأذن خالد بن الوليد (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وسلم) في قتل رجل قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) اتق الله، فلم يأذن له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: «لا، لعله أن يكون يصلي. فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم»<sup>(2)</sup>، وقد قال في حقه هذا الكلام رغم أنه أعقبه بقوله: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة»<sup>(3)</sup>.

قال الشافعي<sup>(4)</sup> وقد ساق بعضا من هذه النصوص التي سقتها: (وأباح دماء أهل الكفر من خلقه فقال **﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾**<sup>(5)</sup>، وحرّم دماءهم إن أظهروا الإسلام فقال:

**(1)** هو الصحابي الجليل سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي. كان من فرسان قريش وأشدائهم في الجاهلية. شهد مع المشركين بدرًا وأحدا والخندق ثم أسلم بعد الحديبية وسماه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيف الله، وشهد مؤتة وفتح مكة وحنينا والطائف. لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعثه أبو بكر إليهم فأبلى في قتالهم بلاء عظيمًا، ثم ولّاه حرب فارس والروم فأثر فيهم تأثيرًا شديدًا. ولما توفى أبو بكر وولي عمر عزله عما كان عليه وولى أبا عبيدة بن الجراح. توفى بحمص وقيل بالمدينة (سنة 21هـ) في خلافة عمر عن ستين سنة.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (4/252-253)؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، (2/427-431)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (1/669-672)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/227-239)؛ الإصابة، لابن حجر، (2/27-23)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر (2/539-540).

**(2)** متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب المغازي/باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع]، (ص787)، رقم 4351.

وأخرجه مسلم [كتاب الزكاة/باب ذكر الخوارج وصفاتهم]، (2/441)، رقم 1064.

**(3)** الحديث نفسه.

**(4)** هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي نزيل مصر، المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، أحد أئمة أهل السنة صاحب المذهب الشافعي، اتفق العلماء قاطبة على فقهه وأمانته وعدالته، من أهم تصانيفه: "الأم" في الفقه، "المسند" في الحديث، "الرسالة" في أصول الفقه. ولد سنة خمسين ومائة وتوفي (سنة 204هـ).

انظر ترجمته في: حلية الأولياء، للأصفهاني، (9/71-172)؛ طبقات الفقهاء، للشيرازي، (ص71-72)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (4/163-169)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (8/377-423)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (1/365-266)؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، (7/24-28)؛ شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، (2/9-11)؛ الشافعي: حياته وعصره-آراؤه وفقهه، للإمام محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية: 1416هـ-1996م.

**(5)** سورة التوبة، الآية: 05.



﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾<sup>(1)</sup> وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾<sup>(2)</sup>  
 وقال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾<sup>(3)</sup> فجعل حينئذ دماء المشركين مباحة وقتالهم حتما  
 وفرضا عليهم إن لم يظهروا الإيمان، ثم أظهره قوم من المنافقين فأخبر الله نبيه عنهم أن ما يخفون  
 خلاف ما يعلنون فقال: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾<sup>(4)</sup>،  
 وقال: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ تُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾<sup>(5)</sup> مع ما ذكر به  
 المنافقين فلم يجعل لنبيه قتلهم إذا أظهروا الإيمان<sup>(6)</sup>.

### الفرع الثاني: إقرار من أظهر الإسلام على أحكام الإسلام

وهكذا وجدنا سيرته ﷺ في المنافقين: قبل ظاهر إسلامهم ووكّل سرائرهم إلى الله عز وجل  
 (ولم يجعل لنا علما بالنيات والمقاصد تتعلق الأحكام الدنيوية بها)<sup>(7)</sup>، وأخبرنا أن الله عز وجل  
 -على علمه في المنافقين بكفرهم- لم يجر أحكام العباد في هذه الدنيا على علمه فيهم، قال ابن  
 قيم الجوزية رحمه الله: (وبذلك مضت أحكام رسول الله ﷺ فيما بين العباد من الحدود وجميع  
 الحقوق، أعلمهم أن جميع أحكامه على ما يظهرون، والله يدين بالسرائر)<sup>(8)</sup> ثم أشار ابن القيم إلى  
 حديث عويمر العجلاني<sup>(9)</sup> في لعانه امرأته ثم قال: (فقال النبي ﷺ فيما بلغنا: "لو لا ما

(1) سورة الأنفال، الآية: 39.

(2) سورة النساء، الآية: 92.

(3) سورة النساء، الآية: 93.

(4) سورة التوبة، الآية: 74.

(5) سورة التوبة، الآية: 95.

(6) الأم، للشافعي، (ص1591-1592).

(7) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، (3/100).

(8) المصدر نفسه، (ص101).

(9) هو عويمر بن أبيض العجلاني الأنصاري وقيل عويمر بن الحارث وأبيض لقب لأحد آبائه، صحابي يذكر أنه  
 صاحب اللعان الذي رمى زوجته بشريك بن سحماء فلاعن رسول الله ﷺ بينهما، وكان ذلك في شعبان سنة تسع  
 من الهجرة حين قدم من تبوك فوجدها حبلى.

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (3/1226)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (4/17)؛ تهذيب الأسماء  
 واللغات، للنووي، (2/41)؛ الإصابة، لابن حجر، (4/106-107).

قضى الله لكان لي فيها قضاء غيره"<sup>(1)</sup>، يعني لو لا ما قضى الله من أن لا يحكم على أحد إلا باعتراف على نفسه أو بينة.. ولم يعرض لشريك<sup>(2)</sup> ولا للمرأة، وأنفذ الحكم وهو يعلم أن أحدهما كاذب، ثم علم بعد أن الزوج هو الصادق<sup>(3)</sup>

ثم ذكر بعد ذلك حديث ركانة<sup>(4)</sup> أنه طلق امرأته البتة، قال: (وأن النبي ﷺ استحلفه ما أردت إلا واحدة فحلف له فردها إليه... فمن حكم على الناس بخلاف ما ظهر عليهم استدلالاً على أن ما أظهروا خلاف ما أبطنوا بدلالة منهم أو غير دلالة لم يسلم عندي من خلاف التنزيل والسنة)<sup>(5)</sup>.

ولذلك أقر الرسول ﷺ المنافقين على جميع الأحكام التي تسري على المسلمين قاطبة ولم يستثن منها شيئاً يلزمهم، بل (عاشروهم النبي ﷺ ولم يقتل منهم أحداً، ولم يجسه ولم يعاقبه ولم يمنعه سهمه في الإسلام إذا حضر القتال ولا مناكحة المؤمنين وموارثتهم والصلاة على موتاهم وجميع حكم الإسلام، وهؤلاء من المنافقين)<sup>(6)</sup>.

---

(1) لم أقف على الحديث.

(2) هو شريك بن عبدة العجلاني أخو البراء بن مالك لأمه، وهو حليف الأنصار، وهو الذي يقال له شريك بن سحماء صاحب اللعان نسب في الحديث إلى أمه، قذفه هلال بن أمية بامرأته وقيل إنه أول من لاعن في الإسلام. قيل إنه شهد مع أبيه أحداً، وكان أحد الأمراء بالشام في خلافة أبي بكر، وهو الذي بعثه عمر رسولا إلى عمرو بن العاص حين أذن له أن يتوجه إلى فتح مصر.

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (705/2)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (387/2-388)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (246-244/1)؛ الإصابة، لابن حجر، (497/2-498).

(3) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، (102-101/3).

(4) هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، أسلم يوم فتح مكة وكان من أشد الناس وهو الذي سأل رسول الله ﷺ أن يصارعه وذلك قبل إسلامه ففعل وصرعه رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثاً، وهو الذي طلق امرأته سهيمة بنت عويمر بالمدينة البتة فسأله رسول الله ﷺ ما أردت بها؟ يستخبره عن نيته في ذلك، فقال أردت واحدة فردها عليه النبي ﷺ. توفي ركانة بالمدينة في أول خلافة معاوية (سنة 42هـ).

انظر ترجمته في: الاستيعاب، لابن عبد البر، (507/2)؛ أسد الغابة، لابن الأثير، (90/2)؛ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (192-191/1)؛ الإصابة، لابن حجر، (181-180/2).

(5) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، (102-101/3).

(6) الأم، للشافعي، (ص1257).

قال ابن قيم الجوزية: (قال شيخنا<sup>(1)</sup>): وقد ثبت بالسنة المتواترة أن النبي ﷺ كان يجري الزنادقة المنافقين في الأحكام الظاهرة مجرى المسلمين فيرثون ويورثون، وقد مات عبد الله بن أبي وغيره ممن شهد القرآن بنفاقهم ونهى الرسول ﷺ عن الصلاة عليه والاستغفار له، وورثهم ورثتهم المؤمنون كما ورث عبد الله بن أبي ابنه، ولم يأخذ النبي ﷺ من تركة أحد من المنافقين شيئاً ولا جعل شيئاً من ذلك فيئا، بل أعطاه لورثتهم وهذا أمر معلوم بيقين<sup>(2)</sup>).

### الفرع الثالث: بيان في نهى القرآن عن الصلاة على المنافقين

وأما النهي الذي ورد في القرآن: ﴿وَمَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِيكَ بِهِ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَمَرْسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(3)</sup> فهو نهي لنبيه ﷺ خاصة بعد أن صلى على ابن أبي.

وصلاة الرسول ﷺ على عبد الله بن أبي بن سلول ثابتة في الصحيحين من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نكأك ربك أن تصلي عليه<sup>(4)</sup>؟ فقال رسول الله ﷺ إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾<sup>(5)</sup> وسأزيده على السبعين. قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه

(1) يريد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أحد العلماء الكبار، توفي مطلع القرن الثامن الهجري سنة 728هـ.

(2) أحكام أهل الذمة، للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، حققه وعلق حواشيه: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة: 1994م، (2/463).

(3) سورة التوبة، الآية: 84.

(4) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (8/142): (إن قال قائل فكيف قال عمر: أتصلي عليه وقد نكأك الله أن تصلي عليه ولم يكن تقدم نهي عن الصلاة عليهم؟ قيل له: يحتمل أن يكون ذلك وقع له في خاطره ويكون من قبيل الإلهام والتحدث الذي شهد له به النبي ﷺ، وقد كان القرآن ينزل على مراده كما قال: "وافقت ربي في ثلاث" وجاء "في أربع"... فيكون هذا من ذلك. ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية، لا أنه كان تقدم نهي على ما دل عليه حديث البخاري والله أعلم).

وقال ابن حجر في فتح الباري، (8/335): (والذي يظهر أن في رواية الباب تجوزاً بينته الرواية التي في الباب بعده من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر بلفظ "فقال: تصلي عليه وقد نكأك الله أن تستغفر لهم؟").

(5) سورة التوبة، الآية: 80.

رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>

وهو نهي - كما أخبر الإمام الشافعي رحمه الله - متوجه إليه ﷺ دون غيره من المسلمين، قال: (لم يمنع رسول الله ﷺ من الصلاة عليهم مسلماً ولم يقتل منهم بعد هذا أحداً، وترك الصلاة مباح على من قامت بالصلاة عليه طائفة من المسلمين. فلما كان جائزاً أن يترك الصلاة على المسلم إذا قام بالصلاة عليه بعض المسلمين، لم يكن في ترك الصلاة معنى يغير ظاهر حكم الإسلام في الدنيا. وقد عاشرهم حذيفة فعرفهم بأعيانهم، ثم عاشرهم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهم يصلون عليهم، وكان عمر رضي الله عنه إذا وضعت جنازة فرأى حذيفة، فإن أشار إليه أن اجلس جلس، وإن قام معه صلى عليها عمر، ولا يمنع هو ولا أبو بكر قبله ولا عثمان بعده المسلمين الصلاة عليهم ولا شيئاً من أحكام الإسلام)<sup>(3)</sup>.

وقال في مجموع الفتاوى: (بل المنافقون الذين يكتُمون النفاق يصلي المسلمون عليهم ويغسلون وتجري عليهم أحكام الإسلام كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ، وإن كان من علم نفاق شخص لم يجز له أن يصلي عليه كما نهي النبي ﷺ عن الصلاة على من علم نفاقه. وأما من شك في حاله فتجوز الصلاة عليه إذا كان ظاهر الإسلام كما صلى النبي ﷺ على من لم ينه عنه، وكان فيهم من لم يعلم نفاقه كما قال تعالى ﴿وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ

---

(1) سورة التوبة، الآية: 84.

(2) متفق عليه:

أخرجه البخاري [كتاب الجنائز/باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف ومن كفن بغير قميص]، (ص221)، رقم 1269.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم"]، (ص855)، رقم 4670.

وفي [كتاب تفسير القرآن/باب "ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره"]، (ص856)، رقم 4672.

وفي [كتاب اللباس/باب لبس القميص]، (ص1093)، رقم 5796.

وأخرجه مسلم [كتاب فضائل الصحابة/باب من فضائل عمر]، (4/1865)، رقم 2400.

وفي [كتاب صفات المنافقين وأحكامهم]، (4/2141)، رقم 2774.

(3) الأم، للشافعي، (ص1257).

وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ<sup>(1)</sup> ومثل هؤلاء لا يجوز النهي عنه<sup>(2)</sup>.

### الفرع الرابع: أسباب إمساك النبي عن قتل المنافقين

هذا، وقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره<sup>(3)</sup> أقوالاً أربعة لإمساك النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه اليقيني بنفاقهم، ونقلها عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره<sup>(4)</sup>، أذكرها ههنا مختصرة:

**1-القول الأول:** إنما لم يقتلهم ﷺ لأنه لم يعلم بحال نفاقهم إلا هو، وكان ذلك بما أطلعه الله عليه من غيب، وقد اتفق العلماء على بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه.. وإنما اختلفوا في سائر الأحكام.

**2-القول الثاني:** ذكره عن أصحاب الشافعي وقد قالوا إنما لم يقتلهم لأن الزنديق وهو الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان يستتاب ولا يقتل.

ونقض هذا القول بأنه لم ينقل أحد عن النبي ﷺ استتابته للمنافقين.

**3-القول الثالث:** لم يقتلهم ﷺ مصلحة لتأليف القلوب عليه لئلا ينفر الناس عنه، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استأذنه يوماً في قتل عبد الله بن أبي بن سلول: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»<sup>(5)</sup>.

قال القرطبي: (وهذا قول علمائنا وغيرهم)<sup>(6)</sup>.

**4-القول الرابع:** وهو أن الله سبحانه وتعالى قد تولى حفظ أصحاب نبيه محمد ﷺ عن أن يفسدهم المنافقون أو يفسدوا على نبيه دينه، فلم يكن في إبقائهم ضرر، أما بعده ﷺ فلا يؤمن شرهم.

ووقف القرطبي عند هذا الحد، ونقل عنه ابن كثير هذه الأقوال ثم تعقب ذلك بقوله: (فأما بعده فيقتلون إذا أظهروا النفاق وعلمه المسلمون)<sup>(7)</sup>.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 101. (2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (287/24-288).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (193/1-195).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص91-92).

(5) سبق تخريجه ص99.

(6) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (194/1).

(7) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص91-92).

وإنما قال الحافظ ابن كثير هذا الكلام لأنه أسقط اسم المنافق على الزنديق<sup>(1)</sup> وأنزله كامل منزلته، واستدل له على ذلك بما قاله الإمام مالك<sup>(2)</sup> رحمة الله عليه: (المنافق في عهد

**(1)** قال الحافظ ابن حجر في الفتح (270/12-271): (زنديق بكسر أوله وسكون ثانيه، قال أبو حاتم السجستاني وغيره: الزنديق فارسي معرب أصله "زنده كردي" يقول بدوام الدهر، لأن "زنده" الحياة و"كرد" العمل، ويطلق على من يكون دقيق النظر في الأمور. وقال ثعلب: ليس في كلام العرب زنديق وإنما قالوا زندقي لمن يكون شديد التحيل، وإذا أرادوا ما تريد العامة قالوا ملحد ودهري بفتح الدال أي يقول بدوام الدهر، وإذا قالوها بالضم أرادوا كبر السن. وقال الجوهري: الزنديق من الثنوية كذا قال، وفسره بعض الشراح بأنه الذي يدعي أن مع الله إلها آخر، وتعقب بأنه يلزم منه أن يطلق على كل مشرك، والتحقيق ما ذكره من صنف في الملل أن أصل الزنادقة أتباع "ديصان" ثم "ماني" ثم "مزدك" الأول بفتح الدال وسكون المثناة التحتانية بعدها صاد مهملة، والثاني بتشديد النون وقد تخفف والياء خفيفة، والثالث بزاي ساكنة ودال مهملة مفتوحة ثم كاف. وحاصل مقالتهم أن النور والظلمة قديمان وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما، فمن كان من أهل الشر فهو من الظلمة، ومن كان من أهل الخير فهو من النور، وأنه يجب السعي في تخلص النور من الظلمة فيلزم إزهاق كل نفس... وكان "بهرام" جد "كسرى" تحيل على "ماني" حتى حضر عنده وأظهر له أنه قبل مقاتلته ثم قتله وقتل أصحابه، وبقيت منهم بقايا اتبعوا "مزدك" المذكور. وقام الإسلام والزنديق يطلق على من يعتقد ذلك، وأظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل، ومن ثم أطلق الاسم على كل من أسر الكفر وأظهر الإسلام حتى قال مالك: الزنادقة ما كان عليه المنافقون، وكذا أطلق جماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم أن الزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر. فإن أرادوا اشتراكهم في الحكم فهو كذلك وإلا فأصلهم ما ذكرت. وقد قال النووي في "لغات الروضة": الزنديق الذي لا ينتحل ديناً. وقال محمد بن معن في "التنقيب على المذهب": الزنادقة من الثنوية يقولون ببقاء الدهر وبالتناسخ، قال: ومن الزنادقة الباطنية وهم قوم زعموا أن الله خلق شيئاً ثم خلق منه شيئاً آخر فدير العالم بأسره ويسمونهما العقل والنفس وتارة العقل الأول والعقل الثاني، وهو من قول الثنوية في النور والظلمة إلا أنهم غيروا الاسم، قال ولهم مقالات سخيفة في النبوات وتحريف الآيات وفرائض العبادات..).

**(2)** هو إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن الحارث الأصبحي المدني، رأس المتقنين وكبير المتشبهين، إمام أحد المذاهب الأربعة المتبعة في العالم الإسلامي وإليه تنسب المالكية، من تصانيفه "الموطأ"، "رسالة إلى الرشيد"، ولد في المدينة سنة إحدى وتسعين أو أربع وتسعين، وتوفي بها (سنة 179هـ).  
انظر ترجمته في: طبقات الفقهاء، للشيرازي، (ص 67-68)؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ضبطه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م، (1/44-156)؛ صفة الصفوة، لابن الجوزي، (2/177-181)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (4/135-139)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (7/382-437)؛ الديباج المذهب، لابن فرحون، (ص 56-81)؛ (8/6-10)؛ شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (1/199-201)؛ مالك: حياته وعصره - آراؤه وفقهه، لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، (د.ت.ط).

رسول الله ﷺ هو الزنديق اليوم<sup>(1)</sup>

قال ابن عبد البر<sup>(2)</sup>: (وسئل مالك -رحمه الله- عن الزندقة فقال: ما كان عليه المنافقون على عهد رسول الله ﷺ من إظهار الإيمان، وكتمان الكفر هو الزندقة عندنا اليوم. قيل لمالك: فلم يقتل الزنديق ورسول الله ﷺ لم يقتل المنافقين وقد عرفهم؟ فقال: إن رسول الله لو قتله بعلمه فيهم وهم يظهرون الإيمان لكان ذريعة إلى أن يقول الناس: يقتلهم للضغائن أو لما شاء الله غير ذلك، فيمتنع الناس من الدخول في الإسلام..)<sup>(3)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: (وكذا أطلق جماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم أن الزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر.. فإن أرادوا اشتراكهم في الحكم فهو كذلك، وإلا فأصلهم ما ذكرت..)<sup>(4)</sup>

قال: (وقد قيل إن سبب تفسير الفقهاء الزنديق بما يفسر به المنافق قول الشافعي في المختصر: وأي كفر ارتد إليه مما يظهر أو يسر من الزندقة وغيرها ثم تاب سقط عنه القتل، وهذا لا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق، بل كل زنديق منافق من غير عكس، وكان من أطلق عليه في الكتاب والسنة المنافق يظهر الإسلام ويبطن عبادة الوثن أو اليهودية. وأما الثنوية<sup>(5)</sup> فلا

---

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ص92).

(2) هو شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي المالكي، ولد سنة 368هـ، فقيه محدث حافظ نحوي، كان له مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه والمعاني بسطة كبيرة في علم النسب والأخبار. له "التمهيد" و"الكافي" و"الاستذكار" و"الاستيعاب"، وغيرها كثير. توفي (سنة 463هـ).

انظر ترجمته في: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي، تحقيق: الدكتورة روية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م (ص332-333)؛ ترتيب المدارك، للقاضي عياض، (2/352-353)؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، (7/66-72)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (13/524-529)؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، (3/217-219)؛ الديباج المذهب، لابن فرحون، (ص440-442)؛ طبقات الحفاظ، للسيوطي، (ص431-432).

(3) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م، (5/182).

(4) فتح الباري، لابن حجر، (12/271).

(5) يريد بهم الزنادقة، انظر: مختار الصحاح، للرازي، (ص116)؛ لسان العرب، لابن منظور، (10/147).

يُحفظ أن أحدا منهم أظهر الإسلام في العهد النبوي والله أعلم<sup>(1)</sup>.

## نص ختامي

وفي الأخير أرى أنه من الأنسب أن أنقل نصا كاملا من كتاب "سيرة الرسول ﷺ" لما رأيت فيه من معان جامعة، والنص في سياق ذكر بعض الحقائق عن النفاق والمنافقين في عهد رسول الله ﷺ، ومن أبرز تلك الحقائق التي أريد أن أسجلها ههنا خلاصة (عدم ورود روايات موثقة تتضمن أن النبي ﷺ قد اعتبر المنافقين أعداء محاربين أو عاملهم كذلك أو أمر بقتلهم أو قتل بارزيتهم بسبب صفة النفاق أو بسبب موقف منبعث عنه من تلك المواقف الكثيرة المتنوعة التي حكمتها الآيات التي نزلت في مختلف أدوار التنزيل عنهم، والتي احتوت صورا كثيرة من الأذى والكيد والسخرية بالله ورسوله وآياته، والتناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول والتشبيط عن الجهاد، والختل فيه ودس الدسائس وإثارة الفتن والأحقاد، وإشاعة الفاحشة والإرجاف بين المسلمين بما يثير قلقهم وفزعهم، والتعرض لنساء المسلمين بل لنساء النبي بالأذى والكيد، والتضامن مع أعداء الإسلام وموالاتهم وتقرير كونهم قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إيمانهم إلخ، وفي حين أن القرآن أمر بمجاهدتهم مع الكافرين والإغلاظ لهم واعتبارهم أعداء، وأمر بقتل من لم ينته منهم عن مواقف الأذى والإرجاف وبنفيه وبتقتيله أينما ثقف، فضلا عما أذروا به من عذاب دنيوي وأخروي شديدين، وفي حين أن القرآن حكى مواقف لهم مثل هذه المواقف، وبعد هذه الأوامر والإنذارات والتقريرات الحاسمة، كما أن القرآن لم يتضمن إشارة ما إلى ذلك.

فإزاء هذا لا نعدو الصواب إذا قلنا:

**1-** إن النبي ﷺ لم يعتبر المنافقين أعداء محاربين فلم يقاتلهم فعلا كما كان شأنه مع الكفار، لا سيما أن حرب النبي هؤلاء إنما كان لبدئهم بالعدوان واستقرارهم فيه، وحرهم لليهود إنما كان لمثل ذلك، وغزوته لتبوك بسبيل التنكيل بسكان المشارف الذين كان غالبهم نصارى، وتسييره السرايا على هذه المشارف واشتباكها بحرب مع النصارى فيها إنما كان كذلك لعدوان سابق.. ولم يكن حال المنافقين على كل حال يشبه حال كفار العرب أو اليهود أو النصارى المحاربين.

---

(1) فتح الباري، لابن حجر، (271/12).



**2- إن النبي ﷺ** قد اعتبر ما جاء في الآيات القرآنية بمثابة توجيهات متروك إليه أمر تقدير ظروف تنفيذها والسير فيها بما يوافق مصلحة الإسلام والمسلمين، لا سيما أن بعض الآيات الواردة في هذا الصدد قد تخللتها جمل تلهم معنى التعليق على شرط مثل جمل: ﴿فَإِنْ تَوْبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ﴾<sup>(1)</sup>، و﴿لَنْ لَمْ يَتَّهَمِ الْمُنَافِقُونَ﴾<sup>(2)</sup> و﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾<sup>(3)</sup> و﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ﴾<sup>(4)</sup> إلخ كما تخلل الآيات الواردة في شأنهم إشارات إلى أنهم كانوا يصلون مع الجماعة وكانوا يؤدون الزكاة - مع وصف ذلك بأنه وقع كرها ورياء- وكانوا يجلفون الأيمان على حسن نيتهم وصدق إسلامهم، فرأى أن يعاملهم بسعة صدر وحلم وصبر إلى النهاية، لما كان بينهم وبين كثير من المخلصين من روابط القربى والرحم، ورأى أن خلاف هذه الخطة قد يفتح في صفوف الإسلام ثغرات واسعة ويثير أزمات حادة<sup>(5)</sup>.

(1) سورة التوبة، الآية: 74.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 60.

(3) سورة النساء، الآية: 89.

(4) سورة التوبة، الآية: 66.

(5) سيرة الرسول ﷺ، لعزة دروزة، (77/2-79).

# الخاتمة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ عطاءه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ خاتم الأنبياء وإمام المرسلين؛ سيدنا محمد بن عبد الله..  
ختاما لهذا البحث أود أن أسجل جملة من النتائج توصلت إليها -بعد عون الله وتوفيقه- من خلال هذا البحث المتواضع، وأتبعها بعد ذلك ببعض الاقتراحات.

## أولا: النتائج

من خلال الدراسة التي قمت بها في هذا البحث توصلت إلى تقرير عدة نتائج، من أبرزها هذه النقاط:

**1- النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفا، والراجح أنه مأخوذ من النافقاء؛ إحدى جحرة اليربوع يحفره حتى يرق ويكتمه ولا ينفذه إلى السطح، وله جحرة أخرى مفتوحة إذا طلب من أحدها سهل عليه ضرب الأول ضربة يسيرة ينهال بها التراب الرقيق فيخرج منه، وسمي المنافق في الدين بهذه التسمية تشبيها له باليربوع في حيلته هذه.**

**2- عندما رسا الإسلام في الناس وانتشرت معانيه اكتسب لفظ "النفاق" -مع مرور الزمن- معنى لغويًا جديدًا اشتق من المعنى الاصطلاحي، فصار النفاق بمعنى مخالفة الباطن للظاهر عموماً.**

**3- استعمل القرآن الكريم لفظ "النفاق" وما اشتق منه ستا وثلاثين مرة؛ كل تلك الألفاظ بالمعنى الاصطلاحي.**

**4- عدد السور التي تناولت موضوع النفاق والمنافقين ست عشرة سورة، والملاحظ فيها أنّها سور مدنيّة إجماعاً خلا سورتين اثنتين هما "النساء" و "محمد"، وإنّ الأصحّ من أقوال العلماء فيهما أنّهما مدنيّتان، وسورة واحدة هي "العنكبوت"، والصحيح أنّها من أواخر ما نزل بمكّة، إلا الآيات الأوائل منها -والتي فيها لفظ "المنافقين" - فإنّها نزلت بالمدينة.**

**5-** عدد النصوص التي تناولت موضوع النفاق والمنافقين في القرآن الكريم واحد وأربعون نصًا.

**6-** إن الذي يتتبع المرحلة المكية يقف على حقيقتين اثنتين:

**أولاهما:** أنه لا يوجد على الإطلاق ظاهرة النفاق، بل ولا حديث عن النفاق أو المنافقين.  
**ثانيتها:** أنه لم يوجد أحد من المهاجرين فيه نفاق أو مرض نفاق.

**7-** إذا تتبعنا نصوص القرآن الكريم في المرحلة المكية فإننا نقف على الحقائق الآتية:

**أ-** ليس في القرآن المكي كله لفظ النفاق صريحاً أو ما اشتق منه، إلا في سورة واحدة هي سورة "العنكبوت"، والآية التي فيها لفظ "المنافقين" من أوائل ما نزل بالمدينة على الراجح من أقوال العلماء.

**ب-** استعمل القرآن المكي لفظ "الذين في قلوبهم مرض" في موضعين اثنين؛ أولهما في سورة "الحج" وثانيهما في سورة "المدثر"، وتفسير المرض ههنا بالنفاق كما فعل معظم المفسرين لا يستقيم، ولم يسقطه أحد منهم على واقعة بعينها.

**8-** إذا تعاملنا تاريخياً مع كتب السير نجد أن أول بروز واضح المعالم لظاهرة النفاق كان في غزوة أحد (شوال سنة 3هـ)، وأما القرآن فقد أثبت -في سورة الأنفال- وجود المنافقين في غزوة بدر الكبرى (رمضان سنة 2هـ)، وأسجل بهذا الصدد جملة من الحقائق:

**أ-** تتجه أغلب الروايات التي قيلت في تفسير لفظ المنافقين من سورة الأنفال إلى أنهم ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، وخرجوا مع المشركين يوم بدر.

**ب-** إن هؤلاء قتل منهم في بدر من قتل، ومن بقي منهم لم يكن قط قاعدة لنفاق أهل المدينة، ولا كان ظاهرة لها رؤوس وأتباع.

**ج-** لئن كان النفاق في المدينة موجوداً قبل بدر كما تذكر بعض الروايات في شأن تحويل القبلة، فإما أنه كان ضعيفاً، أو أنه كان نفاق ارتياب وتربص من أمر جديد لم يعرف شأنه بعد.

**د-** المعروف أن رأس المنافقين وكهفهم هو عبد الله بن أبي بن سلول، والمؤكد أنه لم يكن قد أعلن إسلامه قبل بدر.

**9-** كانت غزوة بدر الكبرى من غير خلاف الحادثة التي فجرت النفاق وأذكت فيه نازة معاملته واضحة بينة في مدة من الزمان لا تتجاوز سنة واحدة، فإذا هو في المجتمع المدني ظاهرة استقطبت عدداً معتبراً منه.

**10-** لا يكاد يخلو حادث من أحداث السيرة التي كان للمنافقين فيها حضور من الحديث عن عبد الله بن أبيّ بن سلول، وإن كتب السيرة تجمع على أنه رأس المنافقين وكبيرهم لا يختلف في ذلك اثنان.

**11-** إن الحديث عن عبد الله بن أبيّ بن سلول ليس حديثاً عن فرد، وإنما هو حديث عن كبير له أتباع ومحبون يرون رأيه ولا يقطعون إلا بأمره، إذ المعروف أن الأوس والخزرج قبيلتان ظلتا متناحرتين لمدة من الزمان غير يسيرة، وأن يوجد رجل من إحدى القبيلتين يحظى بالقبول والمكانة فيهما معا - قبل مجيء الإسلام- فذلك ما لم يكن لرجل غير عبد الله بن أبي بن سلول، لذلك تعلقت أهم الأسباب التاريخية لنشأة النفاق به، وكان النفاق به تكتلا في المجتمع المسلم حفظ به جزءاً من الزعامة التي كان يريها.

**12-** إن حركة النفاق إنما قام بها وتولى كبرها أفراد تشير الدراسة أنهم من البارزين في قومهم وعشائهم، وأن الذين اندمجوا فيها من العامة لم يكونوا كثيرين، وإنما انساقوا فيها إما بتأثير أولئك من ناحية زعامتهم، أو من ناحية عصبية الأرحام التي تربط بينهم، أو من ناحية الإغراء والمنفعة.

**13-** من أهم الأسباب المنشئة لمثل هذا الداء الخطير أمراض نفسية تنشأ في الفرد بسيطة غير معقدة، هدف الفرد فيها تحقيق مصلحة أو دفع أذى.. ثم إن ممارسة ذلك طويلاً واعتياده على النحو الذي ذكره النبي ﷺ: «وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب..» يقود في أغلب الأحيان إلى النفاق في صورته الكاملة حتى يغدو ذلك جزءاً من التكوين النفسي والسلوكي لصاحبه، فإذا بقي على مستوى الممارسة كان نفاقاً سلوكياً، وإذا تجاوزه إلى العقائد والتصورات كان نفاقاً اعتقادياً.

**14-** إن الدراسة أبانت لي أن ظاهرة النفاق -طيلة المدة التي ظل القرآن الكريم ينزل فيها في العهد المدني- مرت بمراحل خمسة:

أ- مرحلة التبرص والتوجس: وتبدأ بالهجرة وتنتهي بغزوة بدر، ومدتها ثمانية عشر شهراً، وإن أحداً من أهل العلم بالسير لم يؤرخ لظاهرة النفاق في هذه المرحلة، إذ ليس ثمت -طيلة المرحلة- ما يدعو الناس إلى أن ينافقوا، وحديثهم فيها عن دور المنافقين في حادثة تحويل القبلة لا يعدو أن يكون رواية تفسيرية.

ب- مرحلة النشأة الأولى: وتبدأ بغزوة بدر وتنتهي بغزوة أحد، ومدتها سنة واحدة (ثلاثة

عشر شهرا تحديدا)، وتؤرخ المرحلة لبداية النفاق الحقيقية، لكن بصورة لم تتضح معالمها بعد.

**ج-مرحلة النضج والاكتمال:** وتبدأ بغزوة أحد وتنتهي بغزوة بني المصطلق، ومدتها اثنان وعشرون شهرا، وفي هذه المرحلة كشر النفاق عن أنيابه، وبدا أنه أصبح فعلا ظاهرة في المجتمع، ولم يعد وضعية أفراد -قليلين أو كثيرين- ساقطهم ظروفهم الخاصة إلى التظاهر بالإسلام.

**د-مرحلة الافتضاح والتواري:** وتبدأ بغزوة بني المصطلق وتنتهي بالفترة التي تسبق غزوة تبوك، ومدتها تقارب ثلاث سنوات، والذي يتأمل هذه المرحلة يقف على افتضاح المنافقين افتضاحا أحسنهم وهمشهم، ويقف على ركود نشاطهم ركودا كاملا يخيل للدارس كأن النفاق في هذه المرحلة قد ولى وأدبر.

**هـ-مرحلة إعادة بعث النشاط:** وهي مرحلة قصيرة العمر، وهي آخر مراحل النفاق، مسرحها الزماني غزوة تبوك، تبدأ قبلها بيسير وتنتهي بعدها بيسير، وقد أعادت هذه الغزوة للمنافقين نشاطهم الذي كاد يتواري -كما أسلفت القول من قبل- إلى واجهة الأحداث، وأطلت رؤوس كان يظن أنها اختفت، لكنني أسجل أنها عودة خالية من مظاهر القوة والعزة.

وجعلت غزوة تبوك نهاية مراحل النفاق لأن سورة التوبة التي نزلت في شأنها كانت آخر سورة تنزل من القرآن الكريم ولم ينزل بعدها إلا سورة النصر، فناسب أن تكون هذه الغزوة خاتمة مراحل ظاهرة النفاق لمن أراد أن يتتبعها في القرآن الكريم.

## **15-لقد تناول القرآن الكريم ظاهرة النفاق بجملة من النقاط هذه أهمها:**

**أ-** إن القرآن لم يسبق الظاهرة في تناوله لها، ولم يتنبأ للناس بما سيقع منها لاحقا، وإنما تعامل معها بحسب أحداثها، وتناولها بعد وقوع أسبابها من أقوال المنافقين أو تصرفاتهم أو مواقفهم.

**ب-** كان الخطاب القرآني في تناوله الظاهرة خطابا مزدوجا يتجه في السياق الواحد إلى المنافقين وإلى المؤمنين.

**ج-** تناول القرآن الكريم المنافقين بحسب ما بدر من أقوالهم وأفعالهم، ولم يتناولهم بحسب علم الله الذي يعلمه عنهم، ولا من خلال خلجات أنفسهم.

**د-** تعامل القرآن الكريم مع ظاهرة النفاق في أوصافها وسماتها، ولم يكن يعنيه في أصحابها أسماءهم ولا أشخاصهم.

**هـ-** تدرج القرآن الكريم في تناول الظاهرة تدرجا ساير الأحداث في وقوعها وفي تتابعها التاريخي، وقد بدا لي من هذا التدرج نقاط خمسة هي:

-تسمية المنافقين

-الحكم على الظاهرة

-الانتماء والولاء

-الاستغفار

-بين الموعظة والإعراض

**16-** وقد رسم القرآن الكريم في التعامل مع ظاهرة النفاق منهجا من محاوره:

أ- تقرير مبدأ الابتلاء والاختبار ممحسا بين الإيمان والنفاق: وتلك سنة الله في تطهير الصف المسلم وكشف المنافقين بها لا بأسمائهم.

ب- بناء العقيدة: في إطار العناية بتقويض الشبهات ودحضها بما يتفق وبناء العقيدة الصحيحة.

ج- الإعراض والتجاوز: وهو خطة تقتل في الأخير كل كائد ومتربص، وفي ذلك توجيه إلى نوع من العلاج.

د- الصبر على الأذى

هـ- الحذر والحيطه: لئلا يغتر المؤمنون -حينما لا يفرقون في الناس بين العقيدة وإجراء المعاملات- بالظاهر الخادع، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز من المخادعين.

**17-** الذي عليه العلماء أن النفاق قسمان: نفاق أكبر، ونفاق أصغر، ويشيع هذان

المصطلحان في كتب العلماء بمسميات مختلفة منها: النفاق الاعتقادي والنفاق العملي، النفاق الشرعي والنفاق العرفي، نفاق القلب ونفاق اللسان، وغيرها..

فأما النفاق الاعتقادي فكان على عهد رسول الله ﷺ، وأما نفاق العمل فلا ينقطع إلى

يوم القيامة.

**18-** يرجع العلماء في تقرير القسم الثاني من النفاق -النفاق الأصغر- إلى حديثين اثنين

هما أصل هذا الباب، أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص، يحصل من مجموعهما خمس خصال هي أصول هذا النفاق:

-الخيانة في الأمانة

-الكذب في الحديث

-الغدر في المعاهدة

-الفجور في الخصومة

-الخلف في الوعد

**19-** حمل الحديثين على نفاق العمل هو الذي قاله المحققون من العلماء وصار إليه الأكثرون، وبذلك يرفع إشكال الحديث من حيث إن هذه الخصال قد توجد في المسلم الذي لا شك في إسلامه.

**20-** كانت سيرته ﷺ في المنافقين أن قبل ظاهر إسلامهم، ووكّل سرائرهم إلى الله عز وجلّ، ولم يجعل للعباد علما بالنيات والمقاصد تتعلق الأحكام الدنيوية بها، ولم تثبت رواية موثقة تتضمن أن النبي ﷺ اعتبر المنافقين أعداء محاربين أو عاملهم كذلك أو أمر بقتلهم أو قتل بارزيتهم بسبب صفة النفاق.

**21-** من أهم الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في علاج المجتمع وحفظه من آثار هذه الظاهرة فضح أماراتها للناس وكشف عوراتها، حتى إذا بدت سوءاتها وعلمها الناس انزوت وخنست.

## ثانياً: الاقتراحات

بعدما عرضت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي للموضوع أختتم بحثي هذا ببعض الاقتراحات، وأذكر منها:

**1-** توجيه الباحثين إلى الدراسات القرآنية في شتى المواضيع، فتمت مواضيع مختلفة تصلح للبحث العلمي هي في حاجة إلى النظرة القرآنية.

**2-** توجيه الباحثين إلى دراسة مواضيع النفس البشرية من المنظور القرآني، إذ القرآن الكريم غني بتسجيل الدوافع والخلجات النفسية وتصوير انفعالات العزم والخذلان والإقدام والإحجام والإيمان والنفاق والنزوات والنزغات الشيطانية، وسنن الحياة العامة في الحرب والسلم، وأسباب النصر والهزيمة.. وفي كل ذلك كشف عن النفس الإنسانية؛ الجوهر الواحد رغم الاختلافات البشرية.

**3-** موضوع النفاق والمنافقين من المواضيع التي لا تزال أحسب أنها في حاجة إلى مزيد من البحوث والدراسات في جوانب متخصصة، وأقترح من ذلك التحليلات الآتية في دراسة الظاهرة:

التحليل السياسي

التحليل الاجتماعي

التحليل النفسي أو السيكلولوجي

التحليل الأخلاقي

ويشكل كل واحد من هذه التحليلات موضوعاً يصلح لهذه الدراسة، خصوصاً إذا أتبعته بإسقاطات المناهج المعاصرة.

**4-** أقترح دراسة أكاديمية ميدانية ترصد النفاق في جانبه العملي مما يتصل بحياتنا المعاصرة،

فتمت:

- نفاق اجتماعي وسياسي، يصدق عليهما التعريف اللغوي الذي اكتسبه لفظ النفاق

- وتمت نفاق أخلاقي بدافع تحقيق مصلحة أو الحفاظ عليها

- وتمت نفاق تجاري هدفه الكسب المادي

وكل ذلك - وغيره - مما يصلح للدراسة الميدانية.





الفہارس

# فهرس الآيات القرآنية

## سورة البقرة

الصفحة	رقمها	الآية
.42	20-08	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾
.275، 274، 250، 186، 171	08	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾
.193، 178	09	﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
.153	10	﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾
.187، 183، 175، 127	13	﴿أَتُومِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾
.44	13	﴿إِنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ السُّفَهَاءُ لَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾
.249، 178	14	﴿وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾
.249، 186، 182، 175، 44	14	﴿وَإِذَا حَلَوْا إِلَىٰ شِيءٍ طَائِبَةٍ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾
.274، 171	16	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ..﴾
.45	77-75	﴿أَقْطَعُوعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ..﴾
.178	76	﴿وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾
.249	76	﴿وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا آلَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ..﴾
.188	100	﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّه فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾
.125	109	﴿وَدَكْثِيرٍ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ..﴾
.250، 224، 219، 218، 119، 47	143-142	﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ..﴾
.130	143	﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ..﴾
.226	143	﴿إِنَّمَا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْتَقِلُ عَلٰى عَقِبَيْهِ﴾
.225	143	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾
.186، 184، 179، 138، 58، 57، 250، 202	207-204	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ..﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾	204	.58
﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾	205	.185
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾	206	.184
﴿مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾	207	.202
﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	247	.121

### سورة آل عمران

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾	64	.101
﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ...﴾	72-74	.100، .220، .250، .251
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ...﴾	118-120	.102، .266، .267
﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾	119	.249
﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾	122	.176، .228
﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا...﴾	152	.221
﴿ثُمَّ أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً...﴾	154-158	.51-52
﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾	154	.158، .251
﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾	154	.189، .192، .201، .262، .263
﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾	154	.263
﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا﴾	154	.202، .262، .263، .264-265
﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ...﴾	154	.263، .265
﴿وَلِيَتَنَبَّأَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾	154	.152
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ...﴾	155	.221
﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾	155	.222
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا...﴾	156	.192، .201، .262، .263، .274، .275

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَاللَّهُ يَخِيءُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَمَّا قَتَلْتُمْ..﴾	158-156	.265, 263
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْعِيمِ الْجَمْعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ..﴾	168-166	.252, 230, 54-53
﴿وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾	167-166	.33
﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾	167	.229
﴿لَوْ عَلِمْتُمْ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾	167	.192, 53
﴿هُمُ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ مُّسَدِّدُونَ أَيْمَانِهِمْ لِلْإِيمَانِ﴾	167	.275, 253, 171
﴿الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا﴾	168	.264, 262, 202, 201, 192, 265
﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنِّي أَنفُسِكُمْ أَلُمُّوا كُنُفًا فَادْرَءُوا عَنِّي﴾	168	.265, 264
﴿وَلَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ..﴾	179-176	.54
﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ..﴾	179	.267, 258
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾	179	.256
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتِبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	179	.260, 259, 55
﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	186	.125
﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيَجُوبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا..﴾	188	.274, 56, 55

### سورة النساء

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا..﴾	64-60	.90-89
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ..﴾	61	.30
﴿فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ..﴾	62	.256, 255, 197, 161, 160
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ..﴾	63	.266
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ..﴾	64	.255, 185
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفَرُوا بُتَاتٍ..﴾	83-71	.269, 104
﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبْتَغَىٰ﴾	72	.254, 251, 214

الصفحة	رقمها	الآية
.254 ، 173 ، 159	73-72	﴿فَإِنِ اصْبَأْتِكُمْ مُصِيبَةً قَالِ قَدْ أُنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ..﴾
.266 ، 257-256	81	﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّوْا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ..﴾
.258	81	﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
.98 ، 97 ، 96	91-88	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَمَرَ كَسْهُمْ بِمَا كَسَبُوا..﴾
.31	88	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَمَرَ كَسْهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾
.275	89	﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سُوءًا﴾
.99	89	﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا﴾
.292	89	﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَعَدُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾
.289	92	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾
.289	93	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمَّدًا فَجَنَازُهُ جَهَنَّمَ﴾
.267 ، 93 ، 92-91	115-105	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ..﴾
.170	108	﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ..﴾
.156	137	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا..﴾
.106-105	147-138	﴿بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَن لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ..﴾
.159 ، 31	138	﴿بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَن لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
.159	139	﴿يَتَّبِعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾
.267	140	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ..﴾
.31	140	﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾
.191 ، 173 ، 172 ، 160 ، 270 ، 269 ، 249	141	﴿الَّذِينَ يَسْرِعُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا..﴾
.31	142	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾
.181 ، 167	142	﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَءُونَ النَّاسَ﴾
.156	143	﴿مُدْبِذِينَ بَيْنَ بَيْنِ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾
.285 ، 275 ، 31	145	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾

## سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي...﴾	03	.06
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾	41	.275، .249، .103
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...﴾	53-51	.133، .50-49
﴿فَتَسْرِى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾	52	.189، .188، .175، .158، .154، .263، .261، .253، .252، .251
﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ...﴾	52	.263، .252، .159-158
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا...﴾	62-57	.91-90

## سورة الأنعام

﴿فَإِنِ اسْتَنْطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ...﴾	36	.25
﴿وَلَكِنَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	43	.152

## سورة الأنفال

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾	39	.289
﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾	49	.154، .130، .123، .119، .48، .31، .263، .261
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	49	.264، .263

## سورة التوبة

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾	09	.288
﴿يَسْرِدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	32	.205
﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...﴾	96-41	.81-78
﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾	42	.193، .157
﴿وَلَكِنَّ بَعْدَ عَلَيْهِمُ الشُّكَّةُ﴾	42	.157

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَسِيخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾	42	.149، 162، 180، 193، 193.
﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..﴾	45	.149، 275.
﴿وَأَمْرٌ تَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾	45	.153.
﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا..﴾	47	.176.
﴿لَقَدْ ابْتِغَاؤُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَبَلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ..﴾	48	.177، 177.
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذِنْ لِي وَكَأْتَفْتَنِي﴾	49	.83، 149، 195، 251.
﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾	50	.84، 262، 264.
﴿وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَلَّوْا..﴾	50	.161، 265.
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا..﴾	51	.263، 264.
﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بَنَاءَ إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِ﴾	52	.174، 175-176، 191.
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا..﴾	54	.275.
﴿لَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾	54	.167.
﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِثَكُمْ وَمَا هُمْ بِمِثْكُمْ..﴾	56	.166، 180، 186، 214، 254.
﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلِجًا أَوْ مَعَارَاتٍ أَوْ مَدَخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾	57	.166.
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا..﴾	58	.208، 209، 251.
﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾	61	.182، 217، 251، 269.
﴿قُلْ أذنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ..﴾	61	.183.
﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ﴾	62	.151، 162، 180.
﴿يُخَذِرُ الْمُتَافِقُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾	64	.32، 170، 171.
﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾	65	.197.
﴿لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾	66	.275.
﴿الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ..﴾	67	.31.
﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُتَافِقِينَ وَالْمُتَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾	68	.31.



الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	73	.258، .257، 31
﴿يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾	74	.289، .284، 161
﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾	74	.275، .254، .249، 156، 118
﴿فَإِنْ يَتُوبَا إِلَيْكَ خَيْرٌ لَّهُمَا﴾	74	.292
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ..﴾	75	.251، 180
﴿فَأَخَفَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ..﴾	77	.30
﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ..﴾	79	.211، .210، 83-82
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً..﴾	80	.291، 255
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	80	.254
﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا..﴾	81	.213
﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾	81	.194، 149
﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ..﴾	84	.292، 291
﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ..﴾	90	.149
﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾	93	.187
﴿يُعَذِّرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ..﴾	94	.151
﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ..﴾	95	.289، 267
﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ الْأَعْلَمُوا..﴾	97	.86، .85، 30
﴿يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾	98	.172، 167
﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾	101	.293، .292، .246، 196، 31
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾	101	.30
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرًّا مَرًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ..﴾	107-110	.274، 87
﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	107	.196
﴿وَأَمْرًا صَادًا لِمَنْ حَامَرَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	107	.196

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلِيُخْلِقَ لِمَنْ أَمَرْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾	107	.196، 181
﴿لَا تَزَالُ بِنِيَانِهِمُ الَّذِي بَنَوْا مَرْبِيَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾	110	.153
﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ..﴾	118-117	.242، 222
﴿سَاعَةَ الْعُسْرَةِ﴾	117	.210
﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا..﴾	127-124	.250، 89، 88
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾	125	.154
﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾	127	.171

### سورة يونس

﴿كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾	74	.153
------------------------------------------------	----	------

### سورة هود

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	88	.19
-----------------------------------------------------------------------------	----	-----

### سورة الكهف

﴿وَلَا تَطْعُ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾	28	.152
---------------------------------------------------------	----	------

### سورة الحج

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ..﴾	53	.116، 34
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	46	.152

### سورة النور

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِمَّكُمْ..﴾	20-11	.222، 65-64
﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾	16	.239

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَا تُكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ..﴾	33	.39، 37
﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَبُولُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ..﴾	54-47	.249، 107
﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ..﴾	49-48	.160
﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ امْرَأَتَا بَوَا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ..﴾	50	.153
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْنَاهُمْ لَنُخْرِجُنَّ﴾	53	.180، 162
﴿لِنَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كُنَّا مَعَهُ..﴾	64-62	.71، 70
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ إِذَا﴾	63	.254، 169

### سورة الشعراء

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	89-88	.152، 19
----------------------------------------------------------------------------------------	-------	----------

### سورة العنكبوت

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَأْمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾	11	.31
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ..﴾	11-10	.251، 156، 40
﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾	10	.41
﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾	10	.41

### سورة الروم

﴿كَذَلِكَ يَطْعَمُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	59	.153
---------------------------------------------------------------------	----	------

### سورة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ..﴾	03-01	.108
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾	01	.269، 256، 216، 32
﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ..﴾	04	.72

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ..﴾	24-09	.68-67
﴿وَإِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ..﴾	11-10	.202
﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ..﴾	12	.32، 154، 177، 203، 204، 253، .262
﴿وَإِذْ قَالَتْ طَافَّةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾	13	.177، 212
﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾	13	.194
﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَلَّهِ مِن قَبْلِ أَن يُؤْتُوا اَلْأَذْبَارَ﴾	15	.180
﴿وَلَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ..﴾	18	.177، 212-213، 254
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَلِيلٌ﴾ * أَشْحَةً عَلَيْكُمْ..﴾	19-18	.163
﴿فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ مَرَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ..﴾	19	.168، 169، 213
﴿فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾	19	.163
﴿وَإِن يَأْتِ الْاَخْرَابُ يُوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْاَغْرَابِ..﴾	20	.162
﴿لِيُخْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ..﴾	24	.32
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا..﴾	36	.204
﴿وَإِذْ يَقُولُ لِذِي نِعْمٍ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ..﴾	40-37	.74، 71
﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ إِذَا هُمْ﴾	48	.32، 74، 257، 267
﴿لَسِنٍ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ..﴾	62-60	.74-75
﴿لَسِنٍ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ..﴾	60	.32، 154، 207، 253، 257، .292
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ..﴾	73-72	.109
﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾	73	.32

### سورة غافر

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّكْبِرٍ جِبَارًا﴾	35	.153
-------------------------------------------------------------------	----	------

### سورة محمد

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا..﴾	32-16	.251، 94-93
﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَنَّا سُورَةً مُّحْكَمَةً وَذَكَرْنَا فِيهَا الْقِتَالَ..﴾	20	.168-167، 166، 162
﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ..﴾	20	.169، 154
﴿أَمْرٍ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾	29	.154
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُمُ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ..﴾	30	.252

### سورة الفتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ..﴾	16-01	.76-75
﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَافِقِينَ وَالْمُتَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾	06	.32
﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾	11	.146
﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا..﴾	12	.194
﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ﴾	14	.247، 146
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾	15	.147
﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾	16	.146

### سورة الحجرات

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْنَحَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾	03	.152
----------------------------------------------------------------	----	------

### سورة الحديد

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ..﴾	15-12	.111
﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا وَانظُرُوا نَفْسًا..﴾	13	247، 160، 32
﴿وَلَا تَكْفُرْ بِنَفْسِكُمْ أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ وَتَرْتَضَوْنَ بِمَا تَرْتَضُونَ..﴾	14	.160

## سورة المجادلة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الْمُتَرَاتِلِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾	14-19	95، 157، 254.
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ...﴾	18	180.

## سورة العنكبوت

﴿الْمُتَرَاتِلِ الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	11-17	58.
﴿الْمُتَرَاتِلِ الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	11	33، 159، 230.
﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾	11	230.
﴿لَنْ أُخْرِجُوا لِيُخْرِجُونَهُمْ وَلَنْ يَنْصُرُوهُمْ...﴾	12	159، 231-232.
﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرُوا...﴾	16	159، 231.

## سورة الممتحنة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ...﴾	01	222.
----------------------------------------------------------------------------	----	------

## سورة الصف

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	04	205.
﴿فَلَمَّا نَزَّاعُوا أَنْزَاعَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾	05	153.

## سورة المنافقون

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ...﴾	01-08	61-62.
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ...﴾	01	32، 179، 186.
﴿تَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	02	162، 234، 284.
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾	03	118، 156، 172، 253، 275، 284.
﴿وَلَنْ يَقُولُوا نَسِمَ لِقَوْلِهِمْ﴾	04	179، 184.

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾	04	.165
﴿هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	04	.269-268، 257
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوا..﴾	06-05	.255، 185
﴿لَا تَتَّقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾	07	.231، 205، 151، 139، 136، 264، 178، 262، 250، 233
﴿وَلِلَّهِ خِزْيَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾	07	.264، 32
﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾	07	.206
﴿لَنْ مَرْجِعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾	08	.177، 151، 139، 137، 127، 250، 233، 231، 216
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	08	.216، 187، 32

### سورة التحريم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	09	.110، 32
------------------------------------------------------------------------------------	----	----------

### سورة المدثر

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً..﴾	31	.35
﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا..﴾	31	.116

### سورة الماعون

﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ..﴾	7-4	.36
----------------------------------------------------------------------	-----	-----

# فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث	
.14	من لم يشكر الناس لم يشكر الله.	01
.197، 07	إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان.	02
.28	نافق حنظلة.	03
.39	عن ابن عباس: كانت لعبد الله بن أبيّ جارية تزني في الجاهلية.....	04
.225، 219، 48	كان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجال قتلوا.....	05
.49	عن كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا.....	06
.56	عن أبي سعيد الخدري: أن رجلا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ.....	07
.74	عن عائشة: لو كان محمد ﷺ كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتّم هذه الآية.....	08
.74	عن عائشة: وإن رسول الله ﷺ لما تزوّجها قالوا: تزوج حليلة ابنه.....	09
.77	عن البراء بن عازب: تعدّون أنتم الفتح فتح مكّة، وقد كان فتح مكة فتحا... .	10
.82	عن ابن مسعود: لما أمرنا بالصدقة كنّا نتحامل فجاء أبو عقيل بنصف صاع..	11
.93	فقالوا يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت.....	12
.95	أن النبي ﷺ كان في ظلّ حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين.....	13
.97	أن النبي ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس ممن خرج معه.....	14
.293، 199، 99	دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه.	15
.103	أن النبي ﷺ مرّ عليه بيهودي محمّا مجلّودا فدعاهم النبي ﷺ.....	16
.114	والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت.....	17
.115	أن خباب بن الأرت قال: وقد لقينا من المشركين شدة.	18
.124، 124	أن رسول الله ﷺ أردف أسامة يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج ..	19
.131، 127	أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء.....	20
.131	عن أسامة: فقتل الله به صنديد كفار قريش قال ابن أبي بن سلول ومن معه..	21
.172، 157، 132	عن أسامة: أن عبد الله بن أبي قال: هذا أمر قد توجه.	22
.136	عن زيد بن أرقم: لما قال عبد الله بن أبيّ ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾.....	23
.140	أن عائشة قالت: حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك.....	24



الصفحة	طرف الحديث	
140.	عن عائشة: فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا.....	25
142.	أن عمر بن الخطاب قال: علام نعطي الدنيا في ديننا؟.	26
143.	فأعطى رسول الله ﷺ قوما ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال: إني أعطي...	27
145.	قالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى وتعطى الغنائم غيرنا.	28
157-156.	مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة.	29
157.	لا تدري أهذه تتبع أم هذه.	30
157.	السفر قطعة من العذاب.	31
161.	وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب.	32
180.	يبعث كل عبد على ما مات عليه.	33
200.	إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.	34
203.	عن البراء بن عازب: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق.....	35
204-203.	عن حذيفة قال: والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله..	36
209.	بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال.....	37
216.	ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة.	38
221.	عن ابن مسعود: فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر إنه ليس أحد.....	39
223.	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.	40
224.	عن ابن عباس: أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة.	41
225.	إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة.....	42
227.	عن ابن عمر: بينا الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال.....	43
228.	عن جابر: نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَافِئَتَانِ مَيْكُمُ أَنْ تَنْفَسَا﴾.....	44
233.	عن زيد بن أرقم: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول...	45
234.	عن زيد بن أرقم: فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾..	46
237، 235.	عن عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت شهرا والناس يفيضون.....	47
236-235.	عن عائشة: وكان الذين تكلموا به مسطح وحمئة وحسان، وأما المنافق.....	48
237.	عن عائشة: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد.....	49
237.	عن عائشة: فدعا رسول الله ﷺ بريدة فقال: أي بريدة هل رأيت من شيء....	50
237.	عن عائشة: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة.....	51

الصفحة	طرف الحديث	
238.	عن عائشة: فقلت لأبي أحب رسول الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي.....	52
238، 238.	عن عائشة: والله لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به..	53
238.	عن عائشة: لئن قلت لكم إني لم أفعل والله عز وجل يشهد إني لصادقة.....	54
238.	عن عائشة: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس.....	55
239، 240.	عن عائشة: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي.....	56
240.	عن عائشة: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت..	57
241.	عن عائشة: حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد.....	58
243.	عن كعب بن مالك: والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب..	59
243.	وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين.....	60
243.	عن كعب بن مالك: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له.....	61
243.	عن كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرتني همي.....	62
243.	عن كعب بن مالك: لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى...	63
243.	عن كعب بن مالك: فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له فقبل منهم رسول الله..	64
243.	عن كعب بن مالك: وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي.....	65
244.	عن كعب بن مالك: فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع.....	66
245.	عن كعب بن مالك: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان.....	67
245.	عن كعب بن مالك: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة...	68
245.	أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال أتخلفني.....	69
272، 277، 277، 280.	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا.....	70
274.	من غشنا فليس منا.	71
279.	دخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ فقال رسول الله....	72
283.	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.	73
284.	إذا وعد الرجل وينوي أن يفى به فلم يف به فلا جناح عليه.	74
285.	عن المقداد بن الأسود: رأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتلتنا.....	75
286.	عن عبيد الله بن عدي: بينما رسول الله ﷺ جالس بين ظهرائي الناس.....	76
286.	عن عتبان بن مالك: غدا علي رسول الله ﷺ فقال رجل.....	77
287.	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله....	78

الصفحة	طرف الحديث	
.288	لا، لعله أن يكون يصلي. فقال خالد: وكم من مصلى يقول بلسانه.....	79
.288	إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم.....	80
.291	أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله.....	81

# فهرس الأعلام

## حرفه الألفه

الصفحة	اسم العلم
13، (218).	إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي
(25)، 60، 83، 245، 261، 270، 271، 276، 279، 281، 295.	أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني
(57)، 58.	الأخنس بن شريق
(122)، 123، 124، 125، 131، 237، 238.	أسامة بن زيد
(23)، 182.	إسماعيل بن حماد الجوهري
(39)، 39، 75، 86، 87، 90، 101، 109، 116، 123، 137، 147، 150، 172، 176، 182، 183، 217، 226، 256، 256، 259، 266، 268، 276، 293، 293، 294.	إسماعيل بن كثير
(63)، 113، 137، 241، 241، 242.	أسيد بن حضير

## حرفه الباء

(77)، 103، 204، 226.	البراء بن عازب
(238)، 238، 239.	بريرة
(142)، 144.	بشر بن سفيان

## حرفه الجيم

(53)، 229.	جابر بن عبد الله
(83)، 176.	الجد بن قيس

## حرفه الراء

الصفحة	اسم العلم
.222، 145، (143)	حاطب بن أبي بلتعة
.292، 292، 278، 251، (203)، 07	حذيفة بن اليمان
.(236)	حسان بن ثابت
.281، 271، (110)، 08، 07	الحسن بن أبي الحسن البصري
.281، (280)	حمد بن إبراهيم الخطابي
.(236)	حمنة بنت جحش
.28، (27)	حنظلة بن أبي عامر
.232، 231، (61)	حيي بن أخطب

## حرفه الخاء

.(115)	خباب بن الأرت
.289، (289)	خالد بن الوليد
.(210)	ذو الخويصرة التميمي

## حرفه الزاء

.93، 92، (92)	رفاعة بن زيد
.(290)	ركانة بن عبد يزيد

## حرفه الراء

.137، 137، 136، 64، 63، 63، 63، (62)، .232، 232، 232، 231، 140، 139، 137، .234، 234، 234، 233، 232، 232، 232، .284	زيد بن أرقم
.(97)	زيد بن ثابت

الصفحة	اسم العلم
(72)، 73، 73، 73، 74، 74، 122، 139، 204، 139.	زيد بن حارثة
(72)، 74، 75، 139، 204.	زينب بنت جحش
(124)، 125، 125، 125، 125، 241، 241، 241، 242، 241، 241.	سعد بن عبادة
(241)، 241، 241، 241، 242.	سعد بن معاذ

### حرفه السين

(281).	سعيد بن جبير
(56)، 209.	أبو سعيد الخدري
(279)، 279.	سلمان الفارسي

### حرفه الشين

(290).	شريك بن عبدة العجلاني
--------	-----------------------

### حرفه الصاد

(70)، 100، 101، 101، 148، 213، 261.	أبو سفيان صخر بن حرب
(122)، 122، 122، 148.	صفوان بن أمية
(66)، 140، 206.	صفوان بن المعطل

### حرفه العين

(65)، 67، 67، 74، 140، 141، 206، 206، 234، 235، 235، 236، 237، 237، 238، 239، 239، 240، 240.	عائشة بنت أبي بكر الصديق
(188).	عبادة بن الصامت
(28)، 44، 109.	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

الصفحة	اسم العلم
(26)، 271، 273، 274، 282.	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي
(98)، 110.	عبد الرحمن بن أبي حاتم
15، (38)، 38، 39، 39، 39، 39، 42، 42، 44، 50، 50، 50، 50، 51، 52، 52، 54، 61، 61، 61، 62، 63، 63، 63، 63، 64، 64، 64، 66، 67، 83، 97، 113، 113، 120، 120، 121، 121، 123، 123، 123، 124، 124، 124، 125، 125، 125، 125، 125، 126، 126، 126، 126، 126، 126، 127، 127، 127، 127، 127، 127، 127، 128، 128، 128، 128، 129، 129، 131، 131، 131، 132، 132، 132، 132، 133، 133، 133، 133، 133، 134، 134، 134، 135، 135، 135، 136، 136، 136، 136، 137، 137، 137، 137، 138، 138، 138، 138، 139، 139، 139، 140، 141، 141، 141، 145، 146، 146، 150، 157، 158، 158، 159، 175، 175، 176، 179، 187، 187، 188، 188، 189، 189، 189، 190، 190، 190، 191، 191، 191، 191، 191، 191، 211، 212، 212، 212، 216، 228، 229، 230، 230، 231، 232، 232، 232، 232، 232، 232، 233، 233، 233، 233، 236، 236، 239، 240، 252، 252، 252، 255، 291، 291، 291، 291، 291، 293.	عبد الله بن أبي بن سلول
(43)، 235، 239، 279، 279، 292، 292.	أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة
(125)، 125.	عبد الله بن رواحة
(142)، 233، 233، 291.	عبد الله بن عبد الله بن أبيّ
(38)، 39، 45، 91، 95، 97، 110، 174، 179، 182، 224، 226، 229، 281.	عبد الله بن عباس
(227)، 281، 281، 291.	عبد الله بن عمر
(53)، 54، 136، 136، 192، 229.	عبد الله بن عمرو بن حرام
(276).	عبد الله بن عمرو بن العاص

الصفحة	اسم العلم
(82)، 110، 184، 221، 274.	عبد الله بن مسعود
(87)، 126، 196.	عبد عمرو بن صيفي أبو عامر الراهب
(121)، 126، 135، 208.	عبد الملك بن هشام
(226)، 226.	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
(286).	عبيد الله بن عدي بن الخيار
(286).	عتبان بن مالك
(82)، 142، 292.	عثمان بن عفان
(23)، 27، 29، 208.	عز الدين بن الأثير
(226)، 226، 281.	عطاء بن أبي رباح
(82).	أبو عقيل
(148).	عكرمة بن أبي جهل
13، (43)، 207، 208، 208، 208، 237، 238، 245، 246، 246، 246، 246، 279، 246.	علي بن أبي طالب
(283).	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري
(42)، 108.	علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري
07، (43)، 62، 62، 63، 63، 63، 99، 137، 137، 142، 144، 145، 179، 199، 209، 222، 232، 278، 279، 279، 291، 292، 292، 293.	عمر بن الخطاب
(60).	عمرو بن أمية الضمري
(289).	عويمر العجلاني
(281).	عياض بن موسى

## حرفه الغين

(58).	غالب بن عبد الرحمن بن عطية
-------	----------------------------



## حرفه القاف

الصفحة	اسم العلم
.93، 93، 93، (92)	قتادة بن النعمان
.226، 207، 182، 179، 166، (110)	قتادة بن دعامة
.291، 289، 289، 239، 236، 155، (116)	ابن قيم الجوزية

## حرفه الكاف

.245، 245، 244، 243، 243، 242، (49)	كعب بن مالك
-------------------------------------	-------------

## حرفه اللام

.(122)	أبو لبابة
.92، (92)	ليبد بن سهل

## حرفه الميم

.295، 295، (294)	مالك بن أنس
.(286)	مالك بن الدخشن
.226، 182، (174)	مجاهد بن جبر
،109، 109، 107، 98، 74، 58، 35، (25) ،207، 197، 184، 182، 174، 172، 165 ،209، 211، 214، 214، 214، 224، 226، 253 ،254، 258، 258، 268، 270، 275، 279 .279، 282، 282، 293، 293، 293	محمد بن أحمد بن فرج القرطبي
.295، 293، 292، (288)	محمد بن إدريس الشافعي
.176، 135، 126، 101، 60، (59)	محمد بن إسحاق
.245، 124، 123، (96)	محمد بن إسماعيل البخاري
،108، 106، 102، 98، 97، 91، 57، (48)	محمد بن جرير الطبري

الصفحة	اسم العلم
108، 109، 137، 146، 213، 215، 226، 233، 234، 246، 259.	
19، (51)، 110، 282.	محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي
(25).	محمد بن علي بن عمر المازري
(280).	محمد بن عيسى الترمذي
(244)، 284.	محمد بن محمد أبو حامد الغزالي
(135).	محمد بن مسلم أبو بكر بن شهاب الزهري
(61)، 138.	محمد بن مسلمة
(22)، 24، 208.	محمد بن مكرم بن منظور
(245).	مرارة بن الربيع
(235).	مسطح بن أثاثة
(97)، 103، 123، 124، 245.	مسلم بن الحجاج
(285).	المقداد بن عمرو

### حرفه الماء

(245).	هلال بن أمية
--------	--------------

### حرفه الباء

(26)، 279، 281.	يحيى بن شرف النووي
(295).	يوسف بن عبد البر

# فهرس المصادر والمراجع

## حرفه الألفه

- 01-أبجد العلوم**، للشهخ صديق بن حسن بن علي الفنوجي (ت 1307هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م.
- 02-الإتقان في علوم القرآن**، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1418هـ-1997م.
- 03-أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ**، د. إبراهيم علي الشعوط، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة: 1403هـ-1983م.
- 04-أحكام أهل الذمة**، للشهخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751هـ)، حققه وعلق حواشيه: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة: 1994م.
- 05-أحكام القرآن**، لحجة الإسلام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت 370هـ)، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.
- 06-أحكام القرآن**، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1416هـ-1996م.
- 07-أحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ)، جمعه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1400هـ-1980م.
- 08-الإحكام في أصول الأحكام**، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت 456هـ)، ضبط وتحقيق وتعليق: د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة مصر، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.
- 09-إحياء علوم الدين**، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ)، تقديم ومراجعة صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2003م.

**10- الأخلاق الإسلامية وأسسها**، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة: 1420هـ-1999م.

**11- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت 951هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة: 1414هـ-1994م.

**12- أسباب النزول**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1402هـ-1982م.

**13- الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت 463هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م.

**14- أسد الغابة، في معرفة الصحابة**، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630هـ)، طبعة مجددة بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1423هـ-2003م.

**15- الإصابة في تمييز الصحابة**، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، راجع نصوصه وضبط أعلامه وخرج حديثه وفهرس أعلامه: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1421هـ-2001م.

**16- أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية**، لمحمد أحمد الراشد، دار المحراب للنشر والتوزيع، فان كوفر كندا- زيورج سويسرا، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م.

**17- أصول الفقه: تاريخه ورجاله**، د. شعبان محمد إسماعيل، دار المريخ للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1981م.

**18- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثانية عشرة: 1997م.

**19- إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، قدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت لبنان، 1973م.

**20-الإكليل في استنباط التنزيل،** للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1405هـ-1985م.

**21-الأم،** لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ)، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت لبنان، (د.ت.ط).

**22-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون،** لعلي بن برهان الدين الحلبي (ت 1044هـ)، دار المعرفة، بيروت لبنان، (د.ت.ط).

**23-أنوار التنزيل وأسرار التأويل،** للقاضي أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 791هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م.

**24-الإيمان،** لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني (ت 395هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، دار الفضيلة، لبنان-دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الرابعة: 1421هـ-2001م.

## حرفه الباء

**25-البداية والنهاية،** لأبي الفداء الحافظ ابن كثير (ت 774هـ)، تحقيق وتوثيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1419هـ-1998م.

**26-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،** لمحمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ)، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.

**27-بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،** لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت 599هـ)، تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.

**28-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،** للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (د.ت.ط).

## حرفه التاء

- 29- التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لصديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت 1307هـ)، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م.
- 30- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، للحافظ شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق وتقديم: محمد محمود حمدان، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، ودار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م.
- 31- تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.
- 32- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417-1997م.
- 33- تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، لمحمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا لبنان، الطبعة الأولى: 1381هـ-1962م.
- 34- التاريخ الكبير، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت.ط).
- 35- تاريخ المدينة المنورة، لعمر بن شبة النميري البصري (ت 262هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الأصفهاني للطباعة، جدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، (د.ت.ط).
- 36- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت 571هـ)، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق سورية، الطبعة الثانية: 1399هـ.
- 37- التحرير والتنوير، لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت.ط).
- 38- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، للحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت 1353هـ)، ضبط وتوثيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت لبنان، 1424هـ-2003م.

**39- تذكرة الحفاظ،** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.

**40- تريتنا الروحية، سعيد حوى،** مكتبة رحاب، الجزائر، (د.ت.ط).

**41- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.

**42- التعريفات،** للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1403هـ-1983م.

**43- تفسير غريب القرآن،** لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276م)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1398هـ-1978م.

**44- تفسير القرآن العظيم،** للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، دار الوطن للنشر الرياض، المملكة العربية السعودية، ودار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ-2000م.

**45- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار،** للسيد الإمام محمد رشيد رضا (ت 1935م)، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م.

**46- التفسير القيم،** للإمام ابن القيم (ت 751هـ)، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار العلوم الحديثة، بيروت لبنان، (د.ت.ط).

**47- تقريب التهذيب،** للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.

**48- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،** لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت 463هـ)، حققه وضبطه: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م.

**49-تهذيب الأسماء واللغات،** للحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت 676هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت.ط).

**50-تهذيب التهذيب،** للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، وبهامشه الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال لأبي المحاسن شمس الدين محمد بن حمزة الحسيني، ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1415 هـ-1995م.

**51-تهذيب الكمال في أسماء الرجال،** للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني (ت 742هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1400هـ-1980م.

### حرفه الثاء

**52-الثقات،** للحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت 354هـ)، طبع تحت مراقبة د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن الهند، الطبعة الأولى: 1393هـ-1973م.

### حرفه الجيم

**53-جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان، 1408هـ-1988م.

**54-الجامع الصحيح وهو المسمى سنن الترمذي،** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة الثانية: 1395هـ-1975م.

**55-جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم،** لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي (ت 795هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1422 هـ-2002م.

**56-الجامع لأحكام القرآن،** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل، خرج حديثه وعلق عليه الشيخ عرفات العشا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414هـ-1993م.



- 57- الجرح والتعديل**، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي (ت 327هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1372هـ-1952م.
- 58- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس**، لأبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي (ت 488هـ)، تحقيق: الدكتورة روية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.
- 59- جمل من أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ)، حققه وقدم له: الأستاذ الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.
- 60- جوامع السيرة**، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت 456هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد، المطبعة العربية، لاهور باكستان، 1401هـ-1981م
- 61- الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، لولي الله تعالى والعارف بربه العلامة الإمام الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ)، تحقيق: د. عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت.ط).

## حرفه الحاء

- 62- حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ**، د. أبو بدر محمد بن بكر آل عابد، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، (د.ت.ط).
- 63- ابن حزم: حياته وعصره، آراؤه وفقهه**، للإمام محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت.ط).
- 64- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.

## حرفه الحاء

- 65- دراسة في السيرة**، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة ودار النفائس، الطبعة الخامسة: 1401هـ-1981م.

- 66-دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة، للدكتور عادل بن علي الشدي، دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م**
- 67-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، دار الجليل، بيروت لبنان، 1414هـ-1993م.**
- 68-الدر المنثور في التفسير بالمأثور وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1411هـ-1990.**
- 69-الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، حقق أصله وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1416هـ-1996م.**
- 70-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، للقاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون (ت 799هـ)، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.**

## حرفه الخال

- 71-ذيل تذكرة الحفاظ، لأبي المحاسن محمد بن علي الحسيني (ت 765هـ)، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.**

## حرفه الرءاء

- 72-الرحيق المختوم؛ بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لصفي الرحمن المباركفوري، المكتبة الثقافية، بيروت لبنان، (د.ت.ط).**
- 73-الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني (ت 1345هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م.**
- 74-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي (ت 1270هـ)، قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414هـ-1994م.**

**75-الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام،** لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الختعمي السهيلي (ت 581هـ)، قدم له وعلق عليه وضبطه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت لبنان، 1409هـ-1989م.

**76-الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة،** للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليميني (ت 893هـ)، ضبط: عمر الديراوي أبي حجلة، مكتبة المعارف، بيروت الطبعة الثالثة: 1983م.

**77-رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم** وفضائلهم وأوصافهم، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت 438هـ)، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1414هـ-1994م.

### حرفه الزاي

**78-زاد المسير في علم التفسير،** لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1414هـ-1994م.

**79-زاد المعاد في هدي خير العباد،** لأبي عبد الله بن القيم الجوزي (ت 751هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، (د.ت.ط).

### حرفه السين

**80-سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام،** للشيخ محمد بن إسماعيل الأمير اليميني الصنعاني (ت 1182هـ)، مراجعة وضبط وتعليق: الشيخ محيي الدين محمد بعيون، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، (د.ت.ط).

**81-سنن أبي داود،** للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت 275هـ)، ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل الرشيد، دار الحديث، حمص سورية.

**82-السنن الكبرى،** لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ-1994م.

**83-سنن النسائي المسمى بالمجتبى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام**

السندي، ضبط وتوثيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ-1995م.

**84- سير أعلام النبلاء**، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.

**85- سيرة الرسول ﷺ**: صور مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية، محمد عزة دروزة، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية: 1384هـ-1965م.

**86- السيرة النبوية**، لابن هشام (ت 218هـ)، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1424هـ-2003م.

### حرفه الشين

**87- الشافعي حياته وعصره**، آراؤه وفقهه، للإمام محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية: 1416هـ-1996م.

**88- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، لمحمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت 1360-)، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م.

**89- شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي (ت 1089هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.ط).

**90- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت 1122هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان، 1424هـ-2004م.

### حرفه الصاد

**91- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية: 1399هـ-1979م.

**92- صحيح البخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م.

**93- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة: 1418هـ-1997م.

**94- صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

**95- صحيح مسلم بشرح أبي زكريا يحيى بن شرف النووي** الدمشقي (ت 676هـ)، مصدرا بـ"المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي"، للسيوطي، ضبط وتوثيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1415هـ-1995م.

**96- صفة المنافق**، لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي (ت 301هـ)، حققه وخرج أحاديثه: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م.

**97- صفة الصفوة**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ)، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م.

**98- الصلة**، لخلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال (ت 578هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1410هـ-1989م.

**99- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط**، للإمام الحافظ المحدث أبي عمرو بن الصلاح (ت 643هـ)، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1404هـ-1984م.

## حرفه الضاد

**100- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ)، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م.

## حرفه الطاء

**101- طبقات الحفاظ**، للإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1414هـ-1994م.

- 102-طبقات الرواة، للإمام المحدث أبي عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت 240هـ)، برواية أبي عمران موسى بن زكريا التستري، تحقيق: سهيل زكار، وزارة الثقافة، دمشق، (د.ت.ط).**
- 103-طبقات الشافعية، لتقي الدين بن قاضي شهبة (ت 851هـ)، تعليق عبد العليم خان، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.**
- 104-طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي الشافعي (ت 772هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.**
- 105-طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت 771هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة مصر، الطبعة الثانية: 1413هـ-1993م.**
- 106-طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي (ت 476هـ)، حققه وقدم له: د. إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1401هـ-1981م.**
- 107-الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت 230هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1405هـ-1985م.**
- 108-طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأندودي من علماء القرن الحادي عشر، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى: 1317هـ-1997م.**
- 109-طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي (ت 945هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة عابدين، الطبعة الأولى: 1392هـ-1972م.**

## حرفه الظاء

- 110-ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية، للدكتور عمرو خليفة النامي، الدار السلفية، الكويت، (د.ت.ط).**
- 111-ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى: 1414هـ-1993م.**

## حرفه العين

- 112-العبر في خبر من عبر، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.
- 113-علم النفس التربوي في الإسلام، د.يوسف مصطفى القاضي ود.مقداد يالجن، دار المريخ للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، 1401هـ-1981م.
- 114-عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2003م.
- 115-عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس (ت 734هـ)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: 1402هـ-1982م.

## حرفه الغين

- 116-غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 224هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1406هـ-1986م.
- 117-غزوة الأحزاب، لمحمد أحمد باشميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة: 1397هـ.

## حرفه الفاء

- 118-الفائق في غريب الحديث، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414-1993م.
- 119-الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728هـ)، قدم له وعرف به: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت لبنان، (د.ت.ط).
- 120-فتح الباري بشرح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، (د.ت.ط).

- 121- فقه السيرة، لمحمد الغزالي، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م.
- 122- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الجزائر، ودار الفكر، دمشق سورية، الطبعة الحادية عشرة: 1412هـ-1991م.
- 123- فهارس الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، إعداد محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414هـ-1994م.
- 124- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاعر الكتبي (ت 764هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1973م.
- 125- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1030هـ)، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ-2001م.
- 126- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق بيروت لبنان، القاهرة مصر، الطبعة العاشرة: 1402هـ-1982م.

### حرفه القاف

- 127- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق سورية، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م.
- 128- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزابادي الشيرازي (ت 817هـ)، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م.

### حرفه الكاف

- 129- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الأكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت 630هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة السادسة: 1406هـ-1986م.



**130- كشاف اصطلاحات الفنون**، للشيخ محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي (ت 1158هـ)، وضع حواشيه أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.

**131- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م.

**132- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني، المعروف بحاجي خليفة (ت 1067هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1413هـ-1992م.

### حرفه الاله

**133- لباب النقول في أسباب النزول**، لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثالثة: ماي 1404هـ-1984م.

**134- لسان العرب**، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت 711هـ)، دار صابر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: 1414هـ-1994م.

**135- لسان الميزان**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م.

### حرفه الميم

**136- مالك: حياته وعصره - آراؤه وفقهه**، للشيخ محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، (د.ت.ط).

**137- مجمع الأمثال**، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت 518هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، (د.ت.ط).

**138- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، فهرسه وقدم له: محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1414هـ-1994م.

- 139-مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب المرحوم: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، (د.ت.ط).**
- 140-المحلى بالآثار، لأبي محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ)، تحقيق: د. سليمان البنداري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1421هـ-2001م.**
- 141-مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 660هـ)، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 1985م.**
- 142-مختصر تفسير الطبري لإمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م.**
- 143-مختصر تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، اختصره وهذبه الشيخ عبد الغني الدقر، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1415هـ-1994م.**
- 144-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1423هـ-2002م.**
- 145-مدارك التنزيل وحقائق التأويل المشتهر بتفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 728هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م**
- 146-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت لبنان، (د.ت.ط).**
- 147-المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1411هـ-1990م.**
- 148-مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت.ط).**

- 149-مسند البزار**، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت 292هـ)، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1409هـ.
- 150-مصادر السيرة النبوية وتقويمها**، للدكتور **فاروق حمادة**، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م.
- 151-معالم التنزيل**، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء **البغوي الشافعي** (ت 516هـ)، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة: 1415هـ-1995م.
- 152-معجم البلدان**، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله **الحموي الرومي البغدادي** (ت 626هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1995م.
- 153-المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت 360هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية: 1404هـ-1983م.
- 154-معجم لغة الفقهاء**، أ.د محمد رواس **قلعة جي** و د.حامد **صادق قتيبي**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م.
- 155-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، لفؤاد **عبد الباقي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د.ت.ط).
- 156-معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1411هـ-1991م.
- 157-المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم**، لصبحي **عبد الرؤوف عصر**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، (د.ت.ط).
- 158-معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، لعمر **رضا كحالة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (د.ت.ط).
- 159-المعلم بفوائد مسلم**، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر **المازري** (ت 536هـ)، تقديم وتحقيق: الشيخ محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1992م.
- 160-المغني**، لابن **قدامة المقدسي** (ت 620هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، بيروت لبنان، 2004م.

- 161-المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم**، لمحمد طاهر بن علي الهندي (ت 986هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1402هـ-1982م.
- 162-مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير**، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 604هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1411هـ-1990م.
- 163-المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.
- 164-المنافقون في القرآن الكريم**، للدكتور عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م.
- 165-مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت 597هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1400هـ-1980م.
- 166-مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، ودار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، (د.ت.ط).
- 167-المنهج الحركي للسيرة النبوية**، لمنير محمد الغضبان، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.ط).
- 168-الموافقات في أصول الشريعة**، لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت 790هـ)، عني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه: الأستاذ عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: 1395هـ-1975م.
- 169-المواهب اللدنية المحمدية**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني (ت 933هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت.ط).
- 170-موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: 1420/1419هـ-2000/1999م.
- 171-موطأ الإمام مالك**، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت 179هـ)، من رواية يحيى بن يحيى الليثي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1405هـ-1984م.

172-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت 748 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1995م.

### حرفه النون

173-نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، طبعة جديدة: 1997م.

174-النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (ت 606هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1421هـ-2000م.

175-نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بن باب بن عمر التنبكتي (ت 1036هـ)، طبعة حجرية، المطبعة الجديدة بفاس، (د.ت.ط).

176-نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي الشوكاني (ت 1255هـ)، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سورية؛ بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1416هـ-1996م.

### حرفه الواو

177-الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 794هـ)، طبع باعتناء مجموعة من الأساتذة، دار النشر فرانز شتاينز بقيسبادن، 1402هـ-1982م.

178-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (د.ت.ط).

### المجلات

1-مجلة الإحياء، العدد الأول: 1419هـ-1998م، مقال محفوظ فلوسي.

# فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
3	.الإهداء
4	.شكر وتقدير
5	<b>المقدمة</b>
8	.المصادر التي عنيت بالموضوع
9	.خصائص متوخاة للبحث
10	.أسباب اختيار الموضوع
11	.إشكالية البحث
12	.منهج البحث
13	.مسالك البحث
14	.خطة البحث
18	.العوائق والصعوبات
20	<b>الفصل الأول</b> <b>تعريف النفاق</b>
21	تمهيد
22	.المبحث الأول: تعريف النفاق ومظانه في القرآن الكريم
22	.المطلب الأول: تعريف النفاق لغة واصطلاحا
22	الفرع الأول: تعريف النفاق لغة
28	الفرع الثاني: تعريف النفاق اصطلاحا
30	.المطلب الثاني: مظان النفاق في القرآن الكريم
30	الفرع الأول: لفظ النفاق في القرآن الكريم
30	أولا: لفظ "النفاق"

الصفحة	المحتوى
30	ثانيا: لفظ "المنافقون" و"المنافقات"
33	ثالثا: لفظ "نافقوا"
33	الفرع الثاني: حصر آيات النفاق
33	أولا: عدد السور
36	ثانيا: عدد النصوص القرآنية
40	<b>.المبحث الثاني: عرض وترتيب لنصوص النفاق</b>
40	<b>.المطلب الأول: آيات النفاق في نشأته الأولى</b>
40	النص الأول
42	النص الثاني
45	النص الثالث
46	<b>.المطلب الثاني: ترتيب لآيات النفاق حسب النزول</b>
47	النص الأول
48	النص الثاني
49	النص الثالث
51	النص الرابع
53	النص الخامس
54	النص السادس
55	النص السابع
57	النص الثامن
58	النص التاسع
61	النص العاشر
64	النص الحادي عشر
67	النص الثاني عشر
70	النص الثالث عشر
71	النص الرابع عشر

الصفحة	المحتوى
74	النص الخامس عشر
74	النص السادس عشر
75	النص السابع عشر
78	النص الثامن عشر
85	النص التاسع عشر
87	النص العشرون
88	النص الواحد والعشرون
89	<b>المطلب الثالث: آيات ذات مناسبات عامة</b>
89	النص الأول
90	النص الثاني
91	النص الثالث
93	النص الرابع
95	النص الخامس
96	النص السادس
100	<b>المطلب الرابع: آيات ذات سياق عام</b>
100	النص الأول
102	النص الثاني
103	النص الثالث
104	النص الرابع
105	النص الخامس
107	النص السادس
108	النص السابع
109	النص الثامن
110	النص التاسع
111	النص العاشر



الصفحة	المحتوى
112	<b>الفصل الثاني</b> <b>تحليل ظاهرة النفاق</b>
113	تمهيد
114	.المبحث الأول: التحليل التاريخي لظاهرة النفاق
114	.المطلب الأول: النشأة الأولى لظاهرة النفاق
114	الفرع الأول: النفاق في المرحلة المكية من خلال السيرة
114	أولاً: من حقائق المرحلة المكية
114	ثانياً: أسباب خلو المرحلة المكية من مبررات النفاق
116	الفرع الثاني: حديث القرآن المكي عن النفاق
116	أولاً: لفظ النفاق في القرآن المكي
116	ثانياً: لفظ "الذين في قلوبهم مرض"
117	ثالثاً: وقفة مع سورة الماعون
117	رابعاً: خلاصة واستنتاج
118	الفرع الثالث: البوادر الأولى لبروز ظاهرة النفاق
118	أولاً: محطات الحديث عن النفاق
118	1. المحطة الأولى
119	2. المحطة الأولى
119	ثانياً: بعض الحقائق عن النفاق في مراحل الأولى
119	1. الحقيقة الأولى
119	2. الحقيقة الثانية
120	ثالثاً: بدايات نشأة ظاهرة النفاق
123	الفرع الرابع: حقائق واستنتاجات
124	.المطلب الثاني: الأسباب التاريخية لظهور النفاق
127	أولاً: مكانة ابن أبي في الأوس والخزرج
127	ثانياً: الانتقام من شخص النبي

الصفحة	المحتوى
128	ثالثا: علاقات الولاء
129	المطلب الثالث: تحليل للتطور التاريخي لظاهرة النفاق
129	الفرع الأول: مرحلة التربص والتوجس
129	أولا: بداية المرحلة ونهايتها
129	ثانيا: حقائق واستنتاجات
129	1. طبيعة المرحلة
129	2. لا تأريخ للظاهرة
130	3. وقفة عند حادثة تحويل القبلة
130	4. تصريح سورة الأنفال بلفظ المنافقين
131	5. لا مبرر للنفاق في هذه المرحلة
131	الفرع الثاني: مرحلة النشأة الأولى
131	أولا: بداية المرحلة ونهايتها
132	ثانيا: أحداث هذه المرحلة
132	1. غزوة بني قينقاع
133	2. مجلس الشورى
133	3. الانسحاب من الجيش
134	4. محاولة خبيثة لتدارك الموقف
135	ثالثا: مبررات نهاية المرحلة بأحد
136	الفرع الثالث: مرحلة النضج والاكتمال
136	أولا: بداية المرحلة ونهايتها
138	ثانيا: أحداث هذه المرحلة
138	1. غمز شهداء غزوة الرجيع
138	2. تمنية يهود بني النضير بالوعود الكاذبة
138	3. مواقف خذلان وتخذيل في غزوة الأحزاب
139	4. الطعن في شخص النبي ﷺ بزواجه من زينب
139	5. المنافقون يتنفسون في غزوة بني المصطلق
140	6. طعن النبي ﷺ في شرفه

الصفحة	المحتوى
141	الفرع الرابع: مرحلة الافتضاح والتواري
141	أولاً: بداية المرحلة ونهايتها
141	ثانياً: حقائق تتجلى في هذه المرحلة
141	1. افتضاح عبد الله بن أبي
142	2. ركود نشاط المنافقين
146	3. آيات النفاق في هذه المرحلة
147	4. خلاصة واستنتاج
148	الفرع الخامس: مرحلة إعادة بعث النشاط
148	أولاً: بداية المرحلة ونهايتها
149	ثانياً: أحداث هذه المرحلة
149	1. أحداث تتصل بغزوة تبوك
149	-المرحلة الأولى
150	-المرحلة الثانية
150	2. مسجد الضرار
152	<b>المبحث الثاني: التحليل النفسي لظاهرة النفاق</b>
152	<b>المطلب الأول: الأسباب النفسية لنشأة النفاق</b>
152	أولاً: مرض القلب
155	ثانياً: التردد وضعف التكوين الشخصي
157	ثالثاً: الأنانية والحرص على المصلحة الذاتية
161	رابعاً: الجبن يتبعه الكذب
164	<b>المطلب الثاني: وصف تحليلي لشخصية المنافق</b>
164	أولاً: القلق النفسي
165	1. التوجس العام خوفاً من الافتضاح
166	2. حالات الشدة والخوف
169	3. الحذر من نزول قرآن يفضح
171	4. التريص بالمسلمين

الصفحة	المحتوى
175	ثانيا: حب إشاعة الفتنة
178	ثالثا: ادعاء الفطنة واستغلال الغير
178	1. المبادرة إلى إعلان الإيمان
179	2. تزيين القول وحسن الإبانة
179	3. التستر وراء الأيمان الكاذبة
181	4. إظهار الحرص على المصلحة العامة
181	5. شهود بعض صلوات الجماعة
181	- خلاصة واستنتاج
183	رابعا: الاستعلاء
185	<b>المطلب الثالث: تحليل نفسي لتعلات المنافقين ومعاذيرهم</b>
186	الفرع الأول: تعلات تتصل بقضايا الإيمان
187	الفرع الثاني: تعلات تتصل بالولاء والبراء
189	الفرع الثالث: تعلات تتصل بالجزو والجهاد
189	1. ترك الأخذ برأيهم في المشورة
192	2. التظاهر بالخبرة والمعرفة
193	3. التعلل بالعجز وعدم القدرة
194	4. التعلل بالظروف الطبيعية القاسية
194	5. الاعتذار بأشغال الأهل والأموال
195	6. الاعتذار بالخوف من الوقوع في الفتنة
195	الفرع الرابع: تعلات فيها التظاهر بالحرص على المصلحة العامة
197	الفرع الخامس: تعلات تتصل بقضايا عامة
198	<b>الفصل الثالث</b> <b>نقد ظاهرة النفاق</b>
199	تمهيد
200	<b>المبحث الأول: أساليب المنافقين وآثار ظاهرة النفاق</b>
200	<b>المطلب الأول: عرض ودراسة لأساليب المنافقين</b>

الصفحة	المحتوى
201	أولاً: انتهاز الفرص لزرع البلبلة
201	1. غزوة أحد
202	2. سرية الرجيع
202	3. غزوة الأحزاب
204	4. زواجه ﷺ من زينب بنت جحش
205	5. غزوة بني المصطلق
206	ثانياً: الإرجاف
208	ثالثاً: الغمز واللمز
211	رابعاً: التثبيط والتخذيل
214	خامساً: الإيذاء اللفظي
218	سادساً: التشكيك وإلقاء الشبهات
221	<b>المطلب الثاني: آثار ظاهرة النفاق في المجتمع</b>
221	الفرع الأول: طبيعة النفوس البشرية
223	الفرع الثاني: محطات لآثار النفاق
224	1. حادث تحويل القبلة
228	2. آثار المنافقين في غزوة أحد
230	3. إجلاء بني النضير
231	4. آثار المنافقين في غزوة بني المصطلق
234	5. تداعيات حادثة الإفك
242	6. الآثار الجانبية لظاهرة النفاق في غزوة تبوك
246	7. قصة مسجد الضرار
247	<b>المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض ظاهرة النفاق</b>
247	<b>المطلب الأول: منهج القرآن في تناول ظاهرة النفاق</b>
247	أولاً: تعامل مع الظاهرة بحسب أحداثها
248	ثانياً: ازدواجية الخطاب في تناول الظاهرة
249	ثالثاً: تناول الظاهرة من خلال أقوال أصحابها وأفعالهم

الصفحة	المحتوى
250	رابعاً: عناية القرآن بالظاهرة في أوصافها وسماتها
252	خامساً: تدرج القرآن في تناول الظاهرة
252	1. تسمية المنافقين
253	2. الحكم على الظاهرة
254	3. الانتماء والولاء
255	4. الاستغفار
255	5. بين الموعظة والاستغفار
258	<b>المطلب الثاني: منهج القرآن في التعامل مع ظاهرة النفاق</b>
258	أولاً: تقرير مبدأ الاختبار ممحصاً بين الإيمان والنفاق
261	ثانياً: بناء العقيدة
264	1. التوكل على الله وتوجيه المؤمنين إلى خالقهم
264	2. تفويض الأمر كله لله
264	3. ربط آجال الناس بالخالق وحده
265	4. تقرير عقيدة الإيمان بالقدر
266	ثالثاً: الصبر على الأذى
266	رابعاً: الإعراض والتجاوز
267	خامساً: الحذر والحيطه
271	<b>المبحث الثالث: تقويم ظاهرة النفاق</b>
271	<b>المطلب الأول: التقويم العقدي لظاهرة النفاق</b>
271	الفرع الأول: أقسام النفاق
271	1. نفاق أكبر
271	2. نفاق أصغر
273	الفرع الثاني: النفاق في القرآن الكريم
274	الفرع الثالث: التقويم العقدي للنفاق الأكبر
276	الفرع الرابع: التقويم العقدي للنفاق الأصغر
276	1. أصول النفاق الأصغر

الصفحة	المحتوى
277	2. إشكالية وجود خصال النفاق في المسلم
282	3. من اتصف من المسلمين بخصال المنافقين
284	4. شروط في خصال النفاق الأصغر
284	<b>المطلب الثاني: التقويم الفقهي لظاهرة النفاق</b>
284	الفرع الأول: الحكم بالظاهر، والله السرائر
289	الفرع الثاني: إقرار من أظهر الإسلام على أحكام الإسلام
291	الفرع الثالث: بيان في نهي القرآن عن الصلاة على المنافق
293	الفرع الرابع: أسباب إمساك النبي عن قتل المنافقين
296	نص ختامي
298	<b>الخاتمة</b>
298	النتائج
304	الاقتراحات
306	<b>الفهارس</b>
307	فهرس الآيات القرآنية
320	فهرس الأحاديث النبوية
324	فهرس الأعلام
331	فهرس المصادر والمراجع
350	فهرس الموضوعات